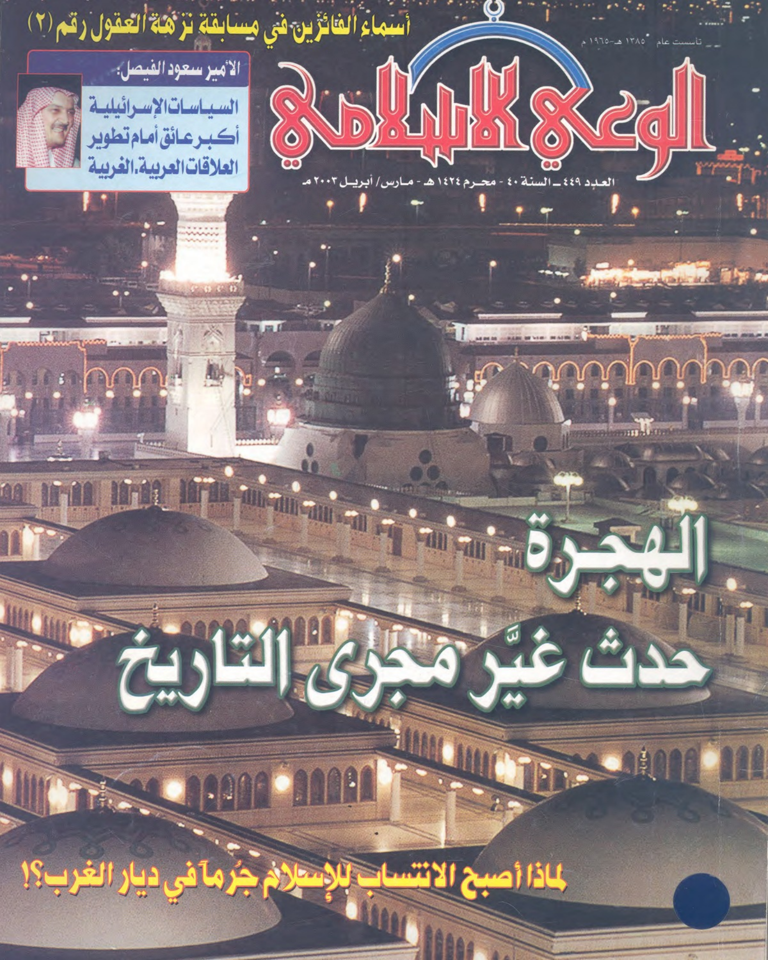
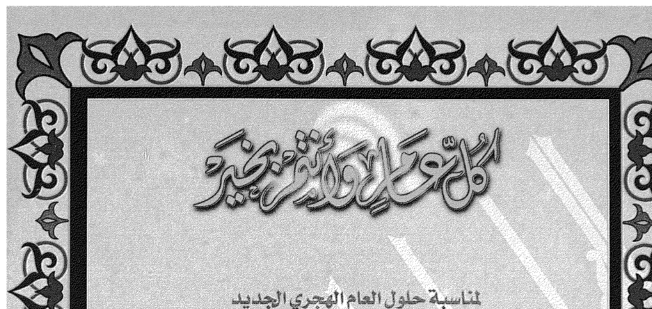


أسماء الفائزين في مسابقة نزهة العقول رقم (٢)
تاسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
الأمير سعود الفيصل:
السياسات الإسرائيلية أكبر عائق أمام تطوير العلاقات العربية الغربية
العدد ٤٤٩ ـ السنة ٤٠ - محرم ١٤٢٤ هـ - مارس/ أبريل ٢٠٠٣ م
الهجرة
حدث غيَّر مجرى التاريخ
لماذا أصبح الانتساب للإسلام جُرماً في ديار الغرب؟!

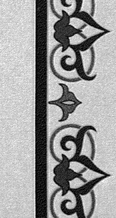


لمناسبة حلول العام الهجري الجديد
تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي
بأجمل التهاني وأطيب التبريكات إلى

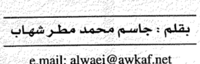
أمير البلاد
وسمو ولي عهده الأمين
ورئيس وأعضاء مجلس الأمة
وأعضاء الحكومة
وأبناء الشعب الكويتي كافة

داعين الله عزّ وجل أن يسبغ على أمير البلاد الصحة والعافية لمواصلة مسيرة التقدم والبناء.

كما يسر أسرة مجلة الوعي الإسلامي أن تقدم تهانيها القلبية لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مقرونة بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يوحد كلمتهم ويجمع صفهم ويحقن دماءهم ويأخذ بيدهم لكل ما فيه خير للإسلام والمسلمين.






بقلم : جاسم محمد مطر شهاب

e.mail: alwaei@awkaf.net

في ذكرى التحرير

تطل علينا في هذا الشهر ذكرى عزيزة على الكويتيين، إنها ذكرى اليوم الوطني ويوم التحرير، وهما مناسبتان لهما في قلوب الكويتيين منزلة خاصة ومفهوم كبير.

ولعل إرادة الله عز وجل شاءت أن تتزامن ذكرى تحرير دولة الكويت من براثن الغزو العراقي الغاشم في السادس والعشرين من فبراير العام ١٩٩١م أي بعد اليوم الوطني للكويت والذي يصادف يوم الخامس والعشرين من الشهر عينه، تأكيداً وتعميقاً لمعاني الاستقلال، وتأكيداً لحب أبناء الكويت لهذه الأرض الطيبة الوارفة الظلال المتمسكة بمبادئ دينها الحنيف وتقاليدها وقيمها العربية الأصيلة، فكانت قلب العالم الإسلامي ونبضه المتدفق بالعطاء لشعوب ودول العالم أجمع.

ذكرى التحرير تعودُ اليوم ونحن أحوج ما نكون إلى وحدة الصف وتماسك جبهتنا الداخلية والحرص على غرس قيم الولاء والانتماء لهذا البلد الذي أعطى الكثير لأبنائه وقدَّم لكل مواطن ما يتمناه من وطنه من خدمات تعليمية وصحية ورعاية سكنية وتوافر سبل الرزق حتى عاش المواطن مرفهاً آمناً على رزقه وأسرته وأهله.

وعاش المواطن والمقيم على هذه الأرض ينعم بأعظم نعمة يحلم بها إنسان في هذا الكون،وهي نعمة الحرية وإبداء الرأي... فالكويت، ولله الحمد، تنعم بسجل دولي نظيف، فلا يوجد فيها أي سجين رأي أو سجين سياسي. الكل ينعم بالحرية... والأمان.

ومن ثمَّ غدت مطلب الباحثين عن العيش الهانئ والسعيد.

بلادي الكويت سلمت لنا

وعشت مدى الدهر لي موطناً

في الوقت الذي نستذكر فيه يوم التحرير فإننا لا ننسى إخواننا وأبناءنا الأسرى في سجون العراق، ونسأل الله عز وجل أن يفك قيدهم ويردهم إلى أحضان أهليهم ووطنهم سالمين غانمين، بإذنه تعالى، كما نسأل الله الرحمة والمغفرة لشهدائنا الأبرار.

نحتفل هذا العام بيومي الوطني والتحرير وأبواب الحرب تقرع على حدودنا الشمالية مع العراق الذي لا يزال نظامه يُصرُّ على الظلم والبطش بالشعب العراقي الأسير داخل أسوار وطنه... رافضاً نداءات العالم بتطبيق قرارات المجتمع الدولي ومجازفاً بمستقبل ومقدرات الشعب العراقي بتعريضه لشبح الحرب والدمار ضارباً عرض الحائط بكل النداءات للتنحي عن السلطة وتحدي العالم ولو كلف ذلك دمار العراق وحضارته.

ومع كل جراحات الغزو العراقيِ الغاشم لدولة الكويت، فإننا ندعو الباري عزٍ وجلً أن يهيئ لأمتنا الإسلامية والعربية أسباب الوحدة والقوة وهذا لن يتحقق إلا بالمصارحة والمكاشفة بين الشعوب والحكومات ●



إسلامية • شهرية • جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم محمد مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

العدد 449 - السنة الأربعون - محرم 1424 هـ - مارس / أبريل 2003 م

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

المراسلات كافة
باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة
13097 - الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤ (+٩٦٥)
al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

كلمة العدد

الهجرة طريق العزة

الإخوة القراء:

هذا هو العدد الأول في مطلع العام الهجري الجديد نضعه بين أيديكم وقد ضمنّاه ملفاً عن الهجرة النبوية الشريفة، تناولنا فيه هذاالحدث العظيم بالتحليل والدرس والاستقراء، لنستنبط منه العِبر، ونستخلص منه النتائج ونقتبس منه الخطى في وقت ادلهمت فيه الخطوب وتكالب الأعداء علينا من كل جانب لتحطيم قدراتنا واستنزاف طاقاتنا وإمكاناتنا وطمس هويتنا وتشويه عقيدتنا.

إن الهجرة النبوية كانت وستظل معلماً شامخاً ينير لأمتنا طريق المستقبل الزاهر، القائم على التنظيم والتخطيط ووضوح الهدف والغاية، فأمتنا اليوم في حاجة ماسة لتحديد أهدافها الاستراتيجية والمرحلية المستندة إلى الثوابت الشرعية وترتيب أولياتها، والانطلاق بعدها بخطى ثابتة حتى يتحقق لنا النصر الذي حققه الرسول الكريم ﷺ، ونكون سادة في بلادنا وأوطاننا، وفاعلين إيجابيين في السيرة الحضارية المعاصرة، والله الهادي إلى سواء السبيل ●





موضوع الغلاف

مهما حاول المرجفون التقليل من حادثة الهجرة النبوية الشريفة، فإن هذه الحادثة تظل المعلم الأقوى والمرجعية التي نستلهم منها الدروس والعِبر والعظات على مر السنين والأيام ●

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

- الكويت: ٥٠٠ فلسا • السعودية: ٧ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٧ ريالات • الإمارات: ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٥٠٠ جنيه • موريتانيا: ٢٠٠ أوقية • تونس: ٢ دينار • الجزائر: ١٠ دنانير
- اليمن: ٧٠ ريال • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سورية: ٥٠ ليرة • المغرب: ١٠ دراهم • ليبيا: دينار واحد
- اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله. • اميركا ودول العالم: ٣ دولارات او مايعادلها.

في هذا العدد

قضايا

لماذا أصبح الانتساب للإسلام جرماً في ديار الغرب



صفحة 10

تعاني العلاقات بين المسلمين وأهل الغرب من قصور كبيرة يعود في قسم منه إلى فشل الخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر الموجَّه لأهل الغرب والسؤال الذي يبرز هنا: ما دور الدبلوماسية الإسلامية في التعريف الصحيح برسالة الإسلام ●

اقتصاد

المشاركة المتناقصة وصورها في ضوء العقود المستجدة

المشاركة المتناقصة هي التي يتفق فيها الشريكان على إمكان التنازل من أحد الطرفين عن حصته في المشاركة للطرف الآخر... ترى ما صور هذه المشاركة وما أحكامها في ضوء الشريعة الإسلامية؟ ●

صفحة 36

دعوة

أزمة الدعاة في غير ديار الإسلام

أزمة الدعوة الإسلامية في غير ديار الإسلام تكمن في بعض الدعاة الذين لا يعرفون كيف يخاطبون جموراً لا يدين بالإسلام ولا يعترف بمعطياته الفكرية، مع أن من صفات الداعية المسلم الفطنة والذكاء والمهارة في مخاطبة الغير ●

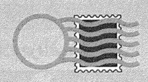
صفحة 48

المحتويات

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

● السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٣٧ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) ● اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر ● لبنان - طرابلس - ص.ب ٢١١ - ت ٧٩٨٢٠٩ (٠٠٩٦١٣) ف ٤٤١٧٥٣ / ٤٤٤٠٤٢ (٠٠٩٦١٦) - مركز الواحة للفنون الإعلامية ● الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) ف ٤٦٣٥١٥٢ ● مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع ● الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع ● مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام ● المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ● المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ● سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩١٩١٩ / ٥٩٧٤٥٦ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع ● قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء، وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

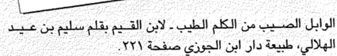


بريد القراء

تصحيح







ورد في العدد ٣١٦ رمضان ١٤٢٣ من مجلتنا «براعم الايمان» في الصفحة ٨ حديث نبوي يقول: «لا تسرف ولو كنت على نهر جار».

وللأسف إن هذا حديث ضعيف الإسناد، انظر كتاب «ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٩٥ ـ ٤٢٤ و ٩٦ ـ ٤٢٥)، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وأعتقد أن الآية الكريمة: قال الله تعالى: (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأنعام:١٤١.

وفي صفحة (١٠) قصة قصيرة ذكر أن الرجل عندما أراد أن يفطر من صيامه قال: «اللهم لك صمت.. وعلى رزقك أفطرت... اللهم أذهب عني الظمأ وبلل لي العروق...» الحقيقة إن في هذا تشويهاً لمعلوماتنا، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم علمنا أن نقول بعد الإفطار هذا الدعاء الصحيح ولا يوجد غيره يقال في هذا الموضع وهو:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر ـ إن شاء الله».

أخرجه أبوداود (٢٣٥٧) وغيره وإسناده حسن انظر كتاب صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ـ لابن القيم بقلم سليم بن عيد الهلالي، طبيعة دار ابن الجوزي صفحة ٢٢١.

وفي صفحة (٧) آخر سطر «صدق من قال: «صوموا تصحوا».

انظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة».

للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رقم الحديث ٢٥٣.

وأخيراً: لا يشترط لليلة القدر أن يراها الإنسان بل يكفي قيامها. ص٢٦

حفصة عبدالوهاب ـ البحرين

شكراً.. لحكومة سريلانكا

نشرت صحيفة «ساندي رايزيرفو» السيلانية في عددها الصادر في ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٢م خبراً مطولاً مفاده أن المسلمين السيرلانكيين أقاموا احتفالاً دينياً كبيراً في الآونة الأخيرة، نظمه السيد رؤوف حكيم وزير الموانئ وزير شؤون المسلم في سيرلانكا وحضره رئيس الوزراء السيرلانكي السيد «رانيل وك ري مي سيخ هي» ووزير المواصلات العامة السيد «إيمانيز باركر ماركار» وعدد من المسؤولين في الحكومة، وخلال الحفل ألقى رئيس الوزراء كلمة دافع فيها عن الإسلام والمسلمين حيث قال: إن هجمات الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك لا يمكن ربطها بالإسلام من قريب أو بعيد، لأن الإسلام دين المحبة والتسامح كما أن المسلمين في سيرلانكا هم جزء من الشعب السيريلانكي بكل فئاته، وأن أتباع جميع الديانات سواء أمام القانون، ولا يوجد تمييز بين دين وآخر، وقد حظي خطاب السيد رئيس الوزراء باهتمام واحترام المسلمين وأتباع الديانات الأخرى ليس في سريلانكا وإنما في شتى أرجاء العالم الإسلامي، فهو موقف شجاع وثابت، ويشير إلى مناخ الحرية والانفتاح في هذا البلد الذي مزقته الحرب الأهلية، لكن المفاوضات الجارية الآن ستؤدي إلى إحلال السلام في المستقبل القريب، وختاماً لا يسعني إلا أن أقول: شكراً لحكومة سريلانكا

رد على تعقيب

أثار حفيظتي ما جاء من تعقيب بقلم الأخ الفاضل: وليد الخطيب بـ«الوعي الإسلامي» العدد رقم ٤٤٧ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، يناير - فبراير ٢٠٠٣م بصفحة «بريد القراء»، وكان تعقيبه حول موضوعنا الذي نُشر بـ«البراعم» العدد ٣١٥ شعبان ١٤٢٣هـ صفحة ٨ تحت عُنوان «أسامحك بشرط».

ولقد جرى العُرف ودرجت العادة على أن يتولى الكاتب الرد على أي تعقيب أو وجهة نظر معينة تُثار حول نتاجه الأدبي، ومن منطلق الحيدة التامة من قبلنا تجاه مُناقشة ما جاء بالتعقيب المذكور، إذ إن أي عمل أدبي عُرضة لأن تتناوله الأقلام تعقيباً ونقداً لأنه «أي العمل الأدبي» يُصبح ملكاً للقراء والنقاد لمجرد انتهاء الكاتب منه.

وحرصاً على وقت سيادتكم ووقت القراء أوجز ردي في النقاط التالية آملاً نشره في صفحة بريد القراء:

- يعيب الأخ الفاضل «المُعقِّب» على نظرة الإعجاب التي وجهها المدرس لتلميذه ونود أن نوضح للأخ المعقب أن الكتاب الذي كان يُطالعه التلميذ له صلة وثيقة بموضوع الدرس الذي كان المدرس يقوم بشرحه للتلاميذ، وأنه لما ثبت في يقين الأستاذ أن موضوع الكتاب يعد امتداداً طبيعياً لموضوع الدرس القائم على شرحه - فإنه أسرع بمناقشة تلميذه في موضوع الكتاب ليحقق أكبر قدر من استفادة التلاميذ من محتواه وأن المدرس قد وجد قيمة علمية ذات فائدة كبيرة للتلاميذ، لذا صفح عن تلميذه وسامحه لارتباط ما يُطالعه التلميذ بموضع الدرس عينه، ويمكن للأخ الفاضل المعقِّب أن يُراجع الموضوع المنشور صفحة ٩ والذي جاء فيه «الآن فقط سامحتك يا محمود لأنك فهمت مُحتوى الكتاب تماماً وجاء بجديد فهمه بقية التلاميذ».

إذاً هناك علاقة قوية ومعلومات جديدة بالكتاب تُكمل بقية معلومات موضوع الدرس الذي يقومُ المدرس بشرحه، وإلا لكان المدرس قد عنَّفه بشدة وعاقبه.

- يعيب علينا الأخ الفاضل المُعقِّب صياغة موضوعنا بما رآه أنه يشجع التلاميذ على الانشغال عن الدرس وقراءة أشياء خلال الدرس لا علاقة لها بموضوع الدرس! وهنا نُكرر ما سبق، وهو أن الكتاب جاء بقيمة فكرية جديدة مرتبطة أشد الارتباط بصلب موضوع الدرس الذي يقوم المدرس بشرحه لتلاميذه وأنه يخدم التلاميذ فكرياً ويصب في مصلحتهم التعليمية والتحصيلية.

- يعيبُ علينا الأخ الفاضل المعلِّق - عدم تعظيمنا للخطأ الذي وقع فيه التلميذ، وانبه الأخ الفاضل إلى أن ما بدر من التلميذ لا يُعد خطأً جسيماً بالمعنى المعروف لأنه «أي التلميذ» لم يُخالف آداب الدرس، حيث إن موضوع الكتاب يصب في موضوع الدرس عينه ويضيف إليه قيمة علمية جديدة، رأى الأستاذ ساعتها ضرورة بيانها لتلاميذه لتوسعة مداركهم وما أحوج تلاميذنا لمطالعة ومعرفة كل ما يمتُّ بصلة لمناهجهم التعليمية لتكتمل لديهم الرؤية كلها، ونحن مثلاً على ذلك نقول: «إذا افترضنا أن موضوع الدرس الذي يقومُ المدرس بشرحه لتلاميذه خاص بغزوات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فما المانع أن يضيف المدرس جديداً لهذا الموضوع بذكره بعض صفات الرسول وخُلقه العظيم وعبقريته الفذة صلى الله عليه وسلم، طالما أن وقت الدرس يسمح بذلك، فلا شك أن أي إضافة مرتبطة بموضوع الدرس، ستزيد من استيعاب التلميذ وفهمه للموضوع، وهذا ينسحب إيجاباً على تحصيل التلميذ وتوسعة مداركه وهو التلميذ الصغير الذي هو في أمسِّ الحاجة لمثل هذه المعلومات العامة والمفيدة لحياته، ولآخرته.

- إن نظرة الإعجاب التي منحها المدرس لتلميذه مرجعها ارتياح المدرس لانتقاء تلميذه لموضوع أحسن اختياره ويخدم موضوع الدرس ذاته، ويضيف إليه قيمة علمية قد لا تكون موجودة بموضوع الدرس عينه، وبالتالي فإن قيام المدرس بشرح محتوى الكتاب للتلاميذ لا يُمثِّل شغلاً للتلاميذ عن درسهم وعلومهم بأي حال من الأحوال لأنه كما أسلفنا أن الكتاب ما جاء غريباً ولا مُقحماً على موضوع الدرس - ولكن أتى بإيجابيات تصبُّ في مصلحة التلميذ، ونأمل من الأخ الفاضل المعجب أن يراجع مرة أخرى، ولكن بدقة أكثر من ذي قبل حتى تتضح لسيادته الصورة كاملة.

- مع خالص تقديري لأستاذنا الفاضل المعقِّب على تعقيبه، حفظه الله.

رفعت محمد بروبي - سوهاج - مصر

غريبة تلك الحياة

فوق الشفاه مات الكلام
والابتسام
خرس اللسان ما عاد
ينطق بالبيان
والخوف قد ملك الفؤاد
وتكحلت عين النهار
بالسواد
لم يبدُ لي في الأفق نور
والفرح غاب مع السرور
والضحكة ماتت في
الصدور
أين تغاريد الطيور
صمت ولا صمت القبور
والفكر تاه والمرء يشقى
في الحياة
يرحل ولم يبلغ مناه
عجباً لتصريف الزمان
أصبحنا لا نجد الحنان
قل الوفاء... قل الحياء
قل ما تشاء
إن الحياة مليئة كذب
ورياء
أين الصديق... أين
الرفيق
الكل ضل عن الطريق
وتحجرت فينا القلوب
الشاب يغتصب الفتاة
الابن لا يرحم أباه
ولربما يقتل أخاه
والمرأة تقتل زوجها
يا حسرتاه
أين الخلاص
فلقد سئمنا من الحياة
فلقد سئمنا من الحياة

شعبان محمود شعبان - قنا - مصر

ممثلة برئيس وزرائها وشكراً لكل من يقول كلمة الحق والعدل والسلام، أينما كان بغض النظر عن عرقه أو دينه أو لغته، لأن تقديم واجب الشكر لكل من يقول الحق ويتصدى للافتراءات الباطلة، مبدأ إسلامي نبيل يؤمن به المسلمون في كل بقاع الأرض.

* محمد عبدالله - الكويت



Muslim community full of praise for PM's boldness

Sri Lanka Muslim community hails the bold statement made by Prime Minister Ranil Wickremesinghe at the National Milad-un-Nabi Celebrations Day, where be said that the September 11, attack in New York could not be connected with Islam.

Prime Minister who was the chief guest at the festival said that Sri Lanka joined the world condemning the terrorist attack in New York, but added that terrorist action could not be connected to Islam.

Mass Communication Minister, Imtiaz Bakeer Markar addressing the members of the All Ceylon Union of Muslim League Youth Front in Colombo said that the Muslim community in the country hails the bold stand taken by the Prime Minister when be said that there was no connection between the terrorist act and Islam. "His statement is not only hailed by the Islamic people and also by all other religions. Added to that the Muslim world is indebted to our Prime Minister", he said.

"Our Prime Minister is the first world leader to have taken such a stand and no other leader has said so up to now. We are also happy to note and we are encouraged when Prime Minister gave an undertaking that there will be equal treatment to all communities and an acceptable solution to the Muslims will be met at the end of the negotiations now in progress", the Minister added. (WEE)



وزير الأوقاف: منهج الإسلام شامل كامل



أشاد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر بالجهود الخيرية التي تبذلها الهيئات والمؤسسات الخيرية الكويتية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وفي مقدمها جمعية إحياء التراث الإسلامي.

وقال الوزير باقر في الكلمة التي ألقاها في حفل تكريم الفائزين في المسابقة القرآنية التي أقامتها المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة في رمضان الماضي: إن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وللناس كافة، والذي اتسم في منهجه بالشمولية والكمال، وصلاح تشريعاته لانتظام حركة الحياة، مؤكداً أن حفظ الله تعالى لدين هذه الأمة الخاتمة إنما جاء من حفظ الله تعالى لهذا الكتاب الذي قال عنه جل وعلا:

(إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩.

وحض باقر الفائزين على التمسك بهدي القرآن بعد أن يسّر الله لهم الحفظ قائلاً لهم: إن كل واحد منكم يجعل من نفسه سفيراً لهذا القرآن في أي مكان يحل فيه، وليعمل كل منكم على نشر هدي القرآن ومواعظه وحكمه التي يزخر بها وزاد قائلاً: إن حفظ القرآن وتلاوته ليس منتهى الغايات لكم، إنما هي الخطوة الأولى على طريق الدعوة الطويل من أجل إيصال رسالة الإسلام للناس أجمعين ●



● وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر ●

وزارة الأوقاف الكويتية تنتج برامج دينية بقالب «اجتماعي - كوميدي»

بدأت وزارة الأوقاف الكويتية أسلوباً جديداً في نقل تعليماتها وسياساتها وإرشاداتها، يعتمد على الدراما الاجتماعية المغلفة بطابع كوميدي، وبالفعل ابتعدت الوزارة عن الجمود والرتابة، واقتربت من إنتاج سلسلة برامج تلفازية جديدة تجذب المشاهدين إليها، وانتهى المخرج، حسن إبراهيم، منذ أيام من تصوير أول برنامج ديني من نوعه يعالج المشكلات الاجتماعية في قالب درامي شيق، وذهب مخرج آخر هو، عبدالعزيز الحداد، إلى أبعد من ذلك، عندما قدم مسلسلاً درامياً من ١٥ حلقة عنوانه «معاناة ذنب» والذي يتحدث فيه عن نائب في مجلس الأمة يحاول محاربة الفساد الإداري.

ويتحدث مسؤول في وزارة الأوقاف عن مجموعة من البرامج الدينية التي ستنتج مستقبلاً بهذه الصورة، ويقول أحدهم إن المهم في النهاية هو الجمهور «حتى ولو ابتسم وهو يشاهد أحد برامجنا» ●

وزارة الأوقاف نفذت حملة لتفعيل شعيرة الأضحية وأهدافها

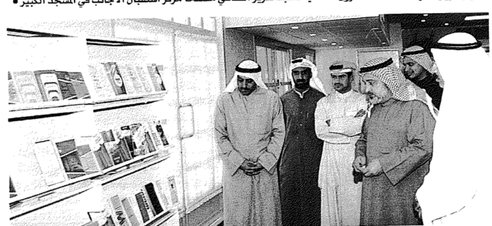
أوضح مراقب الدراسات والتسويق الإعلامي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد القراوي أن «الإدارة دعمت حملة إعلانية لتفعيل شعيرة الأضحية وغرس مفاهيمها في نفوس المجتمع وإبراز قيمة الأضحية في الإسلام»، مبيناً أنها تزامنت مع بداية العشر الأول من ذي الحجة باعتبارها أياماً مباركة ولها طابعها الروحاني التعبدي».

وقال القراوي إن «هذه الحملة هدفت إلى ترسيخ القيم الإسلامية، ونشر الشعائر التعبدية في المجتمع باستخدام وسائل إعلامية وإعلانية لضمان فاعلية أكبر»، لافتاً إلى أنها «عبارة عن فلاش تلفازي تم تصميمه وإخراجه بطريقة تدعو المشاهدين إلى القيام بأداء هذه الشعيرة إحياء لسنة نبينا إبراهيم عليه السلام». وذكر القراوي أن «إعلانات الحملة تم بثها في تلفاز الكويت على القناة الأولى والفضائية لتذكير وحض المجتمع الكويتي على الالتزام بالإسلام منهجاً وتصوراً، بواقع ٣ إعلانات يومياً بحيث يصل العدد في نهاية العاشر من ذي الحجة إلى ثلاثين إعلاناً» ●

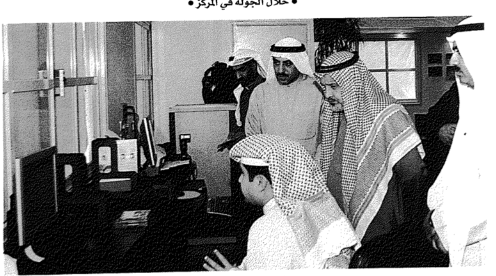
القناعي يفتتح مركز استقبال الأجانب في المسجد الكبير



• وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية د.عبدالعزيز القناعي مفتتحا مركز استقبال الأجانب في المسجد الكبير •



• خلال الجولة في المركز •



• يطالع صفحة الإنترنت •

أكثر من مليون شخص زاروا صفحة الإنترنت الخاصة بالمسجد الكبير

افتتح وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية د.عبدالعزيز القناعي مركز استقبال الأجانب في المسجد الكبير والذي يعتبر الأول من نوعه في الكويت لاحتوائه على أركان كثيرة تسهم في برامج الدعوة الإسلامية والثقافية والتعرف إلى جوانب المبادئ الإسلامية وحضارتها الرائدة.

وصرح د.القناعي بأن هذا المركز مميز من حيث تقديم الأنشطة والفاعليات الكثيرة والتي تقع ضمن مهام وزارة الأوقاف، كما يحتم علينا وبخاصة في هذه الأيام بيان سماحة ومبادئ الإسلام الصحيحة.

هذا ويستقطب المسجد الكبير الكثير من الزوار سواء من داخل الكويت أو من خارجها وينظم للزوار برامج معدة تحتوي على تعريف شامل بأجزاء معالم المسجد الكبير وفكرة إنشائه ودور المسجد في الإسلام وأهميته في حياة المسلمين.

ويشمل المركز ركناً خاصاً لاستقبال الضيوف والزوّار، وركناً للمحاضرات والتي تستوعب ٢٥٠ شخصاً، وركناً لبرامج التعريف بالإسلام عن طريق الحاسب الآلي، وركناً للكتب والنشرات الإسلامية وبالكثير من اللغات الأجنبية كما يحتوي المركز على ديوان كويتي مصنوع من السدو وهناك أجزاء من المقتنيات تمثل محتويات البيت الكويتي القديم.

وقد بلغ زوّار المسجد الكبير منذ بداية النشاط العام للمجسد ٧ آلاف زائر، كما بلغ زوّار المسجد عبر صفحة الإنترنت أكثر من مليون زائر



قضايا معاصرة

من أجل خطاب إسلامي معاصر

لماذا أصبح الانتساب للإسلام جرماً في ديار الغرب؟

بقلم: د.عطية فياض. أستاذ الفقه المقارن. جامعتي الأزهر، والملك خالد

عانت الأمة الإسلامية كثيراً ولا تزال تعاني من سوء عرض رسالتها وحضارتها على الآخر، وأدى ذلك - في معظم الأحيان - إلى سوء فهم الآخر للإسلام ورسالته، وإعاقة كل وسيلة لتحقيق أي اتصال حضاري بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم، ويحرص كثير من المفكرين والساسة الغربيون والشرقيون إلى وصم الإسلام والمسلمين بكل نقيصة، وأصبح الانتساب للإسلام يمثل جرماً في كثير من عواصم الغرب وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر العام ٢٠٠١م.

ويرجع ذلك إلى عوامل عدة منها: وقوف أجهزة إعلام معينة، ومراكز استشراق، ودوائر رسمية في بعض أجهزة الحكم الغربية يغلب عليها الحقد والتعصب ضد الإسلام والمسلمين خلف هذه الحملات، فيصورون الإسلام للغرب تصويراً منفراً، مثل: الإسلام دين العنف، والجهل، والمراوغة، ودين الجواري والعبيد، ودين الرجل ضد المرأة، وأن المسلمين يعبدون القمر، ويقدسون الحجر، ويؤلهون الخرافة... ولم يقف ذلك عند ما تردده وسائل الإعلام، بل تحول هذا الكيد والتضليل إلى مناهج مدرسية كما حدث أخيراً في فرنسا، التي تعمَّد واضعو الكتب المدرسية فيها إخفاء معالم الحضارة الإسلامية الزمانية والمكانية، وأظهروها على أنها لا تأثير لها، ونحّوها من أصالتها وعدالتها... فالحضارة الإسلامية عندهم، هي التسلط العربي الأول، وهي الرفاهية والبذخ والجمال السحري في حدائق وقصور بغداد، وهي صراع الأمراء في الأندلس، وهي تعدد الزوجات، وتبرير الفقر، وهي الماضي والحروب والدماء، وأن الإسلام دين مسخ ابتكره محمد الذي ادَّعى أنه نبي، وأن الحروب الصليبية ما كانت إلا رد فعل معاكس ضد العدوان والنهب والسلب... الذي كان يقوم به المسلمون في تسابق ومرح.(١)

وقد تم انتحال مصطلح «إسلاموفوبيا» Islamophobia منذ عقدين من الزمان، والذي يعني الفزع من الإسلام أو كرهه أو الخوف من المسلمين أو كرههم.

وهذه الصورة التي رسمتها وسائل الإعلام الغربية لشعوبها، واقنعتها بها ليس لها من الحقيقة الشرعية أو التاريخية أو الواقعية نصيب، فالإسلام الذي يدين به مليار وربع المليار نسمة في العالم يظل بالرغم من ذلك مجهولاً كثيراً حتى هذه الساعة لدى الغربيين، ويصور على أنه دائم التناحر مع كل ما يحيط به ومع الغربيين خصوصاً رغم أنه قريب منهم جغرافياً وتاريخياً، وكانت معظم شعوب الدول الإسلامية مستعمرة من قِبَل الدول الأوروبية وذلك إضافة إلى تمثل الغرب ربما حتى بعض القيم والمفاهيم الإنسانية المشتركة، إلى جانب أن تقدير عدد المسلمين في بعض الدول الأوروبية يتراوح بين ٤ - ٥ ملايين نسمة في فرنسا، ويصل إلى ٣ ملايين في ألمانيا، وأكثر من



مليونين في بريطانيا، ونحو نصف المليون في السويد، وكذلك الرقم عينه في كل من بلجيكا وهولندا وإيطاليا وسويسرا، كما توجد جاليات مسلمة كبيرة تصل إلى أكثر من ربع مليون في كل من النرويج، وفلندا، والدانمارك، وأسبانيا، واليونان، ويجري الحديث في أميركا عن ٦ ملايين مسلم، وكلما وقع حادث في أي دولة اهتزت أكثر صورة الإسلام لدى الغرب، وتتبارى الصحف الغربية في تشويه متعمد للإسلام والمسلمين، فقد نشرت صحيفة «توداي» البريطانية على صفحتها الأولى في اليوم الثاني من انفجار أوكلاهوما المروّع العام ١٩٩٦م صورة تمزق الفؤاد لأحد رجال الإطفاء الأميركيين وهو يحمل طفلاً ميتاً من تحت الأنقاض وكتبت الصحيفة تحت الصورة «باسم الإسلام» لتستقر تلك الصورة في ذهن القارئ، مترسخة ولم تفسر الصحيفة رفضها الاعتذار حتى عندما اكتشفت بسرعة أن المنفذين لذلك الانفجار لم يكونوا مسلمين، وعانى المسلمون جراء ذلك الحادث معاناة شديدة، وسبب ذلك هو شبهة تعميم تورطهم في حوادث الإرهاب، وما استقر لدى عامة الغربيين عن تحميل المسلمين مسؤولية العنف في العالم، كشف حادث حادثة «أوكلاهوما» في الوقت عينه الأخطار الحقيقية التي يتعرض لها المسلمون بسبب هذه الشبهة، ولو لم يتم إلقاء القبض على الجاني خلال فترة زمنية قصيرة لدفع المسلمون ثمناً باهظاً مضاعفاً لهذه الشبهة، وقد دفعوه غالياً وفادحاً في التفجيرات الأخيرة التي هزّت واشنطن، ونيويورك!!(٢).

ومنها: إساءة بعض المسلمين إلى دينهم بجهلهم بالإسلام وأحكامه، سواء في داخل الدول الإسلامية أو خارجها، وللأسف تتبنى جهات غربية هذه الأصوات وتسبغ عليها الحماية القانونية، وتفتح لها أجهزة إعلامها فيصورون الأمور على غير وجهها فيسيئون من حيث يريدون أن يحسنوا، وقد تكون هذه الإساءة سلوكاً، أو دعاية، أو كتابة، وغالباً ما يقدم هؤلاء على أنهم المسلمون، ويستشهد بأفعالهم هذه على ما يُراد لصقه بالإسلام، ومن هنا تغيب مفاهيم الإسلام وتصوراته الصحيحة عن الآخرين، وأدى هذا إلى لصق كل نقيصة وكل عيب بالمسلمين حتى ولو كانوا ضحايا، وأي حادث في أي بلد من بلدان العالم يصورونه على أن وراءه المسلمين إلى أن يثبت العكس، حتى ولو ثبت العكس فالمسلمون مدانون أيضاً.

ومنها: قصور الخطاب العربي والإسلامي وعدم نجاحه في مخاطبة الغرب، حتى تم تصوير الإسلام كما يريد المتعصبون والحقودون فيه، أو الجاهلون منّا.(٣)

وهذا القصور أتصوره في الخطاب الإعلامي بصوره المختلفة، وفي خطاب الدعاة، وفي المنتديات والحوارات، وأشد مما تقدم في الخطاب الدبلوماسي للدول العربية والإسلامية، حيث لم تحرص الدبلوماسية الإسلامية - غالباً - على القيام بدورها المنوط بها في هذا المجال، مع أننا نمتلك نحو ستين بعثة دبلوماسية موجودة كثير من الدول، في الوقت الذي نجد فيه دبلوماسية غيرنا تقوم بحملات تحسينية لصورتها بعد كل أزمة تقع فيها دولتها وتنجح في ذلك وهي بعثة واحدة، مع ثبوت جرائم القتل والتشريد

على الدبلوماسية الإسلامية أن تقوم بجهود عملية لرد الشبهات عن الإسلام

والترويع والسلب للأبرياء والآمنين.

ولا يقع القصور - فيما أتصوره - على الدبلوماسية الدائمة المحترفة وفقط، وإنما على كل أشكالها وصورها.

وقد أدى تصوير العرب والمسلمين بهذه الصورة إلى وجود فجوة بين الغرب والشرق، وتزداد القطيعة كل يوم عن الآخر، حتى صور الأمر على أن صراعاً بين الحضارات لابد أن يحدث، وآخر يكتب مقالاً لصحيفته عن الأزمة الأخيرة يقول فيه: «هذه الحرب ليست على الإرهاب وإنما عل الإسلام»(٤).

وأمام هذه الفجوة وتلك الهوة السحيقة التي حدثت بين الإسلام وغيره من الشرائع والقوميات يبرز تساؤل: أين دور الدبلوماسية الإسلامية الموجوة في كل بلد ومدينة غربية والتي تمتلك أكثر من ستين بعثة دبلوماسية في التعريف الصحيح برسالة الإسلام الحضارية والأخلاقية؟

وسبب هذا التساؤل هو أن مهمة الدبلوماسية بجميع أشكالها وفق ما تقتضيه الأعراف الدولية، والمعاهدات المنظمة لها أنها أداة الاتصال بين الدول، حيث تعمل على تقريب وجهتي نظر الدولتين في المسائل التي تهمهما، أو إحداث تقارب بين أفراد المجتمع الدولي في القضايا التي تهم الجميع في حال المنظمات الدولية.(٥)

من خلال استقراء ما تقوم به البعثات الدبلوماسية المختلفة تجاه مصالح بلادها، فإنه يتعين على الدبلوماسية الإسلامية أن تقوم بدورها في التعريف الكامل والصحيح برسالة الإسلام الحضارية والأخلاقية، وهذا جزء من مهمتها الدبلوماسية إن لم تكن الجزء الأكبر والأساسي، ويقع على عاتقها القيام بما يلي:

أولاً: اعتبار هذا الواجب جزءاً من رسالة الدبلوماسية الإسلامية.

كثيراً ما تعني الدبلوماسية بالعلاقات الثنائية، والعمل على تحقيق المصالح المادية، متغافلة هذا الواجب، مع أن الواقع يثبت أن صورة الإسلام والمسلمين المغلوطة تمثل عائقاً قوياً في سبيل توثيق العلاقات، وتبادل المنافع والمصالح بين الدول، حيث تؤثر على الاستثمارات الأجنبية، وعلى السياحة، وعلى المؤازرة في المحافل الدولية، وغير ذلك من الخسائر

رساة بعض المسلمين للإسلام أعظم خطرا من إساءة غير المسلمين

الجمة المترتبة على هذا التضليل.

وربما تظن الدبلوماسية أن هذا الواجب ليس من اختصاصها، وإنما هو واجب العلماء الشرعيين والدعاة والوزارات المعنية بذلك، وهذا صحيح في جملته، وعلى الدبلوماسية أن تستعين بهؤلاء الدعاة والعلماء لتوضيح الأمور، لكن يبقى على الدبلوماسية العبء الأكبر في رصد هذه الظاهرة، ومعرفة أسبابها، ومن يقف خلفها، وتكوين الرؤية الصحيحة لمواجهتها، ودحضها، فضلاً عن أنها معنية بإزالة كل ما يعيق توثيق العلاقات، وهذا مما يعيقها فعلاً.

ثانياً: مناقشة الشبهات مع أصحابها، ومحاولة دحضها وردها.

لا يكفي أن تعرف الدبلوماسية أن هذا الواجب من اختصاصاتها، ومن صميم عملها، بل عليها أن تقوم بجهود عملية لمناقشة هذه الشبهات وردها، ومواجهة أصحابها بالوسائل والطرق المناسبة، ولا يكون ذلك بالبيانات الصحفية، أو لقاءات المجاملة الدبلوماسية، وإنما تفنيد ومناقشة تدحض هذا الباطل وتدفعه، باستخدام كل الوسائل المتاحة دبلوماسياً ونظامياً، والتغلب على كل العوائق التي تحول دون ذلك.

إن حرب التشويه والتضليل هي حرب قديمة ولم تكن بأقل ضراوة من الحرب العسكرية، وقد واجهها المسلمون في صدر الإسلام، ودخلوا في مواجهة دبلوماسية وفكرية مع الخصوم انتهت إلى تجلية الحقيقة، ودحض الشبهات، وبمطالعة أول مواجهة دبلوماسية بين المسلمين وقريش خارج مكة على أرض الحبشة يتبين لنا كيف استطاع الدبلوماسي المسلم توصيل رسالته، والتعريف الكامل والصحيح بدعوته، وفضح الباطل وتعريته.

فبعد هجرة المسلمين إلى الحبشة، دفعت قريش بداهيتين من دهاتها للحاق بالمسلمين هناك والتأثير على القيادة السياسية بالهدايا، والمنطق، والوقيعة، ليسلموا لهم المسلمين وحاولوا إقناع البطارقة أولاً ثم توجهوا بعد ذلك إلى الملك، وكان مما قالاه: «أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه».

وقالت البطارقة: صدقاً أيها الملك فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم.

لكن النجاشي رأى أن يستمع إلى الطرف الآخر المسلم، ودعا وفدهم الذين أجمعوا على الصدق كائناً ما كان، فقال لهم النجاشي: ما هذا الذي فارقتم فيه قومكم، ولن تدخلوا به في ديني، ولا دين أحد من الملل؟

فقال جعفر - وكان هو المتكلم عن المسلمين -: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء إلى الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة

الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك».

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون.

ولم يستسلم وفد قريش لهذه الهزيمة، ولكنهما كادا للمسلمين مرة ثانية، فجاءا إلى الملك في اليوم التالي لمحاولة الوقيعة: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل النجاشي إلى المسلمين، فأجاب جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود...

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي «أي آمنون...»(٦).

إن هذه المواجهة توقفنا على حقائق أظنها غائبة في الخطاب العربي والإسلامي للغرب، ولنلاحظ التركيز في حديث جعفر على خطاب التوحيد والأخلاق والجانب الحضاري في الإسلام، وفضح للجاهلية وممارستها.

إن أسلوب الخطاب، وموضوعه جديران بالنظر والمدارسة والتأمل.

كما نجد النبي صلى الله عليه وسلم في مخاطبته للملوك والأمراء، يضمن رسالته تلك الآيات القرآنية التي تظهر العطف والرحمة، واستنقاذهم مما هم فيه، مع مراعاة تقديرهم والاعتراف بهم: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران:٦٤(٧).

وقد أشار القرآن الكريم إلى حديث آخر ينادي به غير المسلمين، ويعرفهم حقيقة هذا الدين الذي يدعوهم إليه: (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥١ - ١٥٣.

كما تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صوراً من الحوار والمناقشة مع الآخر نوقشت فيها شبهات القوم، ووضح فيه حقيقة الدين الإسلامي وما يدعو إليه.

وعلى الدبلوماسية أن تراعي الوسيلة المناسبة لمناقشة الشبهات مع أصحابها، فقد يكون ذلك عن طريق المحاضرات، أو المقالات الصحفية والأحاديث التلفازية، أو إنشاء مراكز بحثية وعلمية تعني بهذاالغرض، أو الإشراف على منح درسية، مواقع على شبكة الإنترنت، وليكن طريقة الخطاب مناسبة وملائمة، فكثير هي المقالات والكتب التي تترجم من العربية إلى لغات أخرى بهدف مخاطبة الغرب، ولكنها في الحقيقة صيغت وأُلِّفت لمخاطبة العقل العربي المسلم، ويكتفى بالترجمة فقط، فلا يكون لها أثر عملي في إزالة شبهة، أو تصحيح صورة، فالواجب يقتضي دراسة مفصلة نفسية وسلوكية واجتماعية ومعرفة ما يدور في أذهانهم، وتحديد حاجاتهم بدقة، ثم تلبيتها بعد ذلك بالصور الملائمة.

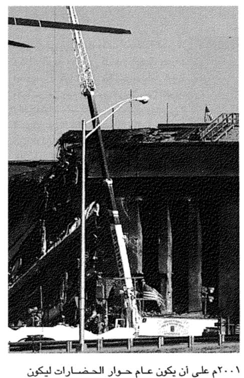
نعم أقيمت ندوات وعقدت مؤتمرات كثيرة تهدف إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أعين الغرب، لكنها في الحقيقة ندوات متعجلة كرد فعل للاحداث، وموضوعها الاعتذار عن أفعال لم يرتكبها المسلمون، بل الاعتذار من بعضهم عن بعض المبادئ الشرعية التي لا تعجب الغرب، وهذا في الحقيقة خطأ وخطر عظيمين، فنحن في حاجة إلى أسلوب جديد في التعريف بالإسلام ودحض الشبهات يقوم على الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة، ويوضح مؤهلات الإسلام للعالمية والقيادة، في الوقت الذي يفضح فيه الجاهلية المعاصرة وممارساتها الشاذة والمنحرفة عن أي منطق أو عقل أو شرع.

ثالثاً: تبني وتشجيع أسلوب الحوار مع الآخرين.

الحوار أسلوب من أساليب الدعوة إلى الإسلام، والتعريف به، وسجلت آيات القرآن الكريم والسنَّة النبوية المطهرة وقائع حوارية مع غير المسلمين، وهناك آيات أخرى تضمنت دعوة الآخرين إلى الحوار المشترك.

وفي الفترة الأخيرة كثر الحديث عن الحوار بين الحضارات في رد واضح لنظرية صراع الحضارات التي يتبناها عدد من مفكري الغرب، وقد أطلق الرئيس الايراني خاتمي نظرية حوار الحضارات في سبتمبر العام ١٩٩٧م، خلال كلمة ألقاها أمام الجمعية العامة للامم المتحدة وقد لقيت الفكرة قبولاً، وعليه حدد العام

كثرة الحديث عن الحوار بين الحضارات رد واضح على نظرية الصراع الحضاري



٢٠٠١م على أن يكون عام حوار الحضارات ليكون الحوار معياراً للعلاقات الدولية.

وعقد من أجل ذلك مؤتمرات كثيرة منها: المؤتمر الثاني لحوار الحضارات الذي تم في طهران في نوفمبر العام ٢٠٠٠م وحضره ممثلو الحضارات الأربع القديمة مصر، وإيران، واليونان، وإيطاليا.

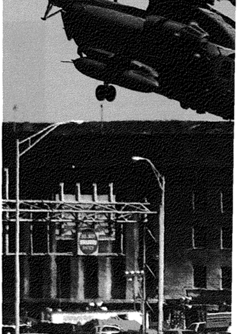
وقبل ذلك أبدت منظمة المؤتمر الإسلامي اهتماماً بهذا الشأن، فمنذ العام ١٩٩٧م تدعو المنظمة إلى إجراء حوار بين الإسلام والغرب، ونصت في ميثاقها على أن من أهدافها الأساسية هو إيجاد المناخ الملائم لتعزيز التعاون والتفاهم الدوليين. وأكدت أن الحضارة الإسلامية تقوم بشكل ثابت عبر التاريخ على التعايش السلمي والتعاون والتفاهم المتبادل بين الحضارات، وكذلك على التحاور البنَّاء مع الديانات والأفكار الأخرى.

وأخيراً افتتحت الجامعة العربية مؤتمراً لحوار الحضارات في الرابع والعشرين من نوفمبر العام ٢٠٠١م كما توجد محاولات متعددة للحوار بين الأديان منذ سنين عديدة، بعضها رسمي وبعضها مطروح من شخصيات وقيادات علمية ودينية مستقلة.(٨)

وبالنظر إلى هذا الكم الهائل من المؤتمرات والحلقات والمقابلات، إلا أن أثر هذه الحوارات يكاد يكون معدوماً حتى وصف بعضهم حوار المسلمين والمسيحيين بأن هذا الحوار قد شاخ، لأنهم من أربعين سنة يتحاورون ولا أثر، ومازالت الهوة تتسع يوماً بعد يوم، ومازالت العقلية الغربية متمسكة بموروثاتها العقدية والفكرية عن الإسلام والمسلمين.(٩)

ويرجع ذلك - من وجهة نظري - إلى أمور عدة:

- منها: لا يصدق على كثير من هذه المحاولات مسمى الحوار بالمعنى الاصطلاحي لحوار الأديان، أو حوار الحضارات، فالحوار الحقيقي هو البحث عن معرفة واكتشاف الآخر وبلورة رؤية واضحة غير نمطية إزاءه من دون اللجوء إلى إصدار أحكام مسبقة



متحيزة ضده، أما ما نشاهده من حوارات فيغلب عليها طابع مقارنة الأديان أو المساجلات الفكرية، والسعي إلى إثبات تفوق وتميز طرف على آخر، أو طغيان الناحية الإعلامية حيث يثبت كل طرف للرأي العام أنه يتحاور وفقط.

منها: فرض أحد أطراف الحوار رؤيته وأجندته على الآخرين مستغلاً تمويله أو موقعه، والواقع أن الحوار بين أي طرفين لا ينفع إلا إذا كانت أطرافه متماثلة، أما هذا الحوار الأعور بين طرف تابع وطرف متبوع فلا يكون حواراً وإنما فرض رؤى وسياسات لا يملك الطرف الضعيف إلا أن ينفذ، وليس هناك رغبة في التعرف إلى الآخر واكتشافه.

منها ـ يغلب على كثير من المؤتمرات هذه تحصيل مكاسب سياسية يفرضها الطرف الأقوى كمحاولة دمج إسرائيل في المجتمع العربي والإسلامي مع قيامها باحتلال الأرض، وانتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني، كما يستغلها دعاة الماسونية وما يسمى بوحدة الأديان، وإنشاء دين رابع ملفق من الأديان الموجودة.

منها: سيطرة المؤسسات الرسمية الدينية على هذه المؤتمرات، وتنحية القيادات والشخصيات المؤثرة فكرياً واجتماعياً، وغالباً ما تتأثر القيادات الدينية بالرؤى السياسية لدولهم مما يخرج بموضوع الحوار، ويجعله أقرب إلى تظاهرة سياسية، يغلب عليها المجاملة.

منها: اقتصار الحوار على النخبة الفكرية الدينية والسياسية دون إشراك كل القطاعات الفاعلة في المجتمعات، أو الوصول إلى الفرد العادي في المجتمعات، وبالتالي مهما انتهت هذه المؤتمرات إلى نتائج فلن يتأثر بها الأفراد.

منها: عدم وجود تكتل إسلامي في الحوار أمام التكتل الأوروبي، أو الأطلسي، فتواجه الدول الإسلامية هذه التكتلات وهي متشرذمة متفرقة، فيجب أن يكون المسلمون متساوين مع منافسيهم ويشكلون تكتلاً إسلامياً موحداً في مواجهة التكتلات العالمية، وما لم يدرك المسلمون سبيل الوحدة الإسلامية فلن يكون لديهم أمل في الندية والمساواة مع الآخر.

منها: يغلب على المحاور العربي والمسلم الشعور بالخذلان والضعف، والهزيمة النفسية، وإحساس بالنقص أمام الحضارة الأوروبية والغربية الزاهية في مقابل الواقع العربي والإسلامي الموجود، حتى نحت كثير من الدول الإسلامية إلى إحياء حضارات بائدة، واستخدام رموزها في المؤسسات وغيرها، ولا تحرص على هويتها الإسلامية.

منها: واقع الدول العربية والإسلامية من التخلف الحضاري والسياسي العلمي والذي يكرس نظرة الغرب للأمة وتأكيد مقولات المستشرقين ووسائل الإعلام المعادية، وما لم يصاحب الحوار محاولات جادة من قبل الأمة لتصحيح مسارها فلن يجدي الحديث عن القيم والأخلاق.

منها: سيطرة اتجاهات معادية وحقودة على الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ومراكز اتخاذ القرار وصنعه، بحيث تحبط أي محاولة جادة للتقريب، وتصحيح الصورة.

ولذلك إذا أردنا حواراً منتجاً فعالاً فيجب تلافي هذه العيوب أولاً، وعندها يكون فعلاً أداة تفاهم وتعايش ويحل محل الصدام والنزاع.(١٠)

رابعاً: معرفة الطريق إلى الشعوب، وتقديم الخطاب المناسب لها مباشرة.

كثيراً ما تعني الدبلوماسية بالحديث مع النخبة السياسية والفكرية، دون أن تجتهد في وصول خطابها للقطاعات الفاعلة في المجتمع، كالجامعات، والمراكز العلمية، والإعلام وغير ذلك، ومن هنا فأي حديث عن تصحيح صورة الإسلام والمسلمين يذهب هباء.

والواجب محاولة التخاطب مع الشعوب مباشرة حسب الطرق الدبلوماسية المتاحة والمناسبة، وهي أكثر من أن تحصى، وبالنظر إلى الدبلوماسية الغربية وما تفعله في بلادنا، نجد أن المراكز الثقافية التابعة لها تعج بالنشاط من محاضرات ومؤتمرات، ومراكز تعليم لغة، ومكتبات، وتمويل بحوث، ومنح دراسية، وإصدار صحف، ومشاركة في مناسبات اجتماعية وغير ذلك، وهذا الواجب على دبلوماسيتنا أن تفعله.

خامساً: عمل برامج تصحيحية عن الإسلام والمسلمين لزائري البلاد الإسلامية، من السياح والدارسين وغيرهم.

غالباً ما تحرص وزارات السياحة على تزويد السائح بالمعالم الحضارية والجغرافية والتاريخية للبلاد، وتيسر جميع وسائل الراحة والترفيه المباح منه وغير المباح، ويغيب عنها التعرف إليه وإلى ما يلتصق في ذهنه من صورة لتلك البلد، ولذا فالواجب يقتضي عمل برامج تعريفية وتصحيحية، وتوضيح الرؤية لدى هؤلاء سواء من قبل سفاراتنا في الخارج، أو بإنشاء جهة في الداخل يناط بها هذا الأمر.

سادساً: التواصل مع المراكز البحثية المعنية بالدراسات الإسلامية في الغرب، فالغرب يعج بمئات المراكز العلمية المعنية بالدراسات الإسلامية، التي يشرف عليها مستشرقون بعضهم يتسم بالتجرد والموضوعية، وآخرون، وهم كثر، يغلب عليهم التعصب والتحيز، وعلى الدبلوماسية التواصل مع هذه المراكز، والعمل على تصحيح الأخطاء، ورد التشويه المتعمد، وتقديم الصورة الصحيحة.

سابعاً: تعيين ملحق دبلوماسي شرعي في سفاراتنا في الخارج، يجمع بين القدرات الدبلوماسية في الخطاب والحوار وبين العلم الشرعي الذي يؤهله لتفنيد الشبهات وردها.

ثامناً: الإشراف والتواصل مع الجاليات الإسلامية الموجودة في بلاد الغرب من طلاب وغيرهم وتحصينهم من هذا التشويه ليكونوا صورة صحيحة معبرة عن الإسلام والمسلمين، وحتى لا يشوهوا صورة الإسلام بسلوكياتهم وأخطائهم الفردية، وحتى لا يقعوا فريسة لبعض المستشرقين، ووسائل الإعلام وغيرها فيكونوا أداة هدم وتشويه من الداخل.

والله أسأل أن يوفق الجميع للخير ويهديهم سبل الرشاد، ويرد اليد العادية عن الإسلام والمسلمين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ●

الهوامش:

١ ـ د محمد أبوليلة ـ أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في حوار مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٤٦٧.

٢ ـ د غانم جواد في ورقته التي قدمها للمؤتمر العربي التحضيري في مؤتمر الأمم المتحدة الثالث ضد العنصرية وكراهية الجانب الذي انعقد في «ديربان» بجنوب أفريقيا خلال العام قبل الماضي، وكان عنوانها: «صورة الإسلام في الإعلام العربي من أوكلاهوما إلى محمد الدرة ـ بريطانيا، نموذجاً» موقع islam to day.

٣ ـ د مصطفى الفقي في ندوة الأهرام عن «نحو عالم متعدد الأطراف قائم على العدالة والإنصاف» في ٢٦/١٠/٢٠٠١م.

٤ ـ ديفيد سيلبورن في مقاله لصنداي تليغراف في ٧/١٠/٢٠٠١م، ترجمة تركي الزميلي، islam to day.

٥ ـ علي صادق أبوهيف ـ القانون الدولي العام ـ ٤٩١ ـ منشأة المعارف ـ إسكندرية.

٦ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ٦٦/٣ ـ المعارف ـ بيروت.

٧ ـ ابن كثير ـ مرجع سابق ـ ٢٦٢/٤.

٨ ـ تقرير مجلة المجتمع الكويتية عنوانه: «بين الصدام والحوار ـ الحضارات في عصر العولمة، عدد ١٤٤٢ في ٢٩/٨/١٤٢٢، حوار ماهر عبدالله مع الشيخ يوسف القرضاوي، في برنامج قناة الجزيرة «الشريعة والحياة» عن حوار الأديان في ٦/١١/٢٠٠١م.

٩ ـ يراجع في ذلك: حوار الشيخ يوسف القرضاوي، المشار إليه من قبل.

١٠ ـ يراجع في ذلك: حسني تمام ـ باحث وصحفي مصري ـ في مقالته «حوارات الأديان ضرورة إنسانية أم مؤامرة عالمية ـ islam on line، حوار الأديان ـ خطابات متعددة بالموقع عينه.

حـوار

الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي لـ الوعي الإسلامي :

السياسات الإسرائيلية أكبر عقبة أمام تطوير العلاقات العربية الغربية

أكد الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي أن السياسات الإسرائيلية الراهنة تشكل أكبر وأخطر عقبة في سبيل تطوير العلاقات العربية الغربية، بالإضافة إلى الصور النمطية المشوهة لدى كل طرف عن الآخر التي تلغي كثيرا من مساحات التفاهم المشترك والثقة المتبادلة، ما يستوجب مواجهتها عبر المبادرة إلى فضح ما تستند إليه من تزييف متعمد.

وأوضح أن الغياب العربي الفاضح عن التأثير في ميادين الفكر والثقافة والإعلام والعلوم ساعد الدعاية الصهيونية على النجاح، وحذر من أن تبدد الآمال في إقامة نظام دولي جديد يعتمد على الشرعية الدولية نتيجة لاستمرار نهج الازدواجية والترويج لسياسة الهيمنة، والإقصاء يساعد على تنامي التيار المتطرف ولا يتعارض مع المصالح العربية فحسب بل مع مصالح جميع دول وشعوب العالم.

وشدد على أن اليأس والقنوط ليسا خيارين متاحين للأمم الحية والشعوب الراغبة في صنع مستقبلها وتقرير مصيرها، وطالب بتضافر جميع الجهود في عمل جماعي منظم يكتسب صفات الديمومة والاستمرار والتراكم لتعميق المعرفة العلمية الموضوعية، سواء معرفتنا نحن بالغرب وتفاعلاته ومؤسساته أو معرفة الغرب بنا وبما يجمعنا به من مصالح مشتركة واهتمامات مستقبلية.

حاوره : مدحت الأزهري

● ظهرت في الآونة الأخيرة الكثير من الدعوات على الساحة العربية لإعادة صياغة العلاقات العربية الغربية بشكل يعيد لها التوازن من أجل تحقيق المصالح المشتركة للجميع فما متطلبات هذه الدعوة.

- بالرغم من أن العلاقات العربية الغربية تمتد تاريخيا لفترة طويلة من الزمان تبادل فيها الطرفان الكثير من التأثيرات الحضارية وتفاعلات التعاون والتنافس والصراع بتأثير القرب الجغرافي بين أوربا والعالم العربي من جهة وتأثير الحيوية الحضارية لشعوب المنطقتين من جهة أخرى، إلا أن تلك العلاقات لم تخل من المعوقات والعقبات التي حالت دون نموها المتوازن، وخصوصاً في العصر الحديث، فمعاناة العرب من السياسات الاستعمارية وصنيعتها إسرائيل ذات السياسات الاستيطانية والتوسعية قد لعبت دوراً بارزاً في تسميم الأجواء بين الطرفين وفي تزايد الشعور العربي بالغبن والظلم، وإذا كانت الظاهرة الاستعمارية قد أخذت في الأفول منذ منتصف القرن المنصرم إلا أن السياسات الإسرائيلية لا تزال تشكل أبرز وأخطر عقبة أمام تطوير العلاقات العربية الغربية، وقد ارتبطت هذه المتغيرات السياسية بتطورات لا تقل سلبية وضررا على مستقبل العلاقات العربية الغربية، فما بات يختزنه كل طرف من صور نمطية عن الطرف الآخر قد قلص كثيرا من مساحات التفاهم المشترك والثقة المتبادلة.

● وهل يمكن لهذه الدعوات أن تتجاوز التأثيرات السلبية للممارسات الإسرائيلية

على العلاقات بين العرب والغرب؟

ـ نشوء إسرائيل المدعومة من القوى الاستعمارية خيم بظلاله الداكنة وتداعياته الوخيمة على استقرار المنطقة وعلى مسيرة العلاقات العربية الغربية، فما ارتكبته إسرائيل من مآس غير مسبوقة في حق الشعب الفلسطيني على النحو الذي نشهده يوميا لا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال، ومما ساعد إسرائيل على التمادي في عدوانها أن الأنظمة العربية لم تكن على مستوى هذا التحدي الذي لم يقتصر على النواحي العسكرية بل شمل أبعاداً تقنية وثقافية وحضارية، وقد أدى تجاهل العرب الأهمية المتنامية للعوامل الفكرية والإعلامية في العلاقات الدولية إلى بروز الدعاية الصهيونية المغرضة وتعاظم تأثيرها في تشكيل الرأي العام الغربي بل والعالمي، ما يشكل قوة ضاغطة على مراكز صنع القرار هناك وخصوصاً مع اندماج عناصرها ومؤيديها في نسيج الحضارة الغربية وحشدهم لإمكاناتهم التنظيمية والمالية، لكن هذا النجاح ما كان له أن يتحقق بهذا القدر لولا الغياب العربي الفاضح عن التأثير في ميادين الفكر والثقافة والإعلام والعلوم.

مواجهة التحدي الصهيوني

● بماذا تفسر عجز الفكر العربي عن مواجهة التحدي الإسرائيلي؟

ـ في الحقيقة إن عجز الفكر العربي عن مواجهة التحدي الإسرائيلي كان من نتاج مرحلة الاستقطاب الدولي، حيث ابتلي الفكر العربي بحال مرضية رسَّخت التشرذم والتقوقع وسهّلت الانخراط في معمة الصراع الايديولوجي بين الدولتين العملاقين، حيث انقسم المفكرون العرب على امتداد هذه المرحلة إلى فصائل متناحرة يتمترس كل منها وراء شعارات عقائدية ويدعي امتلاك الحقيقة المطلقة التي لا تقبل نقداً ويتهم مخالفيه بالخيانة والعمالة أو الكفر، وبدأت الثقافة العربية تعاني من تضخم في جانبها الايديولوجي ومن مبالغة في إلقاء اللوم على العوامل الخارجية مع افتقار للاهتمام الكافي بتحليل الواقع وتحديد سلبياته وتوضيح مسؤوليتنا تجاهه، ولما كانت توجهات الانفتاح والحوار والتعاون مهمشة داخل بنية الفكر العربي السائد حينذاك كان من الطبيعي أن يعجز هذا الفكر عن محاورة الغرب أو محاولة إقناعه أو ممارسة أي دور مؤثر فيه.

● فكيف ترسب هذا الاغتراب رغم وجود الجهود الفكرية النهضوية على اختلاف تياراتها التي تذخر بها الساحة الثقافية العربية؟ وما تأثيره السلبي على فهمنا لأنفسنا وللآخر؟

ـ على الرغم من أهمية الجهود الفكرية النهضوية إلا أنها لم تتمكن من تجاوز إشكاليات النظرة الملتبسة المزدوجة تجاه الغرب فمن جهة بدا الغرب في نظر المفكر العربي كمجتمع متقدم منظم متفوق يثير الإعجاب ويغري بالمحاكاة، ومن جهة أخرى نظر العرب إلى الغرب كقوة مستعمرة مهيمنة ظالمة تثير الاستهجان والرغبة في المقاومة، ومن هنا نجد معظم مفكري النهضة العربية يستنفدون طاقاتهم في جدليات متكررة حول ثنائيات مغلقة تقابل بين الأصالة والمعاصرة وبين الهوية والحداثة وبين السلفية والتغريب، وبالرغم مما كان بينها من تناقض فإن هذه التيارات تشترك في بعدها عن تحليل الواقع ودراسة معوقاته وإمكانات تجاوزه، وفي انشغالها بتخيل واقع افتراضي بديل مستمد من مثال الماضي البعيد أو من مثال الآخر المختلف، وهكذا ترسخ الاغتراب الفكري في الثقافة العربية سواء كان اغترابا زمانيا أو مكانيا ورغم المحاولات التوفيقية المتكررة فقد ظلت الهوة الفكرية التي تفصل بين هذه التيارات متسعة كما تعاظمت الهوة التي تفصلها عن واقع الحال، فلا الحاضر يتحول إلى ماض ولا العرب يتحولون إلى غرب.

الصور النمطية قلصت مساحات الثقة المتبادلة والتفاهم المشترك

● وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل ●

النزعات الحدودية

● تعاني معظم الدول العربية والإسلامية من عدم الاستقرار السياسي والتناحر على الحدود سواء مع جيرانها أو فيما بينها رغم مرور فترات طويلة على استقلالها فهل للاستعمار دور في ذلك؟

ـ الاستعمار عمد إلى عرقلة متطلبات الاستقلال في الدول التي كان يحتل أراضيها من حيث اكتمال مؤسسات المجتمع المدني وترسيخ الثقافة السياسية اللازمة كما عمد قبل رحيله إلى بذر بذور الفرقة وعوامل الصراع بين الشعوب والقبائل ذات الأعراق والديانات والثقافات والحضارات المختلفة، ما جعل الكثير من الدول التي استقلت عنه تعاني من عدم الاستقرار السياسي الداخلي فضلا عن النزعات الحدودية مع جيرانها مما شكل تحديا مستمراً أمام تجربة الدول القومية في المستعمرات السابقة وأوجد الذرائع والمبررات لاستمرار تدخله في شؤونها الداخلية بما يخدم مصالحه ويضمن استمرار تدفق ثرواتها على خزائنه ويضمن السوق الواسعة لتصريف منتجاته.

تعزيز الإرهاب والتطرف

● كان لانحسار الاستقطاب الدولي والصراع العقائدي أثره في تنامي الآمال بنشوء نظام دولي جديد يستند إلى مبادئ الشرعية الدولية التي تنبذ العنف وترسخ قيم العدالة، فما

الذي أدى لانحسار هذه الآمال وتراجعها؟

- لقد تعززت هذه الآمال خلال النصف الأول من القرن المنصرم وخصوصاً بعد أن انطلقت المسيرة السلمية الواعدة في المنطقة وتحقق الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وبدأت المفاوضات من أجل تمكينه من ممارسة حقوقه المشروعة في إقامة دولته المستقلة على أرضه المحتلة وعاصمتها القدس الشريف، غير أن المتطرفين على تعدد توجهاتهم ومنطلقاتهم ما كان ليناسبهم أن تستمر هذه التطورات الايجابية الواعدة، سواء على صعيد ما ترسخه العولمة من الاعتماد المتبادل والعيش المشترك في عالم متعدد أو على صعيد ما تسعى إليه الجهود السلمية من حل للصراعات والنزاعات، ذلك أن هذه التطورات الايجابية تشكل تهديدا مباشرا لمواقع المتطرفين على قمة السلطة ولمبررات نفوذهم وهيمنتهم.

● **وما الذي ساعد على تعزيز موقف التيار المتطرف على هذا النحو؟**

- الذي ساعد على ذلك هو تبدد الآمال والتطلعات التي صاحبت نشوء ما يعرف بالنظام الدولي الجديد نتيجة لاستمرار نهج الازدواجية والكيل بمكيالين عند التعاطي مع قضايا منطقة الشرق الوسط حيث بادرت الأوساط المتطرفة في الجانب الإسرائيلي إلى إجهاض مسيرة السلام وجر المنطقة إلى العنف المتصاعد بقوة والذي شمل اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي «رابين» وتولي مقاليد السلطة في إسرائيل قيادات لم تتورع عن التنكر للاتفاقيات المعقودة وتبني سياسات الاحتلال والاغتيال والإذلال والإمعان في ممارسات التجويع والحصار وتدمير الممتلكات وتدنيس المقدسات، فكان من الطبيعي في المقابل أن تتعالى أصوات في العالم العربي تنادي بالتخلي عن نهج الحلول السلمية

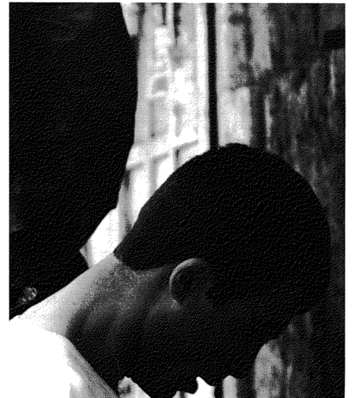
الممارسات الإسرائيلية تهدد استقرار المنطقة وتسمم أجواء العلاقات مع الغرب

والأخذ بمبدأ الكفاح المسلح لمعالجة القضايا المصيرية والتعامل مع الآخر بصورة سطحية لا تفرق بين أصدقاء وأعداء ومحايدين، وفي الوقت عينه وجدت الأوساط الإسرائيلية المتطرفة حليفاً قوياً لها في بعض الأوساط الغربية التي تتشبث بمفاهيم الهيمنة وحرصت على إيجاد عدو واضح يسمح لها بالحفاظ على سياسات التعبئة وخصوصاً مع تبلور النظام العالمي «أحادي القطب» مما يقطع الطريق على أي تحول إيجابي في النظام الدولي، وهكذا بدا الترويج لمفاهيم تناقض مفاهيم العولمة وتعاكس توجهاتها، ففي حين تقتضي العولمة اعترافاً بالتعدد وانفتاحاً على الآخرين وترسيخاً للاعتماد المتبادل نجد بعض الأوساط الغربية تروج لفرض هيمنة أحادية تحقق نهاية مزعومة للتاريخ البشري وتؤكد على حتمية الصراع بين الحضارات متناسية المسيرة الإنسانية المشتركة القائمة على التعاقب الحضاري والتلاقي الثقافي وكان من الطبيعي أن تستثير دعوى الهيمنة والإقصاء ردود فعل سلبية قد لا تقل تطرفا وضررا وخصوصاً في ظل ما نشهده من اضمحلال آفاق الحلول السلمية العادلة والتدهور المتزايد في الأوضاع على الساحة الفلسطينية، وقد أسهم ذلك في تسميم أجواء العلاقات بين العرب والغرب وجعلها مهيأة لتغذية التوجهات المتطرفة وتعميق دائرة العنف المتبادل مما هيأ الفرصة لظهور بعض الجماعات والفئات المنحرفة عن الفهم الصحيح للقيم الإسلامية السمحة، وهيأ المناخ الملائم لها لتعزيز محاولاتها للتغرير بالشباب المتحمس وإيهامه بأن الإرهاب هو السبيل الوحيد لرفع لظلم واسترجاع الحقوق.

تداعيات سبتمبر

● **اتسمت المعالجة العربية لأزمة أحداث سبتمبر بالتخبط والارتجالية والاعتماد على رد الفعل ما أدى لتأثيرات شديدة السلبية على العلاقات بين العرب والغرب فكيف يمكن معالجة هذا الأمر؟**

- مما يدعو للأسف أن الفكر العربي لم يواكب ما حملت المتغيرات الدولية المتسارعة من فرص وتحديات، فبدلا من التفاعل الايجابي مع العولمة شغل بعضهم بالتحذير من شرورها وتهرب بعضهم الآخر من ممارسة النقد الذاتي والتحليل الموضوعي في زمن نحن أحوج ما نكون إليهما، وقد كان للمناخ الفكري السائد الذي راجت فيه اتهامات الخيانة والعمالة أكبر الأثر في تقاعس المفكرين والساسة العرب عن التعامل بالعمق والسرعة المطلوبين مع تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكان حرياً بالعرب الذين عانوا طويلا من ويلات الإرهاب أن يكونوا أول المبادرين إلى استنكار جميع أشكاله ورفض جميع تبريراته فاتخاذ القرار الصائب لا يشكل ضرورة حتمية فحسب بل لابد لمواجهة الظروف الصعبة من ربط هذا القرار بالزمان والسياق المناسبين قبل أن يجتازه الحدث، وهو ما أدركته إسرائيل في وقت مبكر، مما ساعدها على تجيير المعركة لصالحها وعملت على الخلط بين الحرب العالمية ضد الإرهاب وممارساتها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني، فالتيارات المناوئة للعرب لم تأل جهدا في استغلال الأحداث لتشويه العلاقات العربية الغربية وعرقلة المسيرة السلمية والحيلولة دون تحقيق العدل والتوازن في النظام الدولي، ونريد أن نشير إلى ما نتج من الهجوم الإرهابي من تصاعد غير مسبوق في رواج التطرف المعادي للمسلمين هناك، فخلال العام التالي للأحداث تم نشر أكثر من عشرين كتابا تحدث عن خطر العدو الإسلامي من بينها كتابان من أكثر الكتب مبيعاً، كما تقلص عدد المرشحين المسلمين للانتخابات المحلية والفدرالية إلى أقل من ١٠٠ مرشح بعد أن كان قد بلغ قبل الحادي عشر من سبتمبر ٧٠٠



مرشح أي في العام ٢٠٠٠م.

العرب والغرب

● **ما الذي يجب علينا أن نفعله لتصحيح العلاقات العربية الغربية وتطويرها بشكل متوازن يضمن تحقيق المطالب المشروعة والمصالح المشتركة والمستقبلية لكلا الطرفين؟ وما الدور الذي يمكن للمثقفين العرب أن يؤدوه في هذا المضمار؟**

- لعل الدور الذي يقع على عاتق المثقفين والمفكرين والمبدعين العرب قد أصبح أكثر أهمية الآن من أي وقت مضى، نظراً لما يروج في الغرب من صور نمطية مشوهة تغذيها حملات التحريض والعداء حتى كادت هذه الصور أن تصبح من المسلمات الشائعة لكثرة تكرارها وعمومية انتشارها، وهناك مقولة للعالم الشهير انشتاين «إن شطر الذرة وتجزئتها أسهل من اقتلاع حكم سبق من عقل إنسان»».

● **وما طبيعة العمل اللازم لمواجهة تلك الصور النمطية المشوهة؟**

- مواجهة هذه الصور النمطية المشوهة إنما تتحقق عبر المبادرة إلى فضح ما تستند إليه من تزييف متعمد ذلك أن جميع المتطرفين مهما كانت مواقعهم ومقولاتهم، إنما ينطلقون من توهم وجود تعارض مطلق بين نقيضين لا يجمعهما جامع ولا تنشأ بينهما قواسم مشتركة ومن الثابت علمياً بطلان هذه المنطلقات المستندة إلى ثنائيات متناقضة، حيث إن المروجين لهذه الثنائيات لا يتوجهون إلى الآخر بغية معرفة حقيقته كما هي فعلا بل بهدف إثبات تناقضهم المتوهم مع ما يعتقدون أنه جوهري في هويتهم الذاتية، وهكذا يصبح إثبات الذات مرهونا بنفي الآخر وإلغائه، ومن هنا ندرك سبب احتفاء بعض الغربيين بكل ما هو أسطوري وغريب لدى العرب، وذلك بغية إثبات أوهامهم بتفرد الغرب بالعقلانية المطلقة، وبالمقابل نجد بعض العرب يحتفون بكل ما هو شاذ وفاسد ومعبر عن انحلال أخلاقي لدى الغرب بغية إثبات مزاعمهم بتفرد العرب بالطهارة الأخلاقية المطلقة، ومن المهم التنبه إلى مخاطر الانسياق وراء الردود الظرفية والانفعالية لمواجهة الحملات الإعلامية التحريضية، فاستنفاد الجهد في ردود الفعل يضر أكثر مما ينفع، كما أن مجابهة التحريض بتحريض معاكس من شأنه تعزيز وترسيخ تلك الصور النمطية، وإذا كنا نستنكر ومعنا الحق في ذلك ما يقوم به بعض ساسة الغرب من استسهال التحيز ضدنا تحقيقا لأهداف انتخابية محدودة فإننا يجب أن نستهجن أيضا ما يقوم به بعض العرب من استسهال الترويج لخطابات التحريض والعداء ضد الغرب بإطلاقه تحقيقا لشعبية وقتية رخيصة.

● **هناك تيار فكري يرى أنه لا قبيل لنا بمواجهة كل هذه التحديات وأن الأفضل لنا الانخراط في تيار العولمة والانصياع لطلبات الغرب لكي لا نعرض أنفسنا لويلاته وفي الوقت عينه نستثمر ما يمكن أن توفره لنا العولمة مثل سائر الدول التي تسير في ركاب الغرب.**

انهيار الآمال في ترسيخ العدالة في العلاقات الدولية يساعد على تنامي التيار المتطرف

- لعل من أخطر التطورات الفكرية السلبية أن يشيع لدى بعض العرب اليأس والقنوط أو أن يستبطنوا الهزيمة الداخلية فيروجوا لخطابات اعتذارية غير مقنعة أو خطابات تثبيطية تبالغ في جلد الذات واقتناص العيوب وتضخيم السلبيات، فالاستقالة والانكفاء واليأس ليست خيارات متاحة للأمم الحية والشعوب الراغبة في صنع مستقبلها وتقرير مصيرها والذين يعتقدون أن الأمور قد حسمت وأن الهزائم قد استقرت إنما يتهربون من الاضطلاع بمسؤولياتهم ويسهمون في تحقيق ما يتخوفون منه.

الترويج لسياسة الهيمنة

● **ولكن الغرب لن يتركنا نقرر مصيرنا بأيدينا ولن يرضوا بغير فرض هيمنتهم علينا وعلى سائر العالم.**

- إن محاولات بعض الغربيين بتحويل الحرب على الإرهاب إلى هيمنة أحادية إقصائية من شأنها تعزيز مناخ التطرف الذي يتغذى عليه الإرهابيون، وهذه المحاولات لا تتعارض مع المصالح العربية فحسب بل مع مصالح جميع الدول و الشعوب، بما فيها الدول الأوربية والولايات المتحدة الأميركية، بل إن قطاعات واسعة من الشعب الأميركي نفسه بدأت تتساءل وتتشكك في جدوى توجهات الهيمنة مما يعزز الأمل بإمكان تصحيح بعض سياساته مستقبلا.

● **وما خصائص العمل الفكري المأمول للخروج من الحال الراهنة؟**

- الجهد الفكري والإعلامي المأمول يجب أن يصدر عن ثقة بالنفس والقدرة على الانفتاح على الآخر وعن اعتزاز بالانتماء لهوية حضارية عريقة تؤصل مفاهيم التعاون والعدل والتعايش السلمي وعن شجاعة فكرية لا تتأثر بأباطيل المتطرفين وإرهابهم وحملاتهم المغرضة.

وإذا كنا نشهد اليوم أحداثاً تؤكد أن التدمير أسهل من التعمير وأن البغض أيسر من التسامح فإن الحوار المستمر من شأنه دحض الجهل الذي تتغذى عليه الأحكام المسبقة، وإذا كان المثقف هو ذلك الباحث الذي يسعى دون كلل لمعرفة الحقيقة فإن من شأن البحث الجريء عن الحقائق وشجاعة اكتشافها ونشرها أن يحررنا جميعا عرباً وغربيين من تشوهات الصور النمطية وأساطير التطرف البالية فلا يصح إلا الصحيح، ولابد من تضافر كل الجهود في عمل جماعي منظّم بغية استثمار منجزات العولمة وتقنيات الاتصال وشبكات الإعلام الحديثة وتحقيق عمل يكتسب صفات الديمومة والاستمرار، ويجب علينا ألا نتعجل النتائج وألا نحرق المراحل وأن يقوم العمل المأمول على تعمق المعرفة العلمية الموضوعية، سواء معرفتنا نحن بالغرب وتفاعلاته ومؤسساته، أو معرفة الغرب بنا وبما يجمعنا به من مصالح مشتركة واهتمامات مستقبلية.

ولعل مؤسسة الفكر العربي التي تم تأسيسها أخيراً استجابة للدعوة التي أطلقها سمو الأمير «خالد الفيصل» بما تتوخاه من أهداف وما تتضمنه من شخصيات رائدة وما تستقطبه من جهود وإمكانات وما تتميز به من استقلالية ومرونة قادرة على القيام بنصيب وافر من هذا الدور المأمول في سبيل تصحيح مسيرة العلاقات العربية الغربية وتطويرها بما يحقق عدالتها وتوازنها وإزالة التوتر الذي يهدد الحضارة البشرية كلها بمستقبل من النزاع لا ينتصر فيه أحد ●






إن الله معنا

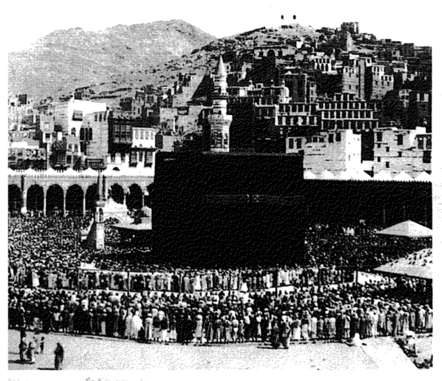
ونحن نستقبل العام الهجري الجديد،

فلسفة التصدي وكسب التأييد في الهجرة النبوية الشريفة

بقلم: محمود بيومي

الهجرة النبوية الشريفة.. هي أعظم حدث في تاريخ الأمة الإسلامية «فمن ثمار الهجرة إقامة كيان الأمة التي أصبح تعدادها الآن مليار و٨٦٠ مليون نسمة هم أحفاد الأقلية المسلمة المهاجرة من مكة المكرمة إلى المدنية المنورة.. ومفهوم الهجرة الذي يجب أن يستقر في أذهان المسلمين.. أنها لم تكن فراراً من المواجهة.. إنما كانت قراراً بإرجاء هذه المواجهة.

فالصراع الذي سبق قرار الهجرة كان صراعاً غير متوازن بين قوتين.. قوة الإسلام والمسلمين التي لا تتجاوز القوة العقدية ومجموعة من الأفراد.. وقوة خصوم الإسلام والمسلمين وتكتلهم وإصرارهم على وأد الإسلام في مهده من جانب آخر.



الهجرة لم تكن فرارا من المواجهة إنما كانت قرارا بإرجائها

عقيدة بلا قوة

الهجرة النبوية الشريفة كانت ترجمة لأبعاد الصراع الإسلامي – اللا إسلامي.. عقيدة بلا قوة تحميها لا تدخل في مشاحنات تصادمية مع أتباع الديانات الأخرى.. وإقرار إرجاء المصادمة مع الخصوم.. هو أول خيط في نسيج السياسة الإسلامية الأولى، وأتى قرار الهجرة ليترجم الحكمة النبوية الشريفة.

أما كيفية تنفيذ الهجرة.. فإنها استراتيجية التخطيط المستقبلي والذي على ضوئه تقوم دولة الإسلام أو لا تقوم.. فالهجرة النبوية الشريفة لم تعتمد على العشوائية في التنفيذ.. فإذا كان قرار الهجرة عشوائياً لَتَمَّ ملحوظة شكل الكلمة بالصورة التالية.. وهي أن يقود النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه وأصحابه إلى موطن الهجرة المختار.. لكن الهجرة لم تتم بهذه الصورة... إنما سبقت هجرة صاحب القرار.. هجرة الذين التزموا بالقرار وبصاحب القرار.. ثم أعقبها هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضوان الله عليه.

تكوين الرأي العام الإسلامي

فالشعب المسلم الأول استجاب للقرار الإسلامي الأول.. فأطاع صاحب القرار ونفذ القرار وسبق النبي صلى الله عليه وسلم إلى المهجر.. وذلك لكسب التأييد وشرح أبعاد الهجرة.. فتكون الرأي العام الإسلامي المؤيد للهجرة ونجح قرار الهجرة ونجحت استراتيجية التخطيط والتأييد والتنفيذ.. ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم المناخ المؤيد الذي أفرز فيما بعد قرار المواجهة مع خصوم الإسلام والمسلمين.

فالهجرة باعتبارها قراراً سياسياً في الإسلام.. لم تكن في دائرة اللاعودة والقرار والاستقرار في المهجر.. أنى هي في منهجية العودة والإصرار على المواجهة مع الخصوم.. ومن ثم فقد اتخذ قرار المصادمة وفقاً لمنهجية السياسة العسكرية – باعتبارها أداة من أدوات السياسة الإسلامية.. إرتكازا على قاعدة التأييد.. وأي قرار سياسي لا يعقبه تأييد عام فإنه لا يحقق الهدف المنشود.

معالم الدولة الإسلامية

وعلى ضوء قرار الهجرة النبوية الشريفة ونجاحها في جميع مراحلها.. اتضحت معالم دولة الإسلام وسياستها.. حيث تأسس أول برلمان إسلامي في المهجر كما تكون أول جيش للدفاع الإسلامي.. وتكون قبل هذا كله الرأي العام الإسلامي.. كما كسبت القيادة الإسلامية السياسية التأييد.. ثم بدأت مراحل التخطيط للعودة إلى موطن الإسلام الأول.. وكانت العودة عودة للمواجهة والتصدي لقوى الباطل.. والتي كان من أبرز نتائجها تأكيد قوة العقيدة وقوة القرار السياسي في الإسلام» وتوسيع رقعة الخصوبة الإسلامية في تربة وثنية جاهلية.

وهكذا أصبح للإسلام ركيزتان جغرافيتان هما:

مكة المكرمة، والمدينة المنورة.. حيث اتخذ من مكة قرار الهجرة واتخذ من المدينة قرار العودة.. وكما شهدت مكة بداية إعلان العقيدة الإسلامية.. شهدت المدينة إعلان الإدارة الإسلامية.. واتسعت رقعة التأييد للإسلام.

الدعامة الاجتماعية

وهناك دعامة اجتماعية انفرد بإثمارها قرار الهجرة.. لتكون منهج العلاقات الاجتماعيات في الإسلام.. وحجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي الأول.. فالمهاجر الذي ترك موطنه وممتلكاته.. يجد في مواطن الإسلام موطنه، وتتحقق في المهجر الجديد ذاتيته ويجد اخوته مترجمة في واقع مزيد وجديد هو «الإخاء» الذي تم إرساء دعائمه للمرة الأولى في المهجر.

فالمؤاخاة بين المهاجرين المكيين والأنصار المدنيين «كانت قراراً إدارياً في الإسلام» وذلك للقضاء على غُربة المهاجر وأن المضيف لا يتعامل مع غرباء.. وبهذا فقد توسع مفهوم الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.. وذلك كله من إفرازات وثمار قرار المؤاخاة.

إن قرارات التأييد الإسلامية قد حققت نتائج «الإجماع التام» فلم ينقل لنا التاريخ أن المعارضة قد عرفت طريقها في القاعدتين الإسلاميتين المكية أو المدينة على حد سواء.. فالرأي العام الإسلامي في مكة المكرمة قد أيد الهجرة ونفذها.. والرأي العام الإسلامي في المدينة المنورة أيد الهجرة باحتضان المهاجرين.. وقد تلاقت الإرادتان وأتخذتا فلسفة إعلان التأييد.

الظاهرة المكية

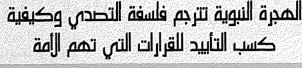
ولنا أن نقف لنحلل الظاهرة المكية التي عارضت دعوة الإسلام وناصبتها العداء وبلغت شراسة ذلك في تدمير محاولة لاغتيال النبي، صلى الله عليه وسلم.. والهدف من ذلك هو محاولة اقتلاع جذور الإسلام.. وذلك بعد أن فشلت محاولاتهم وجميع عروضهم أمام صدق تبليغ الرسالة الربانية.

ومن هنا صار المناخ المكي مناخ معارضة للدعوة.. والمناخ المدني مناخ مبايعة وتأييد لدبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم» ولقد باءت جهود المعارضين بالفشل.. وسارت الدعوة الإسلامية تاركة خلفها معارضة المعارضين ساعية للحصول على تأييد المؤيدين.

العمق الاستراتيجي للهجرة

إن العمق الاستراتيجي للهجرة النبوية الشريفة.. هو ترجيح كفَّة المؤيدين للدعوة على كفَّة المعارضين لها «لتقوية الجانب الإسلامي بالتأييد.. يليه مجابهة قوى المعارضة المكية وإعلان انتصار الإسلام.

ولم تكن المواجهة الإسلامية – اللا إسلامية من فتح مكة.. إلا بداية للكثير من المواجهات بين المسلمين وخصومهم.. فكانت الغزوات الإسلامية ترجمة حية لمواجهة هؤلاء الخصوم.. وبانتهاء كل غزوة منها تزداد القوة الإسلامية وتقوى إرادة التصدي الإسلامية في المواجهات.. حتى انتقل ميدان المجابهة مع القوى الخارجية.. والأمر الذي يجب أن تعيه الكيانات الإسلامية جيداً وهي تخوض جهادها مع خصوم الإسلام والمسلمين في كل مكان.. أن تستنبط من الهجرة النبوية الشريفة فلسفة التصدي وكيفية كسب التأييد للقرارات التي تهم الأمة الإسلامية ●







إن الله معنا

الهجرة النبوية في فكر الشيخ محمد الغزالي

بقلم: وصفي أبو زيد - مصر - e-mail: wosby75@Hotmail.com

لا يماري منصف يملك أدوات الفكر والعلم ووسائل الإدراك والتمييز أن الشيخ محمد الغزالي - الذي تمر بنا ذكرى وفاته ١٩٩٦/٣/٩م - أحد أعلام الإصلاح في عصرنا، فقد نجح في تكوين مدرسة فكرية تخرج فيها العديد من أعلام العصر، على رأسهم: الدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور محمد عمارة، والدكتور أحمد العسال، والدكتور عبدالحليم عويس، والدكتور عماد الدين خليل، وغيرهم كثير.

لقد كرس حياته كلها في خدمة الدعوة الإسلامية، والجهاد من أجل إعادة الهوية العربية والإسلامية لكثير من شعوب العالم، على رأسها مصر والجزائر قضى ما يزيد على شطر حياته الأول في محاربة الاستبداد السياسي، وبيان مكائد الاستعمار، وصد طعنات المستشرقين وسماسرتهم في القرآن والسنة، وتوضيح معالم الإسلام، وإرساء قواعد الدعوة إلى الله تعالى، بينما كان شطر حياته الثاني مركزاً في محاربة الفهم المغلوط للإسلام، والإنكار الشديد على العقول السقيمة والفكر السطحي الذي يصطلي بشواظ من نار أفعم بها قلب الشيخ وقلمه ولسانه.

وقد تمتع الشيخ - رحمه الله - بثقافة موسوعية أنتجت لنا الكثير من الكتب في شتى نواحي الفكر والمعرفة، فنجد له تراثاً في العقيدة والتفسير والأخلاق والفلسفة والتصوف والأدب والدعوة والإصلاح وغيرها، ومن أبرز المجالات التي أبدع فيها الشيخ الغزالي مجال السيرة النبوية التي له فيها صولات وجولات مع الأحداث، وتعليقات على كثير من المواقف والغزوات يشعر القارىء معها بفكر جديد وفهم فريد فلا يتملكه إلا الشعور بالإعجاب والإحساس بالانبهار.

ومن القضايا المهمة التي تحدث عنها الشيخ في السيرة في غير موضوع من كتبه قضية الهجرة النبوية التي تمر علينا ذكراها في هذه الأيام وقد تمركزت أفكار الشيخ حولها فيما يلي:



أولاً: فكرة لا رحلة

فالهجرة في فكر الشيخ ليست رحلة ولا عملاً ترفيهياً، ولم تكرم الهجرة لكونها سفراً فحسب فما أكثر المسافرين قديماً وحديثاً بين مكة والمدينة.

إن الشيء الواحد قد يكون عملاً مضنياً أو لعباً مريحاً مسلياً، فالمظهر والشكل لا يتغير، لكن الذي يتغير هي البواعث والجوهر والملابسات.



فصيد السمك رياضة مرحة يلهو بها بعض المترفين الناعمين، بينما هو عند أناس آخرين حرفة يرتزقون منها مع الكدح والمكابدة، والرحلة من قطر إلى قطر قد تكون للتنعم والاسترواح، وقد تكون مشياً في مناكب الأرض لتحصيل علم، أو جمع رزق، أو فراراً من شر محذور إلى خير منظور.

وهكذا كانت الهجرة، خطوات يتحرك بها القلب المؤمن في الحياة، فتتحرك في ركابها الثقة الغالية والتضحية النبيلة، إنها طريق الأبطال تزدحم بالفدائيين من حملة العقائد، يتركون البلد الذي اضطهد دينهم فيه ليلتمسوا في مهجرهم مأمناً لعقيدتهم ومتنفساً لدينهم.

وفي الهجرة نفسها خرج رجل إلى المدينة من أجل عشيقة يهواها، وشتان بين المهاجرين لعقيدتهم ودينهم وبين من يخطو خطوات الشهوة الصغيرة تتحرك بصاحبها فلا تفرق بينها وبين خطوات الدابة التي حملته، ورب قاعد في بلده أشرف نفساً من هذا المهاجر التافه.

ثانياً: إيمان بالمستقبل وثقة بالغيب

هكذا يعبر الشيخ «إيمان بالمستقبل وثقة بالغيب» وكان المنتظر أن يقول «إيمان بالغيب وثقة بالمستقبل»، لكنه عبر مع المستقبل بالإيمان ليرفع الثقة بالمستقبل إلى درجة العقيدة والإيمان بالغيب.

فلن تكتمل حقيقة الدين في قلب إلا إذا كان الإيمان فيه بالغيب قسيم الإيمان بالحاضر، ولا يصح تدين ما إلا إذا كان الإنسان مشدود الأواصر إلى ما عند الله مثلما يتعلق بما يرى ويسمع في هذا الدنيا فالمجاهد مثلاً يقاتل من أجل النصر للعقيدة أو الشهادة لنفسه، لكن النصر عنده غيب خصوصاً إذا وهنت الوسيلة وقل العون وترادفت العوائق بيد أن هذا النصر ينبع من الإيمان بالله فهو يمضي في طريقه المر واثقاً من النتيجة الأخيرة، إن غيره يستبعدها أو يرتاب فيها أما هو فعقيدته أن اختلاف الليل والنهار يقربه منها وإن طال المدى لأن الله حق على نفسه عون الموحدين ونصر المؤمنين فلماذا الخوف من وعثاء الطريق وضراوة الخصوم، ولم الشك في وعد الله القريب أو البعيد؟!

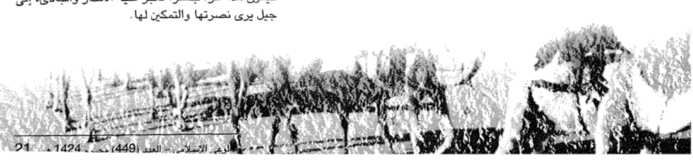
إن الذي يقطع تذكرة للسفر لمكان ما لا يخامره شك في أن المكان موجود، وأن القطار ذاهب إليه، ولقد كانت ثقة المهاجرين بالغيب مثل ثقة غيرهم بالمحسوس، وعندما يرتفع الإيمان بالغيب إلى هذه القمة فإن أصحابه لا محالة منتصرون، ومكتسحون ما يضعه المبطلون أمامهم من عقبات ومعطلات والمستقبل الذي تنتظر فيه الرسالات إما قريب وإما بعيد: فأما القريب ففي الدنيا على أرض الميدان، وأما البعيد فعند الله في الآخرة حينما تجزى كل نفس بما كسبت.

الإسلام يحترم قانون الأخذ بالأسباب غير أن المسلمين لم يكونوا على مستوى دينهم مع هذا القانون

والمهاجرون الأوائل لم تنقصهم ثقة بمستقبل أو إيمان بغيب إنما نهضوا بحقوق الدين الذي اعتنقوه، وثبتوا على صراطه المستقيم على الرغم من تعدد العقبات وكثرة الفتن، من أجل ذلك هاجروا لما اقتضاهم الأمر أن يهاجروا، وبذلوا النفس والنفيس في سبيل عقيدتهم.

ومع أن الله تعالى وعد المؤمنين أن رسالتهم ستستقر، وأن رايتهم ستعلوا، وأن الكفر لا محالة زاهق، إلا أنه علق أفئدتهم بالمستقبل البعيد وهو الدار الآخرة: «فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون. أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون. فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون» (الزخرف ٤١ – ٤٤) ومن هنا لا يعتري النفس ملل، ولا الجسم كلل، لأن أشواقه ممتدة إلى المستقبل البعيد، وآماله قد طارت لتحط في أفراح الآخرة عند رب العالمين.

فليس شرطاً أن يرى المرء ثمرة جهاده والتمكين لدينه وهو حي، بل ربما يطويه الموت ولم يعرف بعد نتيجة الصراع بين الهدى والضلال، وهذا كثير الوقوع، لكن وعد الله لا يتخلف: «فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون» فيكون هذا المرء جسراً تعبر عليه الأفكار والمبادىء إلى جيل يرى نصرتها والتمكين لها.



والخطة المثلى أن يؤدي المرء واجبه المجرد دون استعجال لنتائج المعركة المحتدمة بين الحق والباطل لأن الله قد تولاها بذاته العلية.

في إطار هذا الإيمان العميق لبى المسلمون نداء الهجرة عندما طولبوا بها، واستجابوا لنداء الله ورسوله غير خائفين ولا جزعين.

ثالثاً: ليست تخلصاً من فتنة بل لإقامة مجتمع آمن:

والهجرة في فكر الشيخ الغزالي ليست تخلصاً من فتنة أو فراراً من أذى، وإلا لم يكن هنالك مبرر للمكث ثلاثة عشر عاماً في هذا الجو الملبد بسحب الكفر والاضطهاد، إن الذي يبرر هذه المدة هو تمهيد المؤمنين بقيادة النبي - صلى الله عليه وسلم - لإقامة مجتمع جديد في بلد آمن ذهب إليه مصعب بن عمير ليستتبع الناس ويستقطبهم للإسلام، ذلك أن إقامة الدين في مجتمع مكة أضحى دونه خرط القتاد لما اتصف به من عناد وجبروت فلم يك يصلح لهذا الفكر، والدعوة مازالت وليدة غضة طرية والمسلمون قلة مستضعفة، فلم يكن هنالك بد من التهيئة للدين في مكان آمن، عندئذ يقوى المسلمون وتشب الدعوة.

ويعلق الشيخ قائلاً: «ولا شك أن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة وأصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد وأن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه وأصبح ترك المدينة - بعد الهجرة إليها - نكوصاً عن تكاليف الحق وعن نصرة الله ورسوله، فالحياة بها دين لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها.

رابعاً: الهجرة تطبيق لقانون السببية:

الأخذ بالأسباب في فكر الشيخ الغزالي دين، وهو معنى يكرره الشيخ كثيراً كلما عرض للحديث عن الهجرة أو للكلام عن تخلف المسلمين وتقدم غيرهم. لم يقل النبي - صلى الله عليه وسلم - إننا أوذينا وأخرجنا من ديارنا فعناية الله ينبغي أن تلاحقنا وحماية الله يجب أن تحوطنا ولا حرج في بعض التقصير فإن الله سيجبر الكسر ويسد النقص.. إلى آخر هذا الكلام لم يقل النبي هذا إنما استنفد كل وسيلة بشرية يمكن أن تؤخذ فلم يترك ثغرة ولا أبقى في خطته مكاناً يكمله الذكاء والفطنة ومع أن محمد بن عبدالله - عليه الصلاة والسلام - أولى الناس بتوفيق الله ورعايته، وأجدر الخلق بنصره وعنايته، فإن ذلك لا يغني عن إتقان التخطيط وإحكام الوسائل وسد الثغرات شيئاً مذكوراً.

ومن هنا جعل - صلى الله عليه وسلم - يفكر في الاختباء في الغار، وفي تضليل أعدائه، فكان يتجه جنوباً وهو يريد أن يتجه إلى الشمال. وأخذ راحلتين قويتين مستريحتين حتى



الذي يقطع تذكرة للسفر لمكان ما لا يخامره شك في أن المكان موجود

تقويا على وعثاء السفر وطول الطريق وهذا دليل مدرب ليعرف ما هناك من وجوه الطرق والأماكن التي يمكن السير فيها بعيداً عن أعين الأعداء، وهذا على دراية تامة باتجاهات العدو ونواياه تأتيه الأخبار عن طريق راعي أبي بكر كما أتت بعض الأغذية عن طريق بنت أبي بكر.. هل بقي من الأسباب شيء لم يؤخذ أو من الوسائل لم يستنفد أو من الثغرات لم يسد؟ كلا كلا..

إن منطق الإسلام هو احترام قانون السببية، لأن الله تعالى لا ينصر المفرطين ولو كانوا مؤمنين بل ينتقم من المقصرين المفرطين كما ينتقم من الظالمين المعتدين، «وإذا تكاسلت عن أداء ما عليك وأنت قادر فكيف ترجو من الله أن يساعدك وأنت لم تساعد نفسك. كيف ينتظر المرء من الله أن يقدم له كل شيء وهو لم يقدم له شيئاً؟

وليس معنى الأخذ بالأسباب الاعتماد عليها، بل الطريقة المثلى في التصور الإسلامي أن يقوم المسلم بالأسباب كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل على الله كأنه لم يقدم لنفسه سبباً ولا أحكم خطة ولا سد ثغرة.

وهذا هو الفرق بين موقف المؤمن والكافر من الأخذ بالأسباب فالمؤمن يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها ولا يعتقد أنها هي التي تفعل أو تترك، بل يؤمن أن الأمور بيد الله وأن النتائج تتم بقدرة الله وأن شيئاً لا قيام له إلا بالله.

بينما يعتقد الكافر - إن جاز أن تكون له عقيدة أن الأسباب هي الفاعلة والمعول عليها ولا علاقة لها بالتوفيق الأعلى.

إذن فالإسلام يحترم قانون الأخذ بالأسباب غير أن المسلمين لم يكونوا على مستوى دينهم مع هذا القانون، يقول الشيخ في ذلك متحسراً: «ومع حرص الإسلام على قانون السببية وتنفيذ النبي - صلى الله عليه وسلم - له بدقة فأنا لا أعرف أمة استهانت بقانون السببية وخرجت عليه وعبثت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية».

خامساً: وزن الإيمان في الهجرة

والإيمان في فكر الشيخ له وزن لا يستهان به في الهجرة فليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض خصبة إنها إكراه رجل آمن في سربه ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه وتضحيته بأمواله والنجاة بشخصه، وإشعاره بأنه مستباح منهوب قد يسلب أو يهلك في بداية الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة شخص بنفسه لقيل: مغامر طياش فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها حاملاً أهله وولده؟! وكيف وهو بذلك رضي الضمير وضاء الوجه.



ما السر وراء تحمله ذلك كله؟ وليس الأمر تحملاً وحسب إنما تحمل يصاحبه فرحة وسرور، وصبر يحوطه رضا وحبور، إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش، هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن تربي على تعاليم محمد، وقبس من أنوار الوحي وتضلع من هدي الإسلام.

أما الهياب الخوار القلق فما يستطيع أن يفارق أهله ووطنه فضلاً عن أن يكون بذلك مطمئن النفس رضيَّ الضمير.

سادساً: الهجرة حدث أكبر من أن تعلق عليه سورة واحدة

وهذه واحدة من مناقب الشيخ في فهمه للهجرة النبوية ذلك أننا ألفنا أن يتنزل القرآن تعليقاً على ما يكون من أحداث فيوجه المسلمين التوجيه الذي يفتقرون إليه فإن كان نصراً بين أسباب وكسر الغرور الذي قد يصاحب المنتصرين وإن كانت هزيمة بين أسبابها ومسح التراب الذي عفر جباه المنهزمين.

لقد نزلت سورة الأنفال في أعقاب غزوة بدر، ونزلت سورة الأحزاب في أعقاب غزوة الخندق ونزل النصف الأخير من سورة آل عمران في أعقاب غزوة أحد، فهل نزلت في أعقاب الهجرة سورة ولاسيما بعد نجاح رحلتها كما حدث في أعقاب الغزوات؟

ويجيب الشيخ على هذا التساؤل قائلاً: «لم يقع هذا، ولكن وقع ما هو أخطر وأهم، كان الله - سبحانه وتعالى - حكم بأن قصة الهجرة أكبر من أن تعلق عليها سورة واحدة، وأن تمر مناسبتها بهذا التعقيب وينتهي الأمر، فحكم - جل شأنه - بأن تكون ذكرى الهجرة قصة تؤخذ العبرة منها على امتداد الأيام، وتذكر في أمور كثيرة وفي مناسبات مختلفة».

ومن ناحية أخرى يرى الشيخ أنها لم تذكر في سورة واحدة مثل المعارك، لأن «هذه المعارك استغرقت أياماً قليلة أما الهجرة فشأن آخر لقد ظلت أفواج المهاجرين متصلة سنين عدداً وتطلب التعليق عليها مواضع عدة.

ومن ثم ذكرت الهجرة في سورة البقرة (١٠) وآل عمران (١١) والنساء (١٢) والأنفال (١٣) والتوبة (١٤) والنحل (١٥) والحج (١٦) والممتحنة (١٧) والتغابن (١٨) الحشر (١٩).. وكان التعليق في كل سورة إبرازاً لمعنى مقصود (٢٠).

سابعاً: بين هجرة المسلمين وهجرة اليهود

ويقارن الشيخ في كثير من المواضع بين هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة قديماً وبين هجرة اليهود من بلاد كثيرة إلى الأراضي الفلسطينية الطاهرة حديثاً، وهي مقارنة لم يلتفت إليها أحد - فيما أعلم - قبل الشخ الغزالي رحمه الله.

الهجرة، خطوات يتحرك بها القلب المؤمن في الحياة، فنتحرك في ركابها الثقة الغالية والتضحية النبيلة

وتتركز مقارنة الشيخ هنا في أمر يلتقي فيه المسلمون واليهود، وأمور يفترقون عندها.

فأما الذين يلتقون فيه فهو أن الدافع للهجرة كان عقدياً دينياً فالمسلمون هاجروا من أجل إقامة دين جديد في بلد آمن وهاجر اليهود من أوروبا وأميركا وآسيا وأفريقيا مقررين أن يتركوا أرضهم ولغتهم ويحترموا اللغة العبرية من أجل إقامة مملكة الله أو دولة إسرائيل فكلتا الهجرتين باسم الدين والعقيدة.

أما الأمور التي يختلفون عندها فهي:

١ - أن هجرة المسلمين كانت من صنعهم وبرغبتهم وتطلعهم إلى ثواب الله، أما هجرة اليهود فقد دبرها لهم غيرهم ومهد لها الانتداب البريطاني على فلسطين.

٢ - أن وصف المسلمين الذين تركوا مكة إلى المدينة يمكن أن نطلق عليهم بتعبيرنا العصري أنهم «مغامرون» لأنه لم يكن لهم على ظهر الأرض من نصير، فقد كانت الدنيا كلها ضدهم: مشركون ونصارى ويهود، أما المشركون فلأن القرآن عاب الأصنام وحقر الأوثان وهدم تقاليد الجاهلية، وأما المسيحية فإن الإسلام كان في مكة ينكر بحرارة أن يكون لله ولد، وذلك في سورة الكهف ومريم وغيرهما من السور المكية وأما اليهود - وهم عدو ثالث - فإن القرآن لم يترك من أمرهم شيئاً، فقد فضح عقائدهم وعرى صفاتهم الخبيثة المتعددة فلم يكن بد لهؤلاء جميعاً - وقد عالنهم القرآن بصفاتهم وخبايا هم - أن يغتاظوا ويغضبوا ويزداد كرههم للإسلام وحقدهم للمسلمين، ومن هنا لم يكن للمسلمين في الهجرة يد تحميهم إلا يد الله، ولا كنف يأوون إليه إلا كنف الله.

من ناحية أخرى كانت الجماعة المسلمة في ذلك الوقت ضعيفة من حيث العدد والعدة، وكان أعداؤهم يملكون عناصر القوة وأسباب الاضطهاد ورغم ذلك فقد نجحوا في بناء مدينة تأتي دونها في الوصف المدينة الفاضلة التي تعشقها الفلاسفة وتخيلوا فيها الكمال وأثبتوا أن الإيمان الناضج يحيل البشر إلى خلائق تباهي الملائكة سناء ونضارة.

بينما كانت حال اليهود مباينة لذلك من كل جانب فلقد تعهدت إنكلترا - الدولة الأولى في العالم يومئذ - ما بين عامي ١٩١٧ - ١٩٤٨ أن تكيف الظروف في فلسطين لاستقبالهم وكان الحاكم الإنكليزي في فلسطين يذل العرب ويعطش أرضهم حتى لا ينبت فيها زرع فيبيعها الفلسطينيون بأبخس ثمن أو بأغلاه، ولم تتعهد إنكلترا وحدها بذلك إنما تولى إصر ذلك معها أميركا وروسيا وفرنسا، كذلك بعض ملوك العرب بخيانتهم وخذلانهم.

من ناحية أخرى كان اليهود وأعوانهم غاية في القوة



والاقتدار بينما كان المسلمون أذناباً ضعفاء وكان كثير من حكامهم خونة عملاء، ومع ذلك فإننا نرى اليوم ما يحدث على أرض الرسالات من رعب وهلع لليهود، فلا يتمتعون بأمن ولا ينعمون باستقرار، ومصيرهم حتماً إلى الزوال بمنطق القرآن والسنة والتاريخ والواقع.

٣ - أن المسلمين الذين هاجروا كانوا دعاة توحيد لله وإصلاح للأرض كانوا يعلمون الدنيا أن الله رب العالمين لا شريك له وأن الناس يجب أن يسلموا وجوههم إليه ويحيوا على الأرض وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، فترفعت عن المآرب هممهم، وأخلصوا لله طواياهم، وذهلوا عن متاع الدنيا، واستهوتهم مثل عليا لا مثيل لها في الأولين والآخرين.

بينما كانت صلة اليهود بالله مغشوشة، والدوافع التي جاءت بهم، وإن كانت دينية إلا أن ما فيها من باطل أضعاف ما فيها من حق، وما يكتنفها من ظلم ليست معه شائبة عدل. من أجل هذا كله كان البون شاسعاً والفارق واسعاً بين هجرة المسلمين وهجرة اليهود.

ثامناً: قضايا تتعلق بالهجرة:

وفي فكر الشيخ الغزالي - رحمة الله عليه - يلتقي الحديث عن الهجرة بقضايا مختلفة منها:

١ - قضية عرض الإسلام:

وهي أن عرض الإسلام على الناس قبل الهجرة لم يختلف عن ما بعدها، لكن بعض الناس - ومنهم مستشرقون ومبشرون - يقول: كانت الدعوة الإسلامية قبل الهجرة تعتمد على الإقناع الحر والمنطق العقلي الواعي، ففي سورة الأنعام وهي مكية نقرأ قوله تعالى: «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها..» آية: ١٠٤. وفي سورة الكهف وهي مكية كذلك قوله: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر..»آية: ٢٩. وفي سورة يونس وهي مكية قوله: «وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون» آية ٤١ يونس.

هذا هو منطق عرض الإسلام في مكة فهل تغير في المدينة عما كان عليه في مكة؟! إن ذلك يتقاضانا أن ننظر في الوحي المدني بتأمل وأناة.

نقرأ في سورة البقرة وهي مدنية بيقين قوله تعالى: «قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم..» آية: ١٣٩. وفي نفس السورة قوله: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..» آية: ٢٥٦. وفي سورة آل عمران وهي مدنية كذلك نقرأ قوله تعالى: «فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد» آية: ٢٠. وفي سورة النساء وهي مدنية نقرأ قوله: «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن



تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» آية: ٨٠. وفي سورة المائدة وهي مدنية كذلك نقرأ قوله: «ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون» آية: ٩٩.. إلى غيرها من آيات تبين بغير لبس أو شبهة أن عرض الإسلام لم يتنكر في المرحلة المدنية لصفات الحرية والعقل الواعي ومنطق الإقناع التي تبناها في المرحلة المكية.

٢ - قضية التشريع:

وهي أنه شاع بين الناس أن ما بعد الهجرة كان عصر تشريع، وما قبلها كان عهد تمهيد، وهذا كلام مدخول يحتاج إلى شيء من المراجعة والتوضيح.

إن شرائع الإسلام من عقائد متينة وأخلاق كريمة كلها تمت قبل الهجرة، فالصلاة والزكاة، والعقائد كلها شرعت قبل الهجرة، أما الحج فشعيرة معروفة منذ شريعة إبراهيم، ولا يقدح تأخر تشريع الصوم بعد الهجرة في أن ما قبل الهجرة كان عصر تشريع لأهم ما تحتاج إليه الأمة في عقائدها وعباداتها وأخلاقها، حتى الربا وإن جاء تحريمه في المدينة، فقد أشعر بذلك القرآن المكي في سورة الروم: «وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله». آية: ٣٩.

شرائع الإسلام من عقائد متينة وأخلاق كريمة كلها تمت قبل الهجرة. فالصلاة والزكاة، والعقائد كلها شرعت قبل الهجرة

فالعصر المكي كان عصر تشريع إلى جانب العصر المدني الذي أكمل التشريع، وفرع في كثير من المسائل بعد استقرار المجتمع الإسلامي.

٣ - قضية الإعجاز:

والتي أثارها في فكر الشيخ الغزالي المستشرق المجري المعروف «جولد زيهر» الذي قال إن القرآن المدني أقل بلاغة من القرآن المكي، وتبعه في هذا اللغو بعض الذين كانوا يدرِّسون في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وبقوا في أماكنهم ينشرون هذا الإلحاد إلى إن ماتوا.

والقرآن قطعاً ليس كما زعموا، إنما هو بمكيه ومدنيه سواء في إعجازه وبلاغته والتحدي به، غير أن بعض القرآن ثوابه أفضل من بعض فآيات التوحيد والعقيدة أكثر مثوبة عند الله من آيات تتحدث مثلاً عن زواج وطلاق ومواريث، من أجل هذا فسورة الإخلاص وآية الكرسي مثلاً أكثر في الثواب من سور وآيات كثيرة.

بعد هذا العرض الفكري السريع للهجرة النبوية عند الشيخ محمد الغزالي نستطيع القول: إن الفكر الغزالي للهجرة النبوية يأتي أنموذجاً فريداً في القضايا التي تمخض عنها فكره والآراء التي توصل لها عقله، وهذا نابع من تمكن الشيخ من الثقافة الإسلامية، وإدراكه البعيد للواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية، وتجاربه الواسعة في الدعوة إلى الإسلام وقيم الإسلام. رحمه الله رحمة واسعة ●





إن الله معنا

على هامش الهجرة النبوية

حدث غيّر مجرى التاريخ

بقلم: علاء الدين معصوم حسن

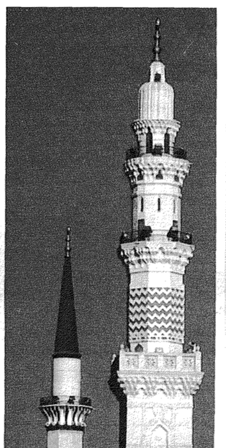


قال الله تعالى في كتابه الكريم: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم). (البقرة – ٢١٨).

عندما نستعرض حياة أنبياء الله ورسله نجد أن عدداً كبيراً منهم قد هاجر، فهذا إدريس عليه السلام الذي أُعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، فنهى قومه عن مخالفة الشريعة فما أطاعه إلا القليل، فهاجر من (بابل) وهاجر معه بعض من اتباعه، وأقام في وادي النيل يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

– وهذا نوح عليه السلام، عكف قومه على عبادة الأصنام، فأنذرهم بعذاب الله، فكذبوه واحتقروه، وبعد أن مكث بينهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ما زادوا إلا طغياناً وكفراً، فاستعان بالله عليهم بعد أن نفد صبره، فأوحى الله إليه أن يصنع السفينة، وأن يحمل عليها من آمن، وتفتحت أبواب السماء بالماء، وتفجرت الأرض بالعيون، واستقرت سفينته على الجودي.

– وهذا هود عليه السلام، أرسل إلى قوم عاد بالأحقاف بين اليمن وعمان، فدعاهم إلى عبادة الله، فأعرضوا واستكبروا بغير الحق، فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً وأذاقهم العذاب، ونجى الله هوداً ومن آمن معه، فهاجروا إلى حضرموت.



– وهذا صالح عليه السلام، أرسله الله إلى ثمود، فدعاهم إلى طاعة الله، ولكنهم عقروا الناقة التي نُهوا عن إيذائها، فأنقذه الله، وأنزل بالكافرين عقابه فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ووقتئذ هاجر صالح ومن معه إلى الرملة في فلسطين، وتابع طريق الدعوة إلى الله.

– وهذا إبراهيم عليه السلام، يخرج من بلد إلى آخر، حتى استقر به المقام في مدينة (الخليل) التي سُمّيتْ باسمه ودُفن فيها. قال تعالى: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم). العنكبوت/ ٢٦.

– وهذا موسى عليه السلام يخرج من مصر بعد أن قتل ذلك القبطي خطأ واستغفر الله، فقال له من قال: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين. فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين) القصص ٢٠-٢١.

فذهب إلى مدين وعاش فيها عشر سنين مع ذلك الشيخ الكبير بعد أن تزوج ابنته.

– وهذا يونس عليه السلام، الذي ظهرت دعوته في (نينوى) بالعراق، لإصلاح شأن قومه، لكنهم لم يستجيبوا له، فهاجر عنهم باتجاه البحر دون إذن من الله، فالتقمه الحوت وأعاده إلى الشاطىء بأمر الله، وأوحى الله إليه أن يعود إلى



عشيرته فعاد فوجد السنتهم تلهج بذكر الله: (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين). (الأنبياء ٨٧ - ٨٨).

- أما محمد صلى الله عليه وسلم، فقد عاش حياته كلها هاجراً ومهاجراً من بدء وعيه إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.. هاجر بفكره أولاً ما كان عليه قومه من ظلم وباطل، ثم هاجر إلى غار حراء متأملاً قدرة الله حتى تهيأت نفسه لتلقي خبر السماء. ولما جهر بدعوته كان العذاب والإيذاء، فأمر بهجرتين إلى الحبشة.

ومرت الأيام، وجاء عام الحزن، حيث فقد عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب، وزوجه خديجة رضي الله عنها، وزادت قريش من أذاها، فما كان منه إلا أن هاجر إلى الطائف، فما وجد فيها أفضل مما وجد في مكة، فعاد يناجي ربه شاكياً إليه ضعف قوته.

ثم تأتي الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة بوحي من الله تعالى. وما أن بلغ عليه الصلاة والسلام ظاهر مكة حتى التفت إليها قائلاً: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما اخرجت». رواه الترمذي وابن ماجة.

وقضى الله عز وجل على خُطط المشركين الذين أتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً يعطى كل منهم سيفاً صارماً ليضربوا محمداً ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). الأنفال/ ٣٠. فإذا بهم قد أغشي عليهم فهم لا يبصرون: (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون). يوسف/ ٢١ وأخذ كل من الثلة المؤمنة دوره:

- علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينام في فراش رسول الله، مضحياً بحياته فداء لرسول الله.

- عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنه ينقل الأنباء.

- عبدالله بن أريقط يدل على الطريق.

- عامر بن فهيرة يخفي الأثر.

- عائشة وأسماء رضي الله عنهما تعدان الطعام.

وهاجر عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ودخلا غار (ثور)، ودخل الصديق أولاً ليؤمن النبي الكريم من الخطر، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال كل مؤمن.

ويقف المشركون على باب الغار، فيقول الصديق رضي الله عنه: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا! فيقول عليه الصلاة والسلام:

«ما ظنك باثنين الله ثالثهما» رواه الشيخان.

وأعمى الله أبصار المشركين، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخل الغار.

وتابع الرسول وصاحبه الرحلة المباركة سالمين غانمين:

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) (التوبة / ٤٠).

هاجر عليه الصلاة والسلام سراً ليعلمنا الأخذ بالأسباب، وودع وطنه مستعيناً بالكتمان، والقلب يخفق، وجبريل يبشره بأن الله سيعيده عما قريب ظافراً فاتحاً: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادُك إلى معاد) (القصص/ ٨٥).

وبينما هما في الطريق إلى يثرب، كان الصديق رضي الله عنه يتوجس خيفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فساعة يمشي عن يمينه، وتارة عن شماله، وطوراً خلفه، وحيناً أمامه.. فيسأله عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فيرد رضي الله عنه: إن أصبت فإنما أنا رجل واحد، وإن أصبت يا رسول الله هلكت الأمة.

ويواصلان السير في تلك الصحراء، فيراهما سراقة بن مالك، وكان قد خرج يطلب رسول الله وصاحبه طمعاً في الحصول على مئة ناقة - جعلتها قريش مكافأة لمن يأتي بمحمد وصاحبه حيين أو ميتين، ولكن الله حال بينه وبين ما أراد، وسقط عن فرسه، فعلم بأن محمداً رسول الله ،محصن من الله وراح يطلب الأمان، فلبى طلبه نبي الرحمة.

ولما أراد صهيب الرومي رضي الله عنه أن يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجىء بمن يريدون منعه قائلين: أتيتنا صعلوكاً وها أنت أضحيت ذا مال. فقال: إن دللتكم على مكان مالي، أكنتم تاركي من أجل أن أهاجر؟ قالوا: نعم. فدلهم على أواق من ذهب تحت باب دار له في مكة، وقال: هنالك الذهب فخذوه. ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عليه الصلاة والسلام: «ربح البيع أبا يحيى».

وها هو أبو سلمة رضي الله عنه، ينطلق مهاجراً إلى الله، مؤثراً سلامة عقيدته على اقوى مظاهر أرتباطه بالأرض والأسرة. ثم هاهي أم سلمة رضي الله عنها، تنطلق بطفلها لتلحق بزوجها، فيلحق بها أهلها وأهل زوجها، ليمنعوها من الهجرة، وينزعوا منها فلذة كبدها، ويتنازعون الولد فيما بينهم حتى خلعوا كتفه، والأم متمسكة بالصبر، مؤثرة سلامة دينها على كل علاقة أخرى، إلى أن خلوا سبيلها، فانطلقت تقطع الفيافي والقفار لا حقه بزوجها رضي الله عنه.

لقد كانت هجرة هؤلاء هجرة قلوب قبل أن تكون هجرة أبدان، وعند الله تعالى لا تنفع هجرة الأبدان إلا عندما تكون تلبية لهجرة القلوب.. والإسلام لا يرضى لأتباعه حياة الضعف والهوان: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). (المنافقون /٨).

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن

عليك، فاطلب لنفسك مسكناً

وإياك والسكنى بمنزل ذلة

يعد مسيئاً فيه من كان محسناً

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة). النساء /١٠٠

ويعود الفضل في نجاح الهجرة إلى العهد المكي الذي استطاع فيه رسول الله أن يقيم الأساس..

خفي الأساس عن العيون تواضعاً

من بعد ما رفع البناء مشيداً

فلقد كانت مرحلة مكة مرحلة دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان يلقن الرسول فيها تعاليم السماء لخلاصة أصحابه، لبناء جيل بلغ الدعوة إلى العالم، حيث نزل نحو ثمانين سورة في ذلك



العهد، فتهيأ عليه الصلاة والسلام لهذا العبء الثقيل بالقرآن وقيام الليل: (يأيها المزمل. قم الليل إلا قليلاً. نصفه أو انقص منه قليلاً. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً). المزمل / ١ – ٥.

ولم يقنط الرسول من رحمة ربه، حتى هيأ الله له فئة بايعهم في العقبة مرتين، وعاهدهم وعاهدوه في البيعة الثانية على أن يهاجر إليهم وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم.

ولما وصل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة عام ستمئة واثنين وعشرين للميلاد، استقبل أكرم استقبال، ووجد فيها قلوباً تفتحت لدعوة الحق، كل يعمل لخير الإسلام وتحقيق العزة والحرية.. إنها هجرة في سبيل الرحمن، أما عندما ينضم الإنسان إلى الباطل، فإن هجرته تكون في سبيل الشيطان. فالهجرة حركة مبدئية فاعلة، ذات منطلق وغاية وهدف، يغلفها اطمئنان ناتج من الثقة بالله عز وجل، ومن أجل تحديد المنطلق لابد أن نستند إلى أمر الله، ومن عمل من غير أمر الله ضاع وتاه.

وتكشف الصورة التي استقبلت بها المدينة رسول الله، عن مدى المحبة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار.. لقد كانوا ينتظرون تحت لفح الشمس وصول النبي الكريم، حتى إذا أدبر النهار عادوا في صباح اليوم الثاني، فلما طلع رسول الله عليهم، جاشت عواطف الأنصار، وانطلقوا يعبرون عن مدى محبتهم الشديدة لرسولهم الكريم.

وكان بناء المسجد أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم لدى وصوله المدينة، وكان يباشر العمل مع أصحابه، وينقل الحجارة بنفسه، لأن روح المحبة والمساواة لا تتم إلا في المسجد الذي يعد برلمان الأمة، ففيه عقدت الرايات، ومنه تخرج القادة، وهو مركز الشعائر، وعلى منبره تلقى تعاليم المودة.

ولم يكن المسجد الذي أقامه رسول الله مزخرفاً، وإنما كان مفروشاً بالرمل، مسقوفاً بسعف النخيل، أعمدته جذوع الشجر.. وهذا المسجد هو الذي بنى الحضارة، فاستماع الناس إلى صوت نبيهم وهو يقرأ القرآن أمدهم بقوة روحية وأدبية وحماسية.. صوت خاشع في محراب جليل، يرتل الوحي المبارك، يناجي به رب العالمين.



ثم آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار حتى جرت بينهم أنهار العطاء: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة). الحشر/٩.

وفي ظل الهجرة المباركة تكونت القاعدة الإسلامية الحرة التي انطلق منها دين الإسلام ليغمر بقاع الأرض بأنوار هديه، وفي أعقاب أحداثها تمت ولادة التشريع الإسلامي الحنيف، واستقبلت البشرية منهج الله في واقعة العملي بتفاصيله المحكمة، فالهجرة الشريفة جسدت أسمى مواقف الصبر والثبات، وأعظم مظاهر التضحية والفداء، حيث انطلق المسلمون تاركين بيوتهم وأهليهم وأموالهم صابرين محتسبين في سبيل سلامة عقيدتهم، فسجل التاريخ في حركة هجرتهم أسطع وأروع الصفحات.

ولقد حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاهلية إلى علم وحكمة، وحول الشتات إلى اجتماع وقوة، فأصبحت تعرف الواجب نحو الضعيف، وتعرف للفقير حقه، وتجعل من ذلك كله هدفاً وغاية.

ولقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عظمة الهجرة، كما أدرك المسلمون ذلك، فجعلوها بدءاً للتاريخ الإسلامي لأنها ساعدت على نشر الإسلام.

تاريخنا من رسول الله نبدؤه
وما سواه فلا عز ولا شان

فلنهاجر إلى الله ورسوله، ولننتهز الفرصة للتذكير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبشخصية هذا النبي العظيم، وبرسالته العامة الخالدة التي جعلها الله رحمة للعالمين.

وإننا عندما نتحدث عن هذه المناسبة وغيرها إنما نذكر الناس بنعمة عظيمة، والتذكير بالنعمة محمود ومطلوب، والله تعالى أمرنا بذلك فقال: (يأيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا). (الأحزاب – ٩ – ١٠).

فحينما غزت قريش وغطفان المسلمين في عقر دارهم، وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، وأرادوا وابادة خضراء المسلمين، أنقذهم الله تعالى وأرسل عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة لم يرها الناس.. والقرآن الكريم يطلب إلينا أن نذكر هذه النعم وغيرها.. (يأيها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون). (المائدة/١١).

فذكر هذه النعم وما فيها من عظات وعبر مطلوب أن نتحدث عنها، لأنها تمثل تجسيداً للأسوة المحمدية، ومن حقنا أن نتمثل هذه الأسوة، فرسول الله خير الناس في كل شيء، جعله الله المثل الأعلى ليرى الناس الكمال البشري مجسداً في شخصه صلى الله عليه وسلم ●



إن الله معنا

الهجرة.. ذكرى وأمل وعبرة

الدكتور محمد حسين الحسين - إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

كلما أطل شهر الله المحرَّم وبدأ العام الهجري الجديد عادت الذكرى بالمسلمين إلى صدر الإسلام ونشأة المسلمين.

حقاً.. إنها لذكرى عظيمة في حياة الإسلام والمسلمين، تتطلع نفوسهم إلى ماضيهم التليد، وتهفو أفئدتهم إلى مجدهم وعزهم القديم ذكريات عظيمة وآمال جسيمة وعبر قويمة.

يتذكر.. المسلمون كيف بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته إلى الله تعالى فآمن به من آمن وكفر به من كفر.

الظهور والإشراق، فصدوا عن سبيل الله وآذوا المسلمين والمؤمنين، ولم يكتفوا بذلك بل وصل أذاهم وأيديهم الدنيئة إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فآذوه، شخصياً ونفسياً لا لسبب وإنما، لأنه دعاهم إلى الايمان بالله وحده لا شريك له وترك عبادة الحجارة التي صنعوها بأيديهم. ودعاهم إلى كلمة إذا قالوها سادوا العرب ودانت لهم العجم إنها كلمة «لا إله إلا الله».

يتذكر المسلمون المؤامرة الكبرى التي اجتمع فيها المكر السيء من المشركين والكيد الآثم من الشياطين ليضعوا حداً لمحمد ودعوته فيحبسوه أو ينفوه أو يقتلوه (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال/٣٠.

يتذكر المسلمون تلك الليل الآثمة التي اجتمع فيها شباب المشركين وفتيانهم الأقوياء حول بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه إذا خرج لصلاة الفجر بضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل ويرضى أهله بالدية.

يتذكر المسلمون كيف خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته وسط هذه الجموع التي جاءت تريد قتله - بنفوس يملأها الحقد والكراهية - وهو يقرأ قوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) يس/٩.

يتذكر المسلمون كيف جن جنون قريش لما علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من بين من جاءوا يريدون قتله ولم يشعروا به.

يتذكر.. المسلمون كيف بلغ حقد قريش ذروته إذ سارعوا في طلب الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعوا الجائزة (مئة ناقة) لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً.

يتذكر المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق وقد وصل طلب المشركين إلى بوابة الغار وأصبح الصديق يرتجف خوفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيجيبه، صلى الله عليه وسلم، قائلاً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما». قال تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة/٤٠.

يتذكر.. المسلمون طريق الهجرة بمشاقه ومصاعبه ومتاعبه وأهواله وفيافيه وقفاره وحره وقسوته يمخر عبابه الموكب الميمون رسول الله وصاحبه ومعهما الدليل عبدالله بن أريقط، يعترضهم سراقة بن مالك طالباً رسول الله طامعاً في جائزة قريش، فيصيبه ما أصابه من الهلع والخوف، فيطلب الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يريد أسره وتسليمه لقريش، ويبشره الرسول بقوله: «كيف أنت يا سراقة إذا لبست سواري كسرى» وتمر الأيام ويفتح الله بلاد فارس للمسلمين وتأتي الغنائم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيها سوارا كسرى فينظر إليهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويدعو سراقة ليلبسه سواري كسرى فكأنه استحلاهما فأمره عمر بنزعهما وقال له: إنما فعلت ذلك لأصدق وعد رسول الله صلى الله علية وسلم.

يتذكر.. المسلمون أهل المدينة وقد خرجوا لاستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفرح والسرور والغبطة والسعادة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اختارهم ليكونوا أنصاره وليقيم دولة الإسلام في المدينة المنورة.



يتذكر.. المسلمون أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة عندما وصلها حيث أسس مسجده وآخى بين المسلمين المهاجرين والأنصار وأمن المدينة بكتابة الصحيفة مع من كان فيها من اليهود.

يتذكر.. المسلمون بناء دولة الإسلام وعقد ألوية الجهاد في سبيل الله لنشر دين الله ولنصرة المستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان.

يتذكر.. المسلمون دخول الناس في دين الله أفواجاً بعد أن انتشرت الدعوة وعمت آفاق الأرض.

يتذكر.. المسلمون إعزاز الله لدينه ولرسوله وللمؤمنين وكيف أظهر الله دينه على الدين كله.

يتذكر.. المسلمون ذلك كله وعيونهم تنظر بخجل وحسرة وألم وأسى وحزن إلى واقعهم الأليم اليوم فيرون مجدهم قد انهار ويرون حضارتهم كأنها تحتضر، يرون عزتهم وقوتهم بعيدة عنهم، يرون فرقتهم وضعفهم، يرون ذلهم وهوانهم على أعدائهم يرون بعضاً من أرض الإسلام التي فتحها آباؤهم وأجدادهم بدمائهم وأرواحهم تنساب من أيديهم لتقع في أيدي أعدائهم وهم يتسلطون على إخوانهم في الدين فيسومونهم الخسف ويمنعونهم النصف ويذيقونهم الذل والهوان. يرون أرض الإسراء وثالث الحرمين تعبث فيه أيدي اليهود الخبيثة فيدنسونه ويقتلون أهله وهم الذين أخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد نقضهم العهود والمواثيق، وهم الذين نفاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أرض الجزيرة تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبين هذه الآلام وتلك الذكريات دروس وعبر وآمال وعظات يستفيدها المسلمون.

فمن هذه العبر:

(١) أن يقف المسلمون وقفة محاسبة مع النفس لتجديد العهد مع الله وفتح صفحة بيضاء نقية لتحديد المسار وتصحيح الأهداف وتدارك ما فات وإصلاح ما فسد وإعادة ما سلب وضاع.

(٢) أن يذكر المسلمون أن الهجرة كانت حداً فاصلاً بين الباطل والحق وبين الضعف والقوة، وبين الذلة والعزة وبين الضياع والوجود.

(٣) أن يذكر المسلمون أن الهجرة بناء دولة وأمة وإقامة كيان وإثبات وجود فمنذ اليوم الأول للهجرة أسس الرسول، صلى الله عليه وسلم، قواعد دولة الإسلام وقام للإسلام دولة ورجال يحسب لهم ألف حساب.

(٤) أن يخلص المسلمون دعوتهم إلى الله تعالى وأن يصدقوا فيها، فلقد أخلص الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته إلى الله وبذل كل جهد في سبيل هذه الدعوة ورفض كل المغريات التي عرضت عليه لترك الدعوة.

(٥) أن يثق المسلمون بالله وأن يعتمدوا عليه فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عظيم الثقة بالله كثير الاعتماد عليه في كل أحواله لا يخشى في الله لومة لائم.

(٦) أن يقدم المسلمون التضحية والفداء وقد كان للتضحية والفداء التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر الأثر في بناء الأمة وإرساء الدولة الإسلامية.

ضحى المسلمون الأوائل بكل غال ونفيس وبالروح والمال والأهل والولد والوطن وباعوا أرواحهم لله تعالى وهاجروا إلى الله ورسوله رجالاً ونساء شيباً وشباباً كباراً وصغاراً.

وضحى الأنصار في سبيل نصرة دين الله عز وجل وقاموا بحق الأخوة الإسلامية خير قيام، وضحى الخلف من بعدهم بأرواحهم ودمائهم وأموالهم في سبيل الله وجاهدوا لإعلاء كلمة الله حتى انتشر الإسلام وانتصر، وعلا أمر هذا الدين وملأ آفاق الأرض.

هذه هي الهجرة وهذه بعض معانيها ودروسها وعبرها.

نسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يعيد للمسلمين عزهم وكرامتهم ويمكن لهم في الأرض وأن يعيدهم كما كانوا خير أمة أخرجت للناس ●





الشيخ يحيى عربونا لـ الوعي الإسلامي

ستظل الكويت رائدة العمل الخيري الإسلامي في العالم

حاوره: أحمد توفيق هلال

قال تعالى: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون) البقرة:٢٧٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً، متفق عليه.

العمل الخيري في الكويت قديم قدم تاريخ الكويت وهو أحد مظاهر الهوية الإسلامية للمجتمع الكويتي، ولقد كان المحسنون من أهل الكويت يبنون المساجد كعمل من أعمال الخير، بل إن كثيراً ممن أنعم الله عليهم يوصون بتخصيص ثلث تركاتهم لبناء المساجد، ولم يكتف الرعيل الأول من المحسنين من أهل الكويت ببناء المساجد في بلدهم فقط، بل إنهم كانوا يبنون المساجد، ويجهزونها كاملة على نفقتهم الخاصة، في بعض المدن والعواصم الأخرى لتكون موئلاً للعباد الصالحين ومركزاً لنشر الإسلام وعزته وإعلاءً لكلمة الله، فرسموا بذلك الطريق للتابعين من أهل الكويت وجعلوا من العمل الخيري نبضاً في كل قلب وهدفاً لكل محسن يريد أن يُبقي أثراً صالحاً وصدقة جارية يسهم بها في خدمة الدين وتحقيق أغراضه في الحياة والمجتمع.



● الشيخ يحيى عربونا ●

وفي زيارة الشيخ «يحيى عربونا مايغا» - مدير مركز «كانكوموسى» الإسلامي بجمهورية مالي - للكويت بهدف جمع التبرعات لدعم وتمويل المركز الإسلامي بمالي كان لمجلة الوعي الإسلامي معه هذا اللقاء.

● بدءاً نرجو إعطاء القارئ نبذة موجزة عن جمهورية مالي؟

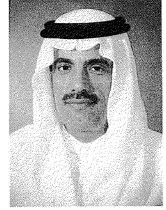
- جمهورية مالي إحدى دول غرب أفريقيا الكبرى، تبلغ مساحتها (١٢٤١٢٣٨) كم٢، وتنحصر بين سبع دول أفريقية «النيجر وبوركينا فاسو شرقاً، وموريتانيا والسنغال غرباً، والجزائر شمالاً وغنيا كوناكري وساحل العاج في الجنوب الغربي».

وتنقسم جمهورية مالي إدارياً إلى ثمانية أقاليم، ومعلوم تاريخياً أن مالي احتضنت في القرون الماضية حضارات عريقة ونشأت على أرضها أمبراطوريات إسلامية واسعة، واشتهرت عالمياً بمدنها التاريخية والتي منها «تومبكتو وجيني»، وبعلمائها النابغين وفقهائها الأتقياء وقضاتها البارزين أمثال «محمد باغايوغو، والعباس كيبي، ومحمد بن عمر محمود، وأحمد بن الحاج أحمد، وأحمد بابا»، وبملوكها وأباطرتها المسلمين أمثال: «سونجتاكيتا، وكانكو - موسى وأسكيا محمد» وغيرهم.

مركز كانكو - موسى الإسلامي

● علمنا أن زيارتكم لدولة الكويت الهدف منها جمع التبرعات لدعم مركز «كانكو - موسى» في جمهورية مالي - فما المركز هذا ومن أين جاءت تسميته؟

- لقد تم بعون الله ومشيئته تأسيس مؤسسة تعليمية إسلامية باسم مركز «كانكو - موسى» الإسلامي في مدينة «بماكو» عاصمة جمهورية مالي العام



● عبدالكريم البابطين ●



● مركز سعود عبدالعزيز البابطين في مالي ●

عبدالكريم البابطين مول المركز الإسلامي بمبلغ ١٦١ ألف دولار

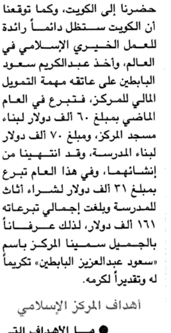
١٩٩٥م، إلا أن البداية كانت متواضعة نتيجة لضعف التمويل.

أما عن تسمية المركز قلت سابقاً إن «كانكو - موسى» هو أحد الأباطرة المسلمين وهو ابن «نانا كانكو - موسى» وأبي بكر سالم الثاني، وقد سُمِّي «كانكو - موسى» نسبة إلى أمه «كانكو» حسب التقاليد الموروثة في الأسرة المالكة لقبيلة «كيتا»، وقد تولى عرش أمبراطورية مالي ٧١٢هـ - ٧٣٨هـ الموافق ١٣١٣م - ١٣٣٧م، وقد اتخذ الإسلام ديناً لدولته، وفي عهده بلغت أمبراطورية مالي ذروة مجدها من العظمة والاتساع والمنعة والتنظيم والرخاء حتى وصلت شهرتها إلى البلدان العربية والأوروبية.

ولقد اشتهر هذا الأمبراطور المسلم بالتقوى والورع وسعة العلم والثقافة وإجادة اللغة العربية، وأجمعت الدراسات الإسلامية التاريخية أن الإمام «منسي موسى»، أنشأ المدارس والمعاهد الإسلامية، واستقدم العلماء ذوي الكفاءة العالية من كل بلاد العالم الإسلامي للتعليم والدعوة، وابتعث أبناء أمبراطوريته لتلقي مختلف العلوم في كل بلاد العالم الإسلامي، وقد أعد الإمام الجليل دعاة وأئمة ذوي كفاءة علمية، ووجههم إلى بلاد «هوسا» و«اليوروبا» (نيجيريا) للدعوة والتعليم، فنجحوا في إدخال كثير من أبناء شعب «اليوروبا» في الإسلام للمرة الأولى، ولذا يُدعى الإسلام في تلك البقاع «دين مالي حتى اليوم»، لكثرة رحلاتنا في الدعوة إلى الإسلام.

هذا، ومازال أحفاد أولئك الملوك المسلمين العظام يقتدون بآثار أسلافهم إلى يومنا هذا، وتخليداً لاسم ومآثر هذا الأمبراطور المسلم، ارتأينا إنشاء «مؤسسة تعليمية وتربوية ومهنية باسمه»، إلى أن تم تغيير اسم المركز وأصبح مركز «سعود عبدالعزيز البابطين».

١٦١ ألف دولار من عبدالكريم البابطين



● ما السبب في تغيير اسم المركز؟

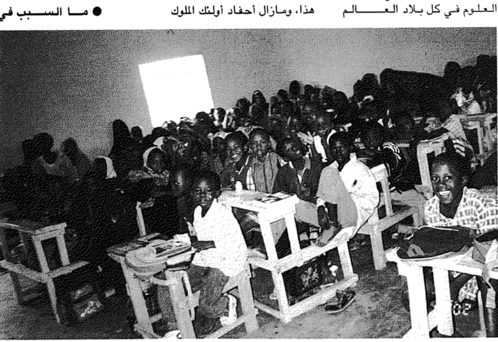
- كما ذكرت سابقاً كانت بداية المركز الإسلامي بداية متواضعة لضعف التمويل، وقد فكرت إدارة المركز في أن نقوم برحلات إلى دول الخليج لجمع التبرعات لتوسعة نشاط المركز، ومن ثمَّ حضرنا إلى الكويت، وكما توقعنا أن الكويت ستظل دائماً رائدة للعمل الخيري الإسلامي في العالم، وأخذ عبدالكريم سعود البابطين على عاتقه مهمة التمويل المالي للمركز، فتبرع في العام الماضي بمبلغ ٦٠ ألف دولار لبناء مسجد المركز، ومبلغ ٧٠ ألف دولار لبناء المدرسة، وقد انتهينا من إنشائهما، وفي هذا العام تبرع بمبلغ ٣١ ألف دولار لشراء أثاث للمدرسة وبلغت إجمالي تبرعاته ١٦١ ألف دولار، لذلك عرفاناً بالجميل سمينا المركز باسم «سعود عبدالعزيز البابطين» تكريماً له وتقديراً لكرمه.

أهداف المركز الإسلامي

● ما الأهداف التي يسعى مركز «سعود عبدالعزيز البابطين الإسلامي» إلى تحقيقها؟

- الهدف الرئيس لإقامة المركز الإسلامي هو:

١ - تعليم أبناء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية سليمة، وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في



● أحد الفصول الدراسية في المركز ●

قلوبهم ترسيخاً ثابتاً.

٢ - إيقاف السياسة التبشيرية المتزايدة بدعم من المجلس المسيحي العالمي خلال السنوات الأخيرة في جمهورية مالي.

٣ - فتح سوق العمل لخريجي المدارس العربية الإسلامية مثلهم زملائهم في المدارس الفرنسية في جمهورية مالي.

٤ - العمل على توافر الرخاء والرفاهية لجميع أبناء الوطن العزيز.

٥ - مكافحة الجهل والأمية والمرض والفقر.

أنشطة أخرى

● هل توجد أنشطة أخرى للمركز في الأقاليم الأفريقية بصفة عامة؟

- الوضع الديني والاجتماعي السائد في هذه الأقاليم قبل استقلال بلادنا كانت الوثنية منتشرة والتبشير المسيحي منتشر على نطاق واسع، وبشكل قوي جداً، وللتصدي لهذه الظاهرة المتداعية ودحض هذه الأباطيل والخرافات الواهية، كانت إدارة المركز تنظم رحلات توعوية ودعوية إلى دين الله بأسلوب مرن وجذاب ومقنع، لتعلم الناس وتفهمهم حقيقة الإسلام ومبادئه وتعاليمه السمحة، وبعد مرور بضع سنوات فقط على هذه الرحلات الميمونة، اعتنقت أغلبية هذه الأقاليم دين الله ودخلوا به أفواجاً طائعين مقتنعين، وكانت إدارة المركز قد تعهدت في مواصلة هذه الحركات الإسلامية النشطة بكل ما أوتيت من قوة.

● هل يتعامل المركز مع جهات خيرية أخرى في الدول الإسلامية؟

- في إطار نشاطاتنا المتنوعة والفاعلة تتعاون إدارة المركز الإسلامي مع بعض المنظمات الإسلامية والهيئات الخيرية الإسلامية لمساعدة المسلمين المحتاجين في بلادنا، وهذه الهيئات هي:

١ - الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت لبناء المساجد.

٢ - تتعاون إدارة المركز وإدارة الجمعية النسائية مع جمعية قطر الخيرية في توزيع الأضاحي وكفالة الأيتام منذ العام ١٩٩٦م إلى يومنا هذا.

٣ - منظمة الدعوة الإسلامية في الشارقة «الإمارات العربية المتحدة» لتوزيع الأضاحي وكسوة الأيتام.

٤ - صندوق التضامن الإسلامي بجدة «المملكة العربية السعودية».

٥ - جمعية دار البر في دبي.

إضافة إلى بعض رجال الخير والإحسان في الإمارات العربية المتحدة والكويت أمثال عبدالكريم سعود البابطين.

الدعم الحكومي للمركز الإسلامي

● هل يلاقي المركز دعماً من حكومة مالي؟

- منحت الحكومة للمركز أرضاً تبلغ مساحتها الكلية ١٠٠٠٠م٢ في ١٦/١١/١٩٩٥م، تتسع هذه القطعة لبناء فصول جميع المراحل الدراسية، إضافة إلى المرافق اللازمة التابعة للمركز الإسلامي، كما أن المركز يمتلك أيضاً قطعة أرض في كل من إقليم «كوليكورو» مساحتها ١٠٠٠م٢، وفي مدينة «بوغوني» مساحتها ٣٦٠٠م٢.

● كلمة أخيرة:

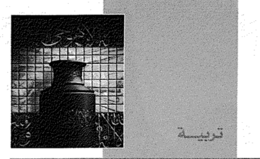
- أخيراً ترفع إدارة مركز سعود عبدالعزيز البابطين مشاعر الامتنان والعرفان بالجميل إلى جميع الهيئات الخيرية الإسلامية، وإلى جميع أهل الخير والإحسان الذين تتعاون معهم في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين في العالم أجمع وعلى رأسهم الأخ عبدالكريم سعود البابطين في دولة الكويت، ونأمل أن يستمر التعاون والتضامن مع كل من يعمل من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل، آمين أن يمدّ الخيرون إلينا يد العون والمساعدة لنستطيع الاستمرار فيما شرعنا فيه من تنفيذ مشاريع إسلامية كثيرة ومهمة نعتزم إنجازها في المستقبل إن شاء الله ●

● جانب من المدرسة ●

سمي الدين الإسلامي في أفريقيا بدين مالي لكثرة رحلاتنا الدعوية إلى الإسلام



● المبنى الغير المنتهي ●



تربيـة

عشق الذات

بقلم: د. محمد محمود متولي. كلية الشريعة - الكويت



لبعض الناس عشق شديد لمصالحهم سواء أكانت مشروعة أم غير مشروعة، فهم يدورون حولها، ويجعلونها محور فكرهم ونشاطهم، ويؤسسون كل علاقاتهم ومعاملاتهم على حساب أرباحهم وخساراتهم من أي خطوة يخطونها في حياتهم، ويمضون في هذا الوله إلى درجة إهلاك أنفسهم، أو إضاعة دينهم، أو دين ومصلحة غيرهم، ويصدق فيهم قوله تعالى: (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) الأنعام:٢٦.

ولهم آمال يحاولون تحقيقها بأي سبيل، مهما شطت السبل، ولكنهم يمضون إلى غاياتهم، فأحياناً ينجحون، وأحياناً يخفقون، ولا يزيدهم الإخفاق إلاسعاراً، فيهم ليونة الأفعى وسميتها، همهم الدنيا بأموالها ومناصبها ومتاعها ناسين قوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً) النساء:٧٧.

ولعشق الذات آثار مدمرة في حياة الفرد والجماعة، وهو على كل حال أنموذج اجتماعي موجود الأنانية.

للدوران حول النفس وعشقها وتعظيمها وتنزيهها عن المقابح والتغافل عن عيوبها آثار حسية ومعنوية مدمرة منها:

١ - تضخم الأنا بفعل دوافع الطمع أو الحسد أو التعالي، أوالحرص الشديد على المصلحة، وهم يصمون آذانهم عن كل فصح، ويحق فيهم قوله تعالى: (بل عجبت ويسخرون. وإذا ذكِّروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون) الصافات:١٢ - ١٤، وقوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) التوبة: ٧٥ -٧٧.

كما يحاولون الوصول إلى مراداتهم بأي شكل ومن دون استحقاق عقلي أو خلقي أو نشاط بدني، عيونهم مفتوحة على ما يريدون، وبصرهم دائماً معلق بأرزاق الله للناس، يريدون تقسيمها حسب أهوائهم.

٢ - وينتج من هذه الرغبات العارمة المدفوعة بالحرص والأمل التذلل، لأنهم موقنون أن ذلتهم توصلهم إلى غاياتهم، ومن المعلوم أن الذلة خلق مرذول مرده الحقيقي ضعف اليقين بالرزاق، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وقديماً قيل:

لا تخضعن لمخلوق على طمع
فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه
فإنما هو بين الكاف والنون

وقيل:

ومن كانت الدنيا مناه وهمه
سبته المنى واستعبدته المطامع

٣ - الرياء والكذب: لأنه في سبيل المنفعة يضحك في وجه من لا يستحق البشاشة، ويغالي في مدح من لا يستحق المدح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله عز وجل: (أبي يغترون أم عليَّ يجترئون. فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران)(١).

وفي ذم الكذب، يروي أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وحج واعتمر، وقال: إني مسلم: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»(٢).

ويلحق بالرياء تصنع التقوى، ومحاولة خداع العباد من أجل الالتفاف عليهم لاقتناص مصلحة، أو إزاحة منفعة عن غيرهم، وفي قلوبهم المريضة يقول رب العزة والجلال: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً. مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) النساء: ١٤٢.١٤٣.

وفي كثير من الأحاديث النبوية يسأل هؤلاء، «فيقولون يوم القيامة في السؤال: عملنا وعملنا، ويكون الجواب: لم يصعد إليَّ من أعمالكم شيء، ويكون مصيرهم النار.

الشرع حاكم والمسلم محكوم بالشرع. وأمر الله ونهيه دائر بين الفرض والسنة والحرام والمكروه.

٤ ـ إلصاق العيوب بالآخرين، يتصنع هؤلاء النرجسيون لباس الطهر والعفة، ولعدم صدقهم يبدو الزيف فيما يظهرون به، وسرعان ما ينكشفون، وقد قيل:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقيل:

ما فيك يظهر على فيك

وقد حذرنا رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أن تذكر الناس بما فيهم، وبما ليس فيهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. «قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(٣).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أتدرون أربى الربا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)(٤) الأحزاب ٥٨ .

وهم يفعلون ذلك لإزاحة زميل من طريقهم إن كان موظفاً، أو لتبوير تجارته إن كان تاجراً «أو تشويه سمعته حتى لا تتزوج بناته إن كان أباً، وحتى لا يزوجه أحد إن كان عزباً، وقد شدد الرسول الكريم النكير على من يفعلون ذلك، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه»(٥). وفي رواية أخرى «كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتين بنفاذ ما قال.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال» زاد الطبراني: وليس بخارج.

٥ ـ يعرف الجميع أن الشرع حاكم والمسلم محكوم بالشرع، وأمر الله ونهيه دائر بين الفرض والسنّة والحرام والمكروه، ونحن نقول: سمعنا وأطعنا دون محاولة للالتفاف على أمر الله ونهيه، أو محاولة إيجاد حيلة للنفاذ مما أمر به الشرع، وبعض الناس يبررون لأنفسهم إيذاء إخوانهم، أو المساومة في الأسعار، أو يموهون في إخفاء العيوب أو كما قال أحد أصحاب الملايين: «إن الزكاة لم تجب عليّ». فقيل له لماذا؟

فقال: لأني قبل حولان الحول أهب مالي لزوجتي، فإذا ذهب الحول عادت فوهبته لي مرة أخرى.

ونحن نرى هذا في أصحاب المناصب الذين يحاولون احتكارها، وكيف يعيبون الصحيح حتى لا ينافسهم.

والدافع إلى هذا واضح، قلوبهم رغبة عارمة في أن لا يصل إلى أحد غيرهم نفع، وأن تكون كل المنافع لهم، وقديماً قالوا: «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط»، وقال أبوالعلاء المعري:

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلاد

وقد قال أبوذر الغفاري: «كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكاً لا ورق فيه، وقالوا: تعامل الناس بالدين، حتى ذهب الدين، وبالحياء حتى ذهب الحياء.

وبالمروءة حتى ذهبت المروءة، وقد صاروا إلى الرغبة والرهبة، والأحرى بهما أن يذهبا»(٦).



وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الشح الهالع والجبن الخالع، وهما دافعان للتقصي من أحكام الشرع من ناحية، ولا احتكار المنافع من ناحية أخرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع»(٧).

والشح الهالع هو: المحزن والهلع أشد الفزع.

والجبن الخالع هو: شدة الخوف وعدم الإقدام، ومعناه أنه يخلع قلبه من شدة تمكنه فيه.

ولعل مما يصور حال الهلع على المصلحة قول القائل:

قالوا قصي مُتمولٌ
بالبخل واللؤم اشتهر
ولقد شيع نفسه
بجنازة فيها عبر
لم يبكه أحد ولم
يذكره بالحسنى بشر
ولقد سمعنا خلفه
رجلاً يصيح إلى ستر

ومن المصاحب لهذه الخصلة شيوع الخوف والجبن، والعبودية للمصلحة، ومن كان سبيلاً إليها ومعاداة كل من يكون عائقاً دون تحصيلها.

٦ ـ تقطع العلاقات بينه وبين غيره ممن ليسوا أقاربه الأدنين ومن أصحابه اللصيقين به قبل تسلط الأنانية عليه، بل ربما تتقطع العلاقات بينه وبين زوجه وأبنائه، لأنه من كثرة الأنانية يصير شحيحاً، فتنشأ المشكلات بينه وبين أهله ثم يتسرب الخوف إلى قلبه، لأنه يخشى زوال ما حصله بلا استحقاق، أو بخل وخداع ولؤم، ولأن به بعضاً من الحسد للآخرين يتسلل الخوف من الحسد إلى قلبه، فلا يكسو فقيراً، ولا يطعم طعاماً، ولا يوزع زكاة.

إنه مُلئ رعباً من شدة حبه لنفسه حتى يقترب من العبادة

لها، وقد حذرنا رب العزة والجلال من هذه التزكية للنفس، فقال عز من قائل: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) النجم:٣٢.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن محمد بن عمرو بن عطاء قوله: سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيت برة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا: بم نسميها؟ قال: سموها زينب»(٨).

والناس عادة يحبون من يحسن إليهم سواء أكان بالمال أم بالمعاملة، وقد قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وهو لشحه وأنانيته يذكر ما يصنعه أو ما صنعه قديماً من معروف قد يكون واجباً عليه وينسى كل ما صنعه الآخرون معه، وهذا تفكير من لا يرى لأحد عليه واجب الشكر.

وقد روى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه»(٩).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لم يشكر الناس»(١٠).

٧ - وقد يدفع حب الإنسان لنفسه إلى العجب، فنرى محب نفسه معنياً بالزينة والرياش وبالتعالي على غيره، بحيث لا يجب أن يفوقه أحد في ملبس أو مسكن... وهي أشياء في حد ذاتها مباحة لكن إذا صحبتها نية التعالي قلبتها وبالاً على صاحبها، وقد ورد في التبختر والعجب وجر الثوب خيلاء أحاديث فهي تنهى عن فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبوالقاسم: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرجِّل جُمَّته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»(١١).

وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»(١٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً»(١٣).

> لعشق الذات آثار مدمرة في حياة الفرد والجماعة، وهو على كل حال أنموذج اجتماعي موجود الأنانية

درس في الإيثار والإخوة والتحاب

قدمت فيما سبق بعض آثار الغلو في عشق الذات والأنانية، ومخالفة ذلك لروح الإسلام الداعية إلى الإيثار والتحاب في الله، وأن يحب المسلم للناس ما يحبه لنفسه، ويبغض لهم ما يبغضه لنفسه، ويكون واثقاً أن إيثاره لن ينقص من رزقه، وأنه منظور إليه من ربه وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم، أو يُضيِّف هذا ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئ طعامك، وأصبحي سراجك، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

«ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(١٤). الحشر - ٩ -

وفي هذا الحديث نرى أن الصحابي الذي ضيَّف ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من زوجه تجهيز الطعام، وإضاءة السراج وتنويم الأطفال، ليهيئ الجو للضيف، ثم طلب إليها إطفاء السراج، حتى لا يرى الضيف إن كانا يأكلان أو لا يأكلان، وباتا جائعين، فقبل الله صنيعهما، ورضي به، فهل يستويان وعابد نفسه، الذي يريد إجاعة الناس جميعاً ليشبع هو؟ وأين هذا مما وصى به علقمة العطاردي ولده في اختيار الصديق. قال له حين حضرته الوفاة:

«يا بني إذا أعرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك».

اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت صدَّق قولك، وإن حاولتما أمراً أمَّرك، وإن تنازعتما آثرك»(١٥).

وليعلم محبو أنفسهم أن الله لا يرضى لهم فعلاً، ولا يقبل منهم قولاً، وأن ما اجترحوه من سيئات وما اكتسبوه من أموال لن ينفعهم شيئاً: (يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء ٨٨ - ٨٩(١٦).

وليذكروا حديث الرسول الكريم الذي رواه أبو موسى قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: «الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: «المرء مع من أحب»(١٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(١٨)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»(١٩) ●

الهوامش:

١ - رواه الترمذي وهو حديث حسن.
٢ - رواه أبو يعلى.
٣ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.
٤ - رواه أبويعلي ورواته رواة الصحيح.
٥ - رواه الطبراني بإسناد صحيح.
٦ - رواه أبو داود والطبراني «ردغة الخبال» هي عصارة أهل النار.
٧ - البيان والتبيين للجاحظ ص ١٩٧ ج٢.
٨ - رواه أبوداود وابن حبان.
٩ - مختصر صحيح مسلم للمنذري - تحقيق الألباني رقم ١٤٠٧.
١٠ - رواه أبوداود والنسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه وغيرهم.
١١ - رواه أحمد ورواته ثقات.
١٢، ١٣، ١٤ - هي من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، رقم ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١.
١٥ - متفق عليه رقم ١٣٣٠ من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - المرحوم محمد فؤاد عبدالباقي.
١٦ - إحياء علوم الدين ج٢ ص١٧١، ط التجارية بالقاهرة.
١٧ - متفق عليه.
١٨ - رواه مسلم.
١٩ - رواه أبوداود.





المشاركة المتناقصة وصورها في ضوء ضوابط العقود المستجدة

بقلم: د. وهبة مصطفى الزحيلي . كلية الشريعة . جامعة دمشق

أولاً: المشاركة من حيث المبدأ هي: من شركات الأموال التي تقوم على الاشتراك أو المتاجرة في رأس المال، بقصد تحقيق الربح، في إقامة بعض المشروعات الزراعية أو الصناعية أو العمرانية أو التجارية ونحوها.

وتنقسم بحسب النشاط الاقتصادي المتفق عليه إلى نوعين: مشاركة ثابتة أو دائمة، ومشاركة متناقصة تنتهي بالتمليك.

والمشاركة المنتهية بالتمليك هي في عصرنا الحاضر: تنشأ غالباً بين مصرف وشخص طبيعي «إنسان» أو اعتباري «مؤسسة» يمنح فيها الحق لأحد الشريكين بتملك حصة الشريك الآخر إما دفعة واحدة، أو بالتدرج على مراحل أو دفعات، بمقتضى شروط متفق عليها، وبحسب طبيعة العملية أو المشروع، حيث يقوم الشريك «وهو المتعامل مع المصرف» بشراء حصة المصرف بعد مدة معينة.

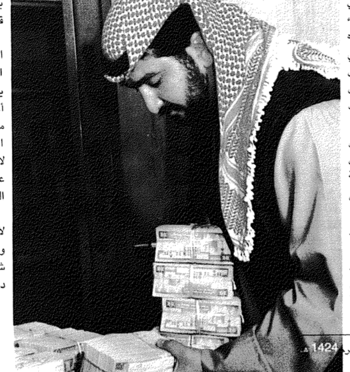
والمشاركة الثابتة أو الدائمة: هي التي يقصد بها الاستمرار أو البقاء في الشركة إلى حين انتهائها. وهذه هي الحال القديمة أو الغالبة. وهي تحقق مصلحة الشركاء في عدد من المشاريع بتمويلهم بجزء من رأس المال مقابل اقتسام ناتج المشروع بحسب الاتفاق.

والمشاركة المتناقصة: هي التي يتفق فيها الشريكان على إمكان التنازل من أحد الطرفين عن حصته في المشاركة للطرف الآخر، إما دفعة واحدة أو على دفعات، بحسب شروط متفق عليها.

والفرق بين هذين النوعين ينحصر في شيء واحد هو عنصر الاستمرار، أو الدوام. ففي المشاركة الثابتة أو الدائمة يقصد كل شريك البقاء في الشركة، دون نية الخروج منها، إلا بانتهاء الشركة أو فسخها أو استنفاد أغراضها.

وأما في المشاركة المتناقصة فيظل كل شريك متمتعاً بحقوقه، ملتزماً بجميع التزاماته، لكن أحدهما وهو المصرف في الغالب لا يقصد منذ بدء التعاقد البقاء في الشركة إلى وقت انتهائها، وإنما يمنح الحق للشريك الآخر في الحلول محله في ملكية المشروع، في حين أن المصرف في الشركة الدائمة يقصد البقاء في الشركة حتى نهايتها.

وكل من هذين النوعين من المشاركة جائز مشروع في الإسلام، لأنه لا يتصادم مع شيء من أصول الشريعة ونصوصها، وإنما يكون الاتفاق فيهما إعمالاً لمبدأ التراضي وحرية التعاقد أو حرية الإرادة، حيث لا يكون في هذا الاتفاق مصادمة مع مقتضى العقد أو نصوص الشريعة أو غاياتها. ومن المعلوم أنه يصح كل شرط في العقد بإجماع الفقهاء ما لم يكن منافياً لمقتضى العقد بحيث يلغيه، وما لم يرد بشأنه نص خاص يمنعه أو يصادم قاعدة عامة قطعية في موضوعه.



وأضاف متأخرو الحنابلة أن الشرط الصحيح هو مالا ينافي مقتضى العقد، سواء أكان يقتضيه أم لا يقتضيه، بأن كان زائداً عليه، وسواء أكان مما يلائمه أم لا، ولو كان فيه مصلحة أو منفعة مطلوبة لأحد المتعاقدين، وسواء جرى به العرف أم لا. وفي الجملة: إن الشرط الصحيح عندهم هو ما لم يكن منافياً لمقتضى العقد ولا منافياً للشرع(١).

والشريك حر التصرف في ملكه، لأن الشركة عقد غير لازم، فله في أي وقت الخروج من الشركة، وله تمليك شريكه حصته دفعه واحدة أو على دفعات.

والوعد الصادر من الشريك بتمليك

شريكة حصته في المستقبل لا يمس جوهر التعاقد، بل إن فيه مصلحة للطرفين، ولا يخل بنظام الشركة ومسيرتها، ولا يعكر وجودها إذا قام الشريك الآخر بشراء حصة شريكة كلها أو بعضها في عقود متلاحقة أو متتابعة، فهذا من طبيعة الشركة، فهي إما دائمة، أو موقتة، سواء وجد وعد أو لم يوجد.

ثم إن اللجوء للشركة المتناقصة يعد طريقاً تعاونياً مجدياً لحل مشكلة المحتاج لبناء ونحوه مع تفادي الربا.

وصفة هذا العقد: أنه يشتمل على الأوصاف التالية(٢):

١ ـ كونه شركة عنان، وليس فيه ما يتعارض مع هذه الشركة، ولا ما يخالف نصاً شرعياً أو قاعدة شرعية كلية، فهو عقد جائز.

٢ ـ وعد من أحد الشريكين وهو المصرف غالباً ببيع حصته للشريك الآخر.

٣ ـ بيع الشريك حصته بعقد مستقل عن الشركة إما كلياً وإما جزئياً، دفعة واحدة أو على دفعات.

وليس هذا العقد من قبيل بيع الوفاء، لأن هذا بيع يغلب عليه صفة الرهن وأحكامه، والمشتري مالك من جهة وغير مالك من جهة أخرى، أما المصرف في المشاركة المتناقصة، فهو مالك ملكاً تاماً بصفة الشركة، وله جميع حقوق الشريك، ويلتزم بجميع التزامات الشركة. كل ما في الأمر أنه يتضمن وعداً من المصرف ببيع حصته إذا دفع له الشريك الآخر ثمن الحصة، إما مرة واحدة أو كلياً، وإما على مراحل أو مرات متعاقبة.

شروط جواز المشاركة المتناقصة

لا تختلف شروط جواز المشاركة المتناقصة عن شروط المشاركة الدائمة، وقد اشترط مؤتمر المصرف الإسلامي بدبي ثلاثة شروط لهذه المشاركة وهي:

١ ـ ألا تكون المشاركة المتناقصة مجرد عملية تمويل بقرض، فلابد من إيجاد الإرادة الفعلية للمشاركة، وتقاسم الربح بحسب الاتفاق، وأن يتحمل جميع الأطراف الخسارة.

٢ ـ أن يمتلك المصرف «البنك» حصته في المشاركة ملكاً تاماً، وأن يتمتع بحقه الكامل في الإدارة والتصرف. وفي حالة توكيل الشريك بالعمل، يحق للبنك مراقبة الأداء ومتابعته.

٣ ـ ألا يتضمن عقد المشاركة المتناقصة شرطاً يقضي بأن يرد الشريك إلى البنك كامل حصته في رأس المال، بالإضافة إلى ما يخصه من أرباح، لما في ذلك من شبهة الربا.

صور المشاركة المتناقصة

للمشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك، ويستثمر المصرف أمواله فيها، صور ثلاث(٣):

الصورة الأولى: هي التي يتفق فيها البنك مع «متعامله» على تحديد حصة كل منهما في رأس مال المشاركة وشروطها، وهي جائزة شرعاً إذا تم بيع حصص البنك إلى المتعامل بعد إتمام المشاركة بعقد مستقل، بحيث يكون للبنك حرية بيع حصصه للمتعامل شريكه أو لغيره، كما يكون للمتعامل الحق في بيع حصته للبنك أو لغيره. وهذه أوضح الصور حيث ينفصل عقد البيع عن عقد الشركة بنحو واضح تماماً.

الصور الثانية: وهي التي يتفق فيها البنك مع متعامله على المشاركة في التمويل الكلي أو الجزئي لمشروع ذي دخل متوقع، وذلك على أساس اتفاق البنك مع الشريك الآخر، لتحصيل البنك حصة نسبية من صافي الدخل المحقق فعلاً، مع حقه بالاحتفاظ بالجزء المتبقي من الإيراد أو أي قدر منه يتفق عليه، ليكون ذلك الجزء مخصصاً لتسديد أصل ما قدمه البنك من تمويل، أي أن هذه الصورة يتم فيها سداد بعض قيمة الحصة من الغلة الناتجة.

الصور الثالثة: وهي التي يحدد فيها نصيب كل من البنك وشريكه في الشركة في صورة أسهم تمثل مجموع قيمة الشيء موضوع المشاركة «عقار مثلاً» ويحصل كل من الشريكين «البنك والشريك المتعامل» على نصيبه من الإيراد المتحقق من العقار.

وللشريك إذا شاء أن يقتني من هذه الأسهم المملوكة للبنك عدداً معيناً كل سنة، بحيث تكون الأسهم الموجودة في حيازة البنك متناقصة، إلى أن يتم تمليك شريك البنك الأسهم بكاملها، فتصبح له الملكية المنفردة للعقار دون شريك آخر.

وهذه صورة التملك التدريجي لحصة البنك، وهي أكثر الصور انتشاراً، فإن الشريك المتعامل يقوم بسداد المصرف ثمن حصته دورياً من العائد الذي يؤول إليه، أو من أي موارد خارجية أخرى، وذلك خلال فترة مناسبة يتفق عليها، وعند انتهاء عملية السداد يتخارج البنك من المشروع، ويتملك بالتالي الشريك المتعامل المشروع الاستثماري كله، محل المشاركة(٤).

الوعد بالتمليك أو الوعد بالتملك دون المواعدة الملزمة للطرفين:

لا مانع كما تقدم من صدور وعد من المصرف للمتعامل معه في الشركة المتناقصة بتمليك حصته بقيمتها السوقية، وهو وعد أخلاقي وديني من جانب واحد لا ضرر فيه ولا يتنافى مع الشرع أو مقتضى العقد، أما المواعدة الملزمة للطرفين فهي أشبه بتعاقد ضمني يجر الموضوع إلى عقدين في عقد، وهذا منهي عنه، فلا يستساغ اللجوء إليها في الشركة المتناقصة ونحوها، ويكون إنجاز الوعد مشروطاً بشرط إبرام البيع بصفة مستقلة لا صلة له بعقد الشركة، ويتم البيع إذا قام المشتري بتسديد قيمة الحصة المشتراة.

وقد أصبح هذا الوعد من جانب واحد معمولاً به في حالات مشابهة، منها بيع المرابحة المقترنة بوعد بالشراء من العميل على أن يتم تفادي صورية بعض العقود، وتفريغ العملية من أصولها الشرعية، وتجنب شبهة الإقراض بفائدة، ويظهر ذلك حين الإكثار من هذا التعاقد، أما في حال حسن النية واللجوء إلى هذا العقد أحياناً، فلا مانع منه فقهاً، عملاً بما أقره الإمام الشافعي يرحمه الله، مع إعطاء الخيار لأحد الطرفين.

والوعد من جانب واحد ملزم له ديانة، ويحرم الخلف في الوعد، لأن مخالفة الوعد كذب ونفاق، ولقوله تعالى: (أوفوا بالعقود) المائدة: ١، وهذا متفق عليه. أما الإلزام بالوعد قضاء: فلا يقول به جمهور العلماء.

ومع ذلك نجد بعض المفتين يقول بالإلزام القضائي، منهم بعض الصحابة «ابن عمر وسمرة بن جندب» وبعض التابعين «عمر بن عبدالعزيز والحسن البصري» وبعض الفقهاء «ابن شبرمة واسحاق بن راهويه، وابن الأشوع قاضي الكوفة بعد المئة» وبعض المحدثين «البخاري» وجعل ابن القيم الوعود مع العقود والعهود والشروط الواجب الوفاء بها، وذهب المالكية في الشهير

عندهم في باب الإحسان والمعروف، أي التبرعات لا المعاوضات إلى القول بوجوب الوفاء بالوعد والإلزام القضائي به إن صدر بسبب، ودخل الموعود من أجله في نفقة أو كلفة شيء التزمه، ومن قواعد الحنفية: «المواعيد بصور التعاليق تكون ملزمة» (م٨٤ مجلة)(٥).

ويستأنس لهذا الاتجاه بقرار مؤتمر المصرف الإسلامي في دبي في جعل الوعد ملزماً، حيث جاء فيه: «إن ما يلزم ديانة يمكن الإلزام به قضاء إذا اقتضت المصلحة ذلك، وأمكن للقضاء التدخل فيه».

وللقاضي التعزير في كل معصية لأحد فيها ولا كفار، وخلف الوعد معصية، ومن أمارات النفاق العملي، لا العقدي.

الطرق المتبعة في تناقص ملكية الجهة الممولة تدريجاً

كل شركة يقصد بها الربح، مع احتمال تعرضها للخسارة، وكل شركة هي عقد غير لازم، يجوز لأحد الشريكين فسخه وإنهاؤه في أي وقت، ولا أرى مانعاً شرعياً يمنع المصرف الإسلامي من تمليك حصته للشريك المتعامل معه إما دفعة واحدة، وإما على مراحل، فيتنازل عن ملكيته في رأسمال الشركة إلى الشريك العميل، بحسب الاتفاق الحاصل بينهما، بعد أن حقق المصرف مصلحته، بتقاضي الربح عن المدة الماضية خلال فترة مشاركته، ثم يسترجع ما أسهم به من مال في تكوين رأس مال الشركة.

وتتعدد طرق تناقص ملكية المصرف (الجهة الممولة) كما اتضح سابقاً في بيان صور المشاركة المتناقصة، وأشهر هذه الطرق ثلاث.

أ - التملك لحصة الجهة بمقدار العائد المستحق للمتملك بجعله ثمناً للحصص المشتراة:

يتم هذا التملك لبعض ممتلكات الشركة أو بعض أسهمها بين المؤسسة المالية (المصرف) أو أي شخص عادي، وبين الشريك المتعامل، بنحو بطيء، وهو كثيراً ما يحصل، لأن العميل لا يملك مالاً، وإنما يملك حصته من الربح أو العائد الناتج، فيشتري به من حصة المصرف بمقدار هذا العائد الذي يجعله ثمناً لكل حصة مشتراة على حدة، وهو تملك تدريجي تنقص به ملكية المصرف مثلاً، وتزداد ملكية العميل شيئاً فشيئاً إلى أن يتم تملك جميع حصة المصرف في نهاية الأمر. وهذا يتطلب إبرام عقود بيع وشراء متتابعة أو متلاحقة، تختلف فيه كل صفقة في حجمها عن الأخرى، بحسب ما يتيسر للعميل الشريك من دخل جديد ناجم عن العائد المستحق للمتملك من عوائد الشركة أو أرباحها، ويتحدد الثمن بحسب القيمة السوقية لكل حصة مشتراة.

وحينئذ تتناقص ملكية المصرف، وتزداد ملكية العميل تدريجاً، وهو عمل تجاري استثماري مشروع، لأن الشراء يقع على الكثير والقليل مما له قيمة مالية، ولأن أساس البيع هو التراضي، مع اشتراط كون المبيع معلوماً والثمن معلوماً.

ب - التملك لأسهم محددة دورياً بعد تقسيم المشاركة إلى أسهم:

هذه الطريقة هي الغالبة في عمليات الشركة المتناقصة، لسهولة تحديد المبيعات من الأسهم المملوكة للمصرف البائع ونحوه في كل عقد بيع مستقل، وهي طريقة كسابقتها سائغة شرعاً، يتم فيها البيع دورياً لمجموعة من أسهم المشاركة بين الطرفين، ويدفع العميل الشريك ثمن الأسهم المشتراة في كل مرة، فتزداد حصته، وتتناقص أو تجف تدريجاً حصة البائع وهو المصرف أو أي شخص عادي آخر.

ويحدث هذا عادة منذ القديم بين الجيران في الدور المتلاصقة وغيرها في غير حال الاستثمار أو قصد التمويل، وهو تصرف يتناسب مع إمكانات الناس المالية وظروفهم في الماضي، وتسوية المشاركات وتصفيتها مع مرور الزمان في العصر الحاضر.

ج - التملك لحصص غير محددة بحسب إمكان المتملك:

هذا وعد بالتمليك لحصص غير محددة بمقدار معين، وإنما بحسب ملاءة أو قدرة المشتري المتملك، ومثل هذا الوعد جائز لأنه مجرد عرض للحصة، ويتم تقديرها حينما يتم إبرام العقد، فيتفق الطرفان على تعيين مقدار المبيع، وتحديد القيمة أو الثمن بحسب سعر الشيء في الأسواق، فإذا أبرم العقد، زال الإشكال، ولم يكن هناك أي مانع من الجواز.

أما إذا تم البيع دون تعيين مقدار المبيع أو مع جهالة الثمن، فيكون فاسداً، ويأثم به العاقدان، ويكون الثمن سحتاً خبيثاً، ويجب نقض هذا البيع.

ويشترط بالاتفاق في حال تعيين مقدار الحصة المبيعة أن تقدر الحصة بالقيمة السوقية لا بالقيمة الاسمية، جاء في الفتوى (٣٣) من فتاوى هيئة الفتاوى والرقابة الشرعية لبنك دبي الإسلامي ما يلي:

«بحثت الهيئة مسألة تقويم الحصص التي تباع للعميل في حال مشاركة البنك لعملائه في العقارات وغيرها مشاركة متناقصة تنتهي بتمليك العين كاملة لعميل البنك، وهل يتم تقويم تلك الحصص بقيمتها السوقية وقت البيع أو بثمنها المحدد في عقد المشاركة.

وقد رأت الهيئة أن القواعد الشرعية التي تقضي بمنع الغبن وعدم البخس، تمنع الأخذ بالقيمة المحددة في عقد المشاركة، لأن التغير المستمر في قيم الأشياء بالزيادة أو النقصان، سيؤدي إلى غبن أحد الأطراف المشاركة. وبناء عليه، فإن قيمة الحصة المبيعة للعميل يتم تقويمها بقيمتها الجارية وقت البيع، حسب قوانين العرض والطلب، على أن يتولى التقويم خبير عادل مؤتمن».

ضوابط تمليك الجهة الممولة حصتها للطرف الآخر

لابد من توافر الشروط السابقة لتمليك المصرف مثلاً حصته للعميل، وتطبيقات تلك الشروط تبتني فيما يلي:

أ - التملك بالقيمة السوقية، لا بأصل المبلغ المقدم للمشاركة، لتجنب ضمان رأس مال المشاركة.

لا يصح هذا التمليك أو التملك إلا بما يتفق مع الحق والعدل، ومنع الغبن وعدم البخس في الثمن، وهذا يتطلب أن يتم البيع بين الشريكين على أن يشتري أحدهما حصة الآخر أو نصيبه من رأس مال الشركة بالقيمة السوقية حسب الاتفاق، لا بالقيمة الاسمية أو قيمة الحصة وقت المشاركة، لأن الشريك أمين على مال الشركة، لا ضامن لرأس مال الشركة.

وأما الأرباح «أرباح المثل»: فيتم احتسابها في ضوء الإنجاز الماضي لأعمال الشركة، فيستحق البائع نصيبه من الأرباح عن الماضي إلى حين وجود البيع.

وأما الخسارة: فتقسم على قدر حصة كل شريك في رأس المال، ولا

يصح اشتراط خلاف ذلك، لأن القاعدة الشرعية هي: «الربح على ما شرطا، والوضيعة على قدر المالين».

ب ـ التملك بعقد بيع في حينه، لا ببيع مضاف:

من المعلوم أن عقد البيع يتطلب التنجيز في الوقت الذي يتم فيه، ويترتب عليه انتقال المالكية حينئذ بعد إبرام البيع، لأن أثره فوري يحدث بعد الإيجاب والقبول. ولا يجوز إضافة أثر البيع للمستقبل، لأن البيع لا يقبل الإضافة للمستقبل، ولا التعليق. وهذا هو المنسجم مع طبيعة عقد البيع وهي التنجيز.

ج ـ التصرف في موجودات المشاركة في حال الإخفاق في تناقصها(٦):

إذا تعرضت الشركة لما يهدد وجودها أو استمرارها، أو التعرض لنقص مبيعاتها، أو العجز عن استيفاء ديونها أو حقوقها على الآخرين الذين يتعاملون معها، أو حال تعثر تنفيذ الوعد بتناقص ملكية أحد الشركاء، يكون التصرف في موجوداتها على النحو الأصلي السابق، أو النحو الذي يحدث في حال تصفيتها، فيتم بيعها وتوزيع الثمن على الشركاء بنسبة حصة كل شريك في رأس مال الشركة، لأن الخسارة توزع بنسبة الحصص القائمة فعلاً سواء في حال الزيادة لحصة شريك أو تناقصها، وفي حال بقاء الشركة يبقى كل شريك حر التصرف في حصته، سواء للشريك الآخر أو لغيره.

د ـ تحميل أعباء المشاركة لوعاء المشاركة دون أحد الطرفين:

إن مختلف الالتزامات أو الديون أو الأعباء يتحملها جميع أعضاء الشركة بنسبة حصصهم، ولا يجوز أن يتحمل أحد الشركاء العبء الواقع على الشركة دون بقية الشركاء، لأن الشركة ملك الكل، لهم مغانمها وعليهم مغارمها. والشركاء إما متساوون في تملك الحصص وإما متفاوتون، وتقتصر مسؤولية الشريك على مقدار حصته في رأس المال، سواء كانت المشاركة بصفة دائمة أو متناقصة، ولا يسأل الشريك إلا بمقدار الجزء الباقي له بعد تناقص ملكيته.

الخاتمة

الشركة المتناقصة إحدى أدوات الاستثمار القصيرة الأجل كالمرابحة والسلم والاستصناع والإجارة المنتهية بالتمليك، وهي أداة ناجحة تنقذ المتعاملين من التورط في الربا وغيره من المحرمات شرعاً.

وهي التي يتفق فيها الشريكان على إمكان التنازل من أحد الطرفين عن حصته في المشاركة للطرف الآخر، إما دفعة واحدة، أو على دفعات بحسب شروط متفق عليها. ويظل فيها كل شريك متمتعاً بحقوقه، ملتزماً بجميع التزاماته، إلى أن يتم الخروج من الشركة.

ومشروعيتها واضحة، لأنها لا تتصادم مع أصول الشريعة أو نصوصها، ولا تتعارض مع مقتضى العقد، وتحقق مصلحة للمتعاقدين دون إضرار، ما دامت قائمة على التراضي، دون معارضة لشيء من أحكام الشرع.

وصفتها أنها شركة عنان، تتضمن مجرد وعد من أحد الشريكين وهو المصرف غالباً في عصرنا ببيع حصته للشريك الآخر، بعقد مستقل عن الشركة، إما كلياً وإما جزئياً، دفعة واحدة، أو على دفعات.

وليست هي خلافاً لما يتصور بعض المعارضين من قبيل بيع الوفاء، لأن هذا البيع يغلب عليه صفة الرهن وأحكامه، فيكون المشتري مالكاً من جهة، وغير مالك من جهة أخرى، أما المتنازل عن حصته من خلال الشركة المتناقصة فيظل مالكاً لحصته ملكية تامة، ويستحق جميع حقوقه في الشركة، ويلتزم بجميع التزاماته إلى حين الخروج كلياً من الشركة، أو جزئياً مع بقائه في الشركة في بقية حصته.

ويشترط لجواز هذه الشركة ثلاثة شروط هي:

١ ـ ألا تكون مجرد عملية تمويل بقرض.

٢ ـ وأن يمتلك المتنازل حصته في المشاركة ملكاً تاماً إلى حين التنازل.

٣ ـ ألا يتضمن العقد شرطاً يقضي بأن يرد الشريك إلى البنك كامل حصته في رأس المال وحصته في الأرباح، منعاً من الوقوع في الربا وشبهته، وتجنباً لضمان مال المشاركة.

التملك لحصة الجهة بمقدار العائد المستحق للمتملك بجعله ثمناً للحصص المشتراة

وصور هذه الشركة ثلاث:

الأولى: هي التي يتفق فيها المتنازل مع شريكه على تحديد حصة كل منهما في رأس مال الشركة وشروطها، ثم يتم التنازل عن بعض حصته أو كلها بعقد منفصل عن عقد الشركة.

الثانية: وهي التي يتفق فيها المتنازل مع شريكه على سداد قيمة الحصة المبيعة من الغلة الناتجة.

الثالثة: وهي التي يحدد فيها نصيب كل من الشريكين في الشركة في صورة أسهم، ويكون التنازل عن بعض هذه الأسهم كل سنة بشيء منها، وهي أشهر صور التملك التدريجي لحصة شريك من قبل الشريك الآخر.

أما الوعد بالتمليك أو التملك ولو كان ملزماً لطرف دون آخر، فلا يخل بنظام الشركة أو وجودها شرعاً، لأنه لا يعكر شيئاً من أحكامها ومقوماتها.

والطرق المتبعة في تناقص ملكية الجهة الممولة تدريجاً أشهرها ثلاث:

١ ـ التملك لحصة المتنازل بمقدار العائد المستحق للمتملك بجعله ثمناً للحصص المشتراة.

٢ ـ التملك لأسهم محددة دورياً بعد تقسيم المشاركة إلى أسهم.

٣ ـ التملك لحصص غير محددة بحسب إمكان المتملك، يتم تحديدها في عقد البيع المنجز أثناء قيام الشركة.

وضوابط تمليك الجهة الممولة حصتها للطرف الآخر تظهر فيما يلي:

أ ـ التملك بالقيمة السوقية، لا بأصل المبلغ المقدم للمشاركة لتجنب ضمان رأس مال المشاركة، ولتوافق ذلك مع الحق والعدل، واجتناب الغبن، وعدم بخس الثمن.

ب ـ التملك بعقد بيع في حينه، لا ببيع مضاف لوقت في المستقبل، وهذا ينسجم مع طبيعة مشروعية البيع.

ج ـ التصرف في موجودات المشاركة في حال الإخفاق في تناقصها، وهو الوضع الأصلي الذي يقوم عليه نظام مشاركة الشريك فهو حر التصرف بحسب الاتفاق، لأنه يظل مالكاً لحصته قبل البيع، سواء تم التنازل أو البيع لشيء من حصته أو لكل حصته.

د ـ تحميل أعباء المشاركة لوعاء المشاركة دون أحد الطرفين، وهذا أيضاً مقتضى عقد الشركة، أما تحمل أحد الشركاء بعض الأعباء فهو مناف لما تقوم عليه الشركة من المساواة والعدل بنسبة ما يملكه كل شريك، والشركاء في الحقوق والواجبات سواء ●

الهوامش:

(١) الفقه الإسلامي وأدلته للباحث ٤/٢٠٠، الفقه المقارن أ. د. فتحي الدريني: ص٦٢٠.

(٢) المعاملات المالية المعاصرة د. عثمان شبير: ص٣٤١ وما بعدها.

(٣) انظر قرارات وتوصيات مؤتمر المصرف الإسلامي الأول بدبي الذي شاركت فيه، فتوى رقم (١٠).

(٤) أدوات الاستثمار الإسلامي ـ دلة البركة، د. عز الدين خوجة: ص١٠٥.

(٥) ومن المعلوم أن التفرقة بين الاعتبار الدياني والاعتبار القضائي هو اصطلاح الحنفية فقط، دون غيرهم حيث لا تفرقة بينهما عندهم، وقد أفاض الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين في جعل الوعد الكاذب من آفات اللسان المحرمة شرعاً.

(٦) يلاحظ أن العبارة غامضة غير مفهومة في أصل الخطة الموضوعة.



حوار

المفكر الإسلامي د.محمد سعيد البوطي لـ الوعي الإسلامي:

الغزو الفكري يستهدف عقولنا ومجتمعنا

أجرت الحوار: ليلى محمود

أكد د.محمد سعيد البوطي العميد السابق لكلية الشريعة في دمشق، وأحد العلماء المسلمين المرموقين في المشرق العربي، أن الله سبحانه وتعالى لن يغيِّر ما بالمسلمين من ضعف وتخلف إلا إذا طبقوا منهجه القويم، فقانونه الإلهي ثابت لا يتغير: (إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم) النور:١٢، كما أن نصره لنا مرهون بنصرنا لدينه: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم) محمد:٧.

وأشار إلى أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جزء من خطة استهدفت تجريم الإسلام لتبرير القضاء عليه، وأن تهمة الإرهاب وإلصاقه بالإسلام جزء من هذا المخطط.

وانتقد من يتطرق إلى الإسلام من خلال مذهب أو جماعة واحدة... ودعا البوطي إلى توحيد منهج العقيدة في البلاد الإسلامية، وتناول أموراً عدة تهم العالم الإسلامي والمسلمين خلال هذا الحوار.

أي نفي للسنة النبوية الشريفة بل مجرد محاولة الهدم لها أو هدم حديث صحيح يؤدي إلى الانحراف بالدين...

رب ضارة نافعة

● بداية... كيف ترى واقع الأمة الإسلامية الآن؟

- الأمة الإسلامية بخير وفيها الكثير من القوة والمواجهة، ولكن ينقصها الإرادة ويلزمها التخلص من التبعية للغرب واستغلال قراراتها السياسية والاقتصادية، فالعدوان الذي تتعرض له ديار الإسلام الآن والضعف والاستسلام الذي نفرضه على أنفسنا ستعقبه انتفاضة كبرى تعيد الأمور إلى نصابها وتواجه كل قوى البغي والعدوان.

وأن العمل الإسلامي قد تراجع بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأن سلطانه قد انطوى، وأن المشاعر الإسلامية أصابها شيء من التخاذل، وإن كانت هذه النتائج الظاهرة على الساحة، أما وراء هذا الظاهر فأعتقد أنه العكس تماماً هو الثابت، فقبل ١١ سبتمبر كانت الشعوب الإسلامية مزيج من فئات تجمع بين الإسلام، وفئات تميل إلى الحداثة وترى أن الخلاص طريق آخر، وفئات ترى العلمانية هي الحق، وأخرى ترى المشاعر القومية هي التي يجب الاعتماد عليها... ولكن هذه الاجتهادات قد تراجعت وبدأت حوادث ما بعد الأحداث تصهر مشاعر الشعوب العربية في بوتقة واحدة، وأن الإسلام هو المنقذ الوحيد للخلاص، وكان هذا الواقع سبباً ليقظة مشاعر المسلمين «فربّ ضارة نافعة».

حماية الأقصى

● قال مسؤول أميركي إن انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد العدوان والاحتلال الإسرائيلي: «عمليات إرهابية منظمة» فما ردكم؟

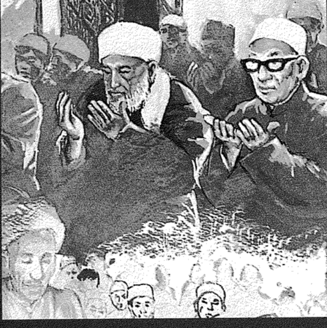
- الإرهاب الحقيقي هو ما تمارسه إسرائيل يومياً بدعم ومساندة وأسلحة أميركية، فما تقوم به من قتل للأبرياء وتدمير للمنشآت والمنازل، وتخريب للزراعات، واغتيال للمجاهدين هو أبشع أشكال الإرهاب الذي عرفها العالم... وهذا ليس بغريب في تاريخ اليهود من جرائم اقترفوها في حق البشرية.

والانتفاضة بدأت واستمرت لتحقيق أهداف مشروعة وهي مقاومة الاحتلال وحماية المسجد الأقصى من مؤامرات ومخططات اليهود.

دين الحق

● ما القدرات والأدوات التي تملكها الأمة الإسلامية في المرحلة الراهنة لعرض الإسلام عرضاً صحيحاً؟

- لا شك أن الأمة الإسلامية تملك من الطاقات التي تبرز بها حقيقة الإسلام، وإن الحق الذي لا بديل عنه أكثر مما كانت تملكه هذه الأمة في أي عصر مضى، هذه الطاقة موجودة ولكنها تحتاج إلى من يضعها في موضع التنفيذ... العلماء المسلمون الذين وجدوا في علومهم وفي اكتشافاتهم وفي ثقافتهم ما زادهم يقيناً أن الإسلام هو الدين الحق وما جعلهم يقفون أمام قول الله سبحانه وتعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فصلت:٥٣.



● هل الحملة الدولية على الإرهاب يقصد بها الإسلام؟

- هناك أدلة بل وثائق تكشف عن هذه الحقيقة، غير أن هذا اللقاء لا يتسع لعرض هذه الوثائق المتنوعة التي تؤكد ما قد قلت، وخلال محاضرات ألقيتها أوضحت الوثائق التي تكشف على أن وثيقة الإرهاب عبارة عن سلاح مميز للقضاء على الإسلام الذي أصبح العدو الأول للغرب، وبالتالي ينبغي القضاء عليه، كما ثبت في المقابل أن الإسلام هو الحصن الأول للأمة الإسلامية.

القرآن والسنة

● هناك بعض المتفيقهين يفسرون ويؤولون القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة على هواهم بعقولهم... فما خطورة هذا الاتجاه من غير المتخصصين على الأمة؟ وكيف نواجههم؟

- هذا التأويل يكون في المجتمعات الإسلامية لهوى نفسي ولتمكين الأمر لشهوات الجسد وللانحراف بهذا الدين كما أمر الله تعالى به في قرآنه الكريم وسنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا التأويل يخرج الدين عن روحه أولاً وعن أسسه وأصوله ثانياً، وليس وليد اليوم بل هو نشأ بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى مباشرة... ويعتمد هذا التأويل في أكبر مظاهرة على تأويل المتشابه بما يوافق

مشكلة الضعف في اللغة العربية منوطة بقيادات العالم العربي والإسلامي

الأهواء... فقد ظهر شخص يُدعى «أصبغ» في زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل في المتشابه وأثار جدلاً كبيراً، فاستدعاه الفاروق رضي الله عنه، وقد أحسَّ بالخطورة، وطلب من سيدنا علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - فناقشه ثم قال الإمام علي لعمر: لو كنت مكانك لقتلته، إحساساً منه بأن موضوع المتشابه إذا أثير بهذا الشكل في المجتمعات الإسلامية سيؤدي إلى الفرقة الشديدة، وانهيار المجتمع الإسلامي... ولكن الأمر في الظاهر كان يأخذ صيغة التساؤل فلم يجد سيدنا عمر وسيلة إلا أن نفى «أصبغ» من الأرض... هذا النفي حتى لا يتحدث أحد معه ولا يجد من يتحدث إليه.

منحرفون

● هناك من يسمُّون أنفسهم القرآنيون ويرفضون السنَّة الشريفة كلية، ويعتمدون على القرآن الكريم فقط في استنباط الأحكام... فما الحكم على هذا الاتجاه؟

- أي نفي للسنَّة النبوية الشريفة بل مجرد محاولة الهدم لها أو هدم حديث صحيح يؤدي إلى الانحراف بالدين... والرسول صلى الله عليه وسلم هو التطبيق العملي للقرآن الكريم في أقواله وأفعاله وتقرراته، ولن نستطيع فهم هذا القرآن الكريم من دون فهم السنَّة النبوية المشرَّفة، وأي هدم للسنة هو هدم لهذا الدين، والمحاولات في هذا تكررت كثيراً وليست وليدة اليوم، ولكن المستشرقين وأعداء الإسلام يركزون على هدم السنَّة كي لا يفهم الكتاب الأساسي في الإسلام، وهو القرآن، وليصبح مجالاً للتأويل في كل اتجاه منحرف... وتبدأ المؤامرة على الإسلام بطريقتين، الأولى الهجوم على شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثانية الهجوم على سنته الشريفة، ولقد استخدم أعداء الإسلام في ذلك نفس ما استخدمه كفار قريش، فما قاله القرآن الكريم من شبهات كفار قريش هم يعيدونها، ولكن بأسلوب عصري... أما بالنسبة للسنَّة النبوية الشريفة، فهم يطعنون في الصحابة كأبي هريرة، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عباس وغيرهم جميعاً عليهم رضوان الله، يحاولون هدمهم لأنه سيترتب على ذلك هدم ما يرونه من أحاديث، وكذلك الطعن في منهج الإمام البخاري ومسلم والمطالبة بمنهج نقدي جديد بديل عن منهجهما، والدعوة إلى عدم الاعتماد على السند في قبول الحديث النبوي الشريف، وهذا يؤدي بنا إلى الاعتماد على العقل هل هذا النص يدخل في باب المقبول عقلاً أم لا؟ والعقول تختلف، فهذا الحديث يتقبله عقلي، لكن شخصاً آخر لن يتقبله، فالحديث إذا طرح على مئتي طالب مثلاً ولن أقول إن هذا الحديث صحيح سنختلف جميعاً عليه نحن الموجودون بالقاعة، فالتحكيم العقلي في الحديث هدف خبيث لهؤلاء حتى يهدموا السنَّة ثم القرآن وبالتالي الإسلام.

أمية إسلامية

● يعاني المسلمون اليوم من جهل واضح بأحكام الدين... فما أسباب ذلك؟ وما الآثار السلبية المترتبة على هذا الجهل؟ وما دور العلماء في علاج ذلك؟

- الدعاة الآن يفوق عددهم كل الدعاة الذين ظهروا منذ خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى حتى أوائل هذا القرن.. وهم منتشرون في كل مكان... ولكن ما السبب في الأمية الدينية التي نعيشها؟! أولاً تزايد عدد الأمة وكبر حجمها وتوزعها في كثير من الأماكن مع عدم قدرة أجهزة الإعلام المختلفة على توصيل صوت الدعوة الإسلامية من هؤلاء الدعاة... فعلى كل أجهزة الإعلام على مدى أربعة وعشرين ساعة لا يتوافر للمسائل الدينية إلا دقائق قليلة أو سطور بسيطة لا تكفي لتوصيل الدعوة الإسلامية، وهذا تقصير كبير ومسؤولية المهيمنين على أجهزة الإعلام، وفي الوقت نفسه تقصير من الدعاة لعدم وصولهم إلى هؤلاء الناس في أماكنهم، وتقصير أيضاً من الدعاة لعجزهم عن التأثير في قلوب وسلوك الناس بحيث تكون لديهم الجاذبية التي تجعلهم مقبولين عند الناس.

تغيير المناهج

● هناك دعوات برزت أخيراً وتطالب بتغيير مناهج التربية الإسلامية... فما رأيكم؟

- المسألة هي القضاء على ينابيع الإسلام، وأول ينبوع للإسلام يتمثل في التربية الإسلامية، فبدأت الدعوة إلى تغيير الخط العربي، ثم بدأت بالسعي إلى تغيير قواعد اللغة العربية، فلم تنجح المحاولة الأولى، ولم تنجح المحاولة الثانية، فسلك أرباب هذه الخطة طريقة ثالثة ألا وهي إضعاف مناهج اللغة العربية وغلقها بالنصوص الحديثة وبما يتعلق بالأبيات التي تبعد الناشئة عن دراسة القواعد العربية، وقد نجحت هذه الخطة نجاحاً إلى مدى بعيد، والهدف من وراء هذه

الخطة هي فصل الدين عن القرآن، وبالتالي ضعفت اللغة العربية في أذهان الناشئة، ونشأ جيل بينه وبين القرآن ومعرفته هوة كبيرة، وفي الوقت ذاته، عمدت هذه الخطة إلى إبعاد الجيل عن القرآن... كيف؟ الوسائل التقليدية القديمة التي كانت المجتمعات العربية تعتمد عليها في دراسة القرآن في تعليم الأطفال كتاب الله في الكتاتيب وغيرها قضي عليها، وكنا نتوقع أن تكون المدارس الابتدائية بديلاً عنها، ولكن لم يحدث ذلك، فالطالب يتلقى من القرآن بضع صفحات خلال المرحلة الابتدائية كلها ويجتاز ذلك إلى المرحلة الإعدادية والثانوية وهو لا يعرف شيئاً عن منهجية القرآن.

ولتنفيذ هذه الخطة طلب إلى بعض البلدان العربية والإسلامية تغيير مناهج التربية الإسلامية، أي تحويلها إلى مناهج تقليدية لا تُصلح فساداً، ولا تقوّم إعوجاجاً، ولا توقظ المشاعر الإسلامية لدى الناشئة، ولعل السبب في أن الطلب وجه إلى بعض البلدان دون بعضها الآخر، هو أن بعض بلدان الخليج ترى أن مناهج التربية الإسلامية فيها تعتمد على قدر كبير من التطرف الذي يتمثل في «التبديع والتفسيق والتكفير»، وهناك من يرى أن هذه الطريقة هي التي تعتبر مصدراً للإرهاب، ومع الأسف هناك تقارير تصدر عن كثير من المسلمين العرب وترسل إلى الذين يضعون الخطط ضد الإسلام، وتتضمن أن التربية الإسلامية في كثير من أقطار الخليج تنشئ جيلاً إسلامياً ضيق الأفق، يكفر المسلمين لأوهى الأسباب وببدِّعهم، ومن ثم فهذا الفكر هو الذي يحتضن الإرهاب.



الأمة الإسلامية تملك من الطاقات التي تبرز بها حقيقة الإسلام

الدعوة

● ما دور المرأة السورية في العمل الدعوي؟

- المرأة السورية تقوم بدور مميز في الدعوة الإسلامية، وأتمنى على الرجال عندنا أن يبلغوا هذا الشأن، ولعل الأخوة والأخوات في الكويت سمعوا بنشاط «القبيسيات» نسبة للأخت الرائدة في هذا العمل «منيرة القبيسي»، وقد كتب لهذا العمل النجاح لأسباب متعددة منها: الابتعاد عن التيارات السياسية، والابتعاد عن المناطق والمحاور الخلافية، والتركيز على جذع الوحدة الإسلامية، والتركيز على الجانب الروحي في الإسلام مع عدم إهمال الجانب العلمي.

ولعل إخفاق بعض الأنشطة الإسلامية يعود إلى التركيز على أحد الجانبين وإهمال الآخر، وعمل الأخوات يجمع بين كفتي الدعامة العلمية والدعامة الروحية... لأن للعمل الدعوي شرطاً واحداً لبقائه واستمراره، وهو أن يكون صافياً من الشوائب السياسية، فإذا ما تبيَّن أن العمل الدعوي صاف من الشوائب السياسية، وينبع من الرغبة الصافية المتجهة لنشر الإسلام، فلن يجد في طريقه أي عقبة.

● وماذا عن الجمعيات الخيرية في سوريا؟

- هناك جمعيات خيرية كثيرة معظمها مهتم برعاية الفقراء، وإتاحة فرص العمل الشريف لهم، إلى جانب جمعيات أخرى تهتم بمعالجة المرض داخل سوريا وخارجها، وبعض منها يتعلق بالتزويج مثل صندوق المودة والرحمة، وصندوق العافية، وقد ضربت سوريا رقماً قياسياً في إنشاء المساجد، وللسوريين هاجس كبير في بناء المساجد واتباع المسجد بمسجد آخر وهكذا، ونحن ننتظر العمل الخيري الكويتي في سوريا المنتشر في جميع القارات.

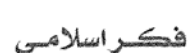
● ما رأيكم في ظاهرة الضعف العام في مستوى اللغة العربية لأبناء الجيل؟

- مشكلة الضعف الذي يتنامى في اللغة العربية، منوطة بقيادات العالم العربي والإسلامي، وأي حل للمعضلة على مستوى الجمعيات وأصحاب النشاطات الثقافية لا يحل المشكلة، المشكلة نبعت من سوء المناهج المتعلقة باللغة العربية في الجامعات والمدارس والمسؤول عنها وزارات التربية في كل مكان وعليها أولاً أن تقتنع بأن هناك مشكلة قبل السعي إلى حلها، فالطالب يتخرج في الجامعة ولا يقوم لسانه بالنطق في كتاب الله، ولا يقرأ مقطعاً من القرآن قراءة سليمة خالية من الأخطاء والعثرات، ولابد من تضافر الجهود لحل هذه المشكلة.

● ما واجب المؤسسات والهيئات الإسلامية بعد هذه الأحداث الجالية التي تشهدها الساحة الإسلامية والعربية؟

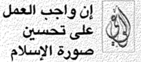
- يجب على المؤسسات الإسلامية المختلفة والمتفاوتة في إمكاناتها بعد هذه المتغيرات لتدرأ الأخطار عن نفسها، أن تبادر إلى مد الجسور الاستراتيجية الهادفة إلى تحقيق وحدة عربية، ومن ثمَّ وحدة إسلامية شاملة.. وأي عمل تقوم به هذه المؤسسات لن يكون ذا جدوى ما لم يبدأ بوضع منهج عملي يهدف إلى إعادة الوحدة العربية والإسلامية في أقصر مدة زمنية وما لم تبادر وتسعى إلى تحقيق هذه الوحدة فأخشى أن الخطر الداهم قد يجتاح هذه الأمة ●





الهوية الإسلامية وتحصينها من التحديات الخارجية

بقلم: د.حسن عزوزي . فاس



إن واجب العمل على تحسين صورة الإسلام في الغرب وتلميعها يفرض على الجاليات الإسلامية في الخارج العمل على ترشيد الصحوة الإسلامية وتوجيه شبابها نحو منهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما ينبغي أيضاً العمل من أجل إيجاد مناخ اجتماعي تساكني يهدف إلى ربط علاقات طيبة ومتينة بين الجاليات الإسلامية وغيرها مع المحافظة على هويتها الإسلامية وتحصينها من كل المؤثرات والتحديات الخارجية.

ولا شك أن الهوية الثقافية لأمة من الأمم أو دين من الأديان هي ذلك القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى، فلكل إنسان هويته هكذا شاء له خالقه حين خلقه من ذكر وأنثى وجعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا بعد أن اختلفت ألسنتهم وتنوعت مشاربهم وهذه الهوية تشتمل على أركان ثلاثة رئيسة هي: العقيدة، واللغة، والتراث الثقافي.

إن الحديث اليوم عن «الهوية» قد أصبح من الموضوعات الثقافية وقضايا الفكر السياسي والاجتماعي التي يحتدم النقاش حولها، وخصوصاً في ظل المتغيرات المتسارعة التي يعيشها كل مجتمع ذي تراث وهوية حضارية يسعى إلى الحفاظ على ذاتيته وأصالته وتقاليده انطلاقاً من عقيدة دينية يؤمن بها. ونستحضر بهذا الصدد ما لاحظه «أرنولد توينبي» عندما درس حضارات العالم المتعددة من أنه لم يبق من تلك الحضارات سوى خمس حضارات تشترك في أنها كانت تنطوي على عقيدة دينية، بثّت في أتباعها الحماس الروحي والنزوع الأخلاقي لتجديد تلك الحضارات كلما نضب معين الإبداع لدى أهلها، وهذا التحليل يدل على فاعلية الدين وأثره الكبير في صياغة الهوية الثقافية والحضارية للأمم والشعوب، فقوام كل هوية ثقافية أصيلة هو الدين الذي ينشئ منظومة من القيم الأخلاقية والخصوصيات الثقافية المميزة.

غير أنه إذا كان الدين يثبت للهوية نوعاً من الثبات والأصالة والاستمرار، فإنها من دون شك قابلة للتكيف - إلى حد ما - مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية التي يؤكد الواقع الحالي من خلالها الطفرة الكبيرة التي عرفها انتقال العلاقات الإنسانية والأفكار والقناعات الفكرية من البساطة إلى التعقيد ومن التقليد إلى التجديد.

وتقوم الهوية الإسلامية ذات الطابع الشمولي والمصطبغة بصبغة الفعالية والاستمرار على أسس من الثقافة الإسلامية المعبِّرة عن منهج الإسلام ورؤيته للحياة والكون والإنسان، وهو المنهج الذي اتسم دوماً بالانفتاح على الآخر وترسيخ روح الحوار، مما كان له آثار إيجابية على الثقافة الإسلامية.

إن الحديث عن الهوية الإسلامية تزداد أهمية عندما تؤخذ بعين الاعتبار الحاجات الثقافية للمجموعات الإسلامية الواسعة التي تقيم في ديار المهجر، ويحتاج أمر الحفاظ على معالم الشخصية والهوية الإسلامية إلى برامج مختلفة للعمل الثقافي تكون مناسبة لهذه الأوضاع الخصوصية إذ لا يزال الجيلان الثاني والثالث، بل الرابع أيضاً في بلاد المهجر يعاني من مشكلات أخلاقية وروحية حادة، فالكثير منهم يعانون من أزمة هوية ثقافية، فلا هم يتعرفون إلى ذواتهم في القيم الأصيلة، ولا هم يجدون أنفسهم في ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه، وإذا كان من الضروري الحفاظ على الثوابت المميزة للهوية، فلابد أيضاً من القيام بما هو ضروري من تغييرات يطبعها التفتح على التفكير المتجدد وإعمال النظر والاجتهاد.

إن الهوية الإسلامية في المجتمع الأوروبي هي الأكثر تعرضاً لانعكاسات العولمة وتحدياتها، فالعولمة في صورتها الراهنة هي ثقافة الاختراق وهي ثقافة جديدة

لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، لذلك تبرز الحاجة إلى مقاومتها قصد حماية الخصوصيات الثقافية من الانحلال والتمييع وخصوصاً في الدول الغربية، ويمكن القول: إن حماية الهوية الإسلامية وصيانتها أمر يتطلب الاهتمام بمجالات معينة تشكل بمجموعها الإطار العام الذي يغذي الهوية والخصوصيات الثقافية بما يكفل لها الثبات والاستمرار والأصالة، وسنقتصر هنا على إيراد جملة من تلك المجالات نذكر منها:

أولاً: الأسرة، وتعتبر أهم المؤسسات الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي والتربوي عن طريق مجموع القيم والأخلاق التي تنشرها وتوزعها على سائر أفرادها وتلقنهم إيَّاها على اعتبار كونها تشكّل الآداب العامة الواجب مراعاتها والمقدسات الاجتماعية التي ينبغي احترامها والالتزام بها، ولا يخفى مدى اهتمام الشرائع الدينية بمؤسسة الأسرة قصد صيانتها وإحاطتها بسياج من الآداب والأخلاق والقيم الدينية التي تشترك جميعها في الدعوة إليها وتفعيلها.

وإذا كانت عوامل الحداثة والعولمة وتأثيراتها سبباً في تفكك بنية الأسرة الذي جرى في امتداد تحولات اجتماعية وثقافية عميقة وعاصفة، فإن فقدان هذه المؤسسة الاجتماعية المتزايد لقدرتها على الاستمرار مرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة يعتبر من الأمور التي تؤرق رجال الدين والعلم والتربية الذين يقع على عاتقهم عبء المحافظة على القيم المكتسبة وصيانتها، مما يدعو إلى الالتفاف حول استراتيجية موحدة تهدف إلى التصدي إلى العوامل المؤثرة، وذلك عن طريق حوار بنَّاء وفاعل.

إن مما لا شك فيه أن السلطة الأبوية داخل الأسرة المحافظة قد أخذت تتراجع وتضمحل تدريجياً لتفسح المجال لمصادر جديدة لإنتاج القيم الأسرية وتوزيعها يأتي في مقدمها الإعلام المرئي بكل مكوِّناته، الأمر الذي يهدد بزوال السلطة الأبوية واضمحلال الثقافة التقليدية وتراجع القيم الدينية والأخلاقية، والأدهى من ذلك كله أن التأثير السلبي الذي أصاب مؤسسة الأسرة سلطة ومرجعية وثقافة يفتح الباب لعجز مريع في مجال المقاومة والتصدي لعوامل زحف العولمة الثقافية الكاسحة والزاحفة التي ترمي إلى تحطيم القيود الأسرية ذات المنزع الديني والأخلاقي من أجل توحيد العالم على مقتضى نظام قيمي جديد لا يعير المرجعية الدينية أي اعتبار أو اهتمام.

ثانياً: التربية، وتعتبر النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وتعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية نابعة من عقيدة وفلسفة الأمة في الحياة، والتربية الدينية لا تقتصر عادة على الجوانب الوجدانية والعاطفية في الإنسان، وإنما تُطال أيضاً الجوانب الفكرية والسلوكية، إن هدفها هو الإنسان المتدين الصالح وليس الإنسان المتدين فقط، وهدفها أيضاً المحافظة على الفطرة الإنسانية السليمة والعمل على تنميتها وتزكيتها باستمرار، ولذلك فإن الفرد المتدين لو رأى تعرض القيم التربوية للانحلال والتدهور، فإنه يكون مكلفاً ومسؤولاً عن حمايتها وصيانتها بالسبل الممكنة.

أما اليوم، ففي ظل سيادة نظام ثقافة العولمة، أصبح المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم التربوية وصناعتها وتشكيل الوعي التربوي يأتي عن طريق مجال الإعلام السمعي البصري، حيث صار في وسع البث عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المادة التربوية الجديدة إلى كل الأصقاع بيسر بالغ تضيع معه التقاليد التربوية القائمة على أساس من الدين والفطرة. «إن المجتمعات الأكثر علمانية تسودها موجة عارمة من الانفلات الأخلاقي والتربوي، حيث نجد ظاهرة التسيب العام لدى الأطفال والمراهقين وانتشار عوامل الإغواء والإغراء الجنسي مما أضعف الوازع الديني لدى الأفراد الذين يجدون أنفسهم فريسة لصراع داخلي بين دافع الوفاء لقيم الأسرة الملتزمة والرغبة في الخضوع لعوامل إغواء وتحقيق الأهواء والرغبات، وهنا يكون الطفل أو المراهق في أشد الحاجة إلى قيم التحصين التي تؤدي الأسرة أكبر دور في تفعيلها وتنميتها، في مواجهة عولمة ثقافية وإعلامية موغلة في الإفساد والاستهتار بالقيم التربوية والأخلاقية.

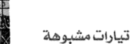
ثالثاً: الثقافة، لا شك في أن الثقافة بما هي مجموعة التصورات والقيم والسلوكيات الإنسانية هي القضية الأكثر التصاقاً بالخاص الحميم للأفراد والجماعات التي تدفعهم للصراع من أجل الاحتفاظ بها وصيانتها وحمايتها، وبالرغم من اقتناعنا بتعدد الثقافات وتنوعها، إلا أن تأثير العولمة الثقافية على الخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب يبدو أمراً واقعاً يدعو إلى «ممانعة ثقافية» تتصدى للانعكاسات السلبية لتلك العولمة الثقافية الجارفة لكل ما يمت إلى الأسس والمرتكزات الدينية والأخلاقية لأي ثقافة يتم الاعتزاز بأصالتها، ولا ننكر ـ بهذا الصدد ـ أن سيادة الثقافة الوطنية هي في حالة انهيار نتيجة لتضافر الضغوط الثقافية والقيمية الكثيفة من الخارج وفي مقدمها ضغوط وسائل الإعلام المختلفة التي أضحت المؤسسة الثقافية الجديدة التي تقوم وظيفتها مقام المؤسسات الثقافية الوطنية المتشبعة بتقاليدها وأعرافها وقيمها الأصيلة.

إن أبرز ما ينبغي أن نفعله في هذا المجال هو تقويم التقنيات الإعلامية المستوردة في ضوء حاجات الإنسان المسلم وخصوصاً في الديار الغربية، وفي سبيل تحقيق ذلك لابد من وضع ضوابط لانسياب البرامج والمواد الإعلامية والثقافية التي قد يكون لها أثر سلبي، وذلك بهدف الدفاع عن الثقافات الوطنية القائمة على الفطرة الدينية والإنسانية، أي الثقافة التي تنسجم مع فطرة بني الإنسان وتشكل المساحة الإنسانية المشتركة فيما بينهم، وفي الوقت ذاته تحترم الخصوصيات الثقافية للشعوب ●

الحديث عن الهوية الإسلامية تزداد أهمية عندما تؤخذ بعين الاعتبار الحاجات الثقافية للمجموعات الإسلامية الواسعة التي تقيم في ديار المهجر. ويحتاج أمر الحفاظ على معالم الشخصية والهوية الإسلامية إلى برامج مختلفة للعمل الثقافي تكون مناسبة لهذه الأوضاع الخصوصية



تيارات مشبوهة



ذروة الكراهية للإسلام..

حرب «الشتائم القذرة».. ضد النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم: شعبان عبدالرحمن - Shaban1212@hotmail.com



بين الحين والآخر تتناثر من الساحة «الغربية» حقائق جديدة تفسد ما تلح عليه الآلة الإعلامية بأن الحرب الدائرة منذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر العام ٢٠٠١م هي ضد «الإرهاب» وليست ضد الإسلام، وشاهدنا على ذلك ليست تلك الممارسات الموتورة لبعض الجماعات العنصرية والأحزاب المتطرفة ولا تلك الحملات المضللة من قبل بعض وسائل الإعلام الصهيونية، لكن شاهدنا هنا هو ممارسات صادرة عن بعض السلطات الرسمية في الكثير من البلدان الغربية، وهي تشهد على أن جانباً كبيراً من الغرب الرسمي - لا الجماعات ولا وسائل الإعلام المتطرفة فحسب - يمقت الإسلام ويسعى لاقتلاعه من أرضه، فضلاً عن محاربته والعمل على تحجيمه.

ووسط صخب الآلة العسكرية في حربها ضد الإسلام والمسلمين في أرجاء الأرض، تدور حرب أخرى أشد وطيساً تخوضها الآلة الإعلامية بشراسة ضد الإسلام وشخص رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، وهي حملة تنبئ عن حقد دفين أسود.... وليست حملة انتقاد ولا حتى تشويه للإسلام، وإنما هي «حرب شتائم قذرة» يقف على رأسها قادة دينيون يقودون تياراً عريضاً من المسيحيين الأصوليين المتشددين.

وقد بلغت تلك الحملة ذروتها في الأسابيع الأخيرة بقيام ثلاثة من كبار القساوسة وبعض القادة بتوجيه السباب لرسولنا صلى الله عليه وسلم عبر القنوات التلفازية الصهيونية ووسائل الإعلام الأخرى.

شتائم على الهواء

ففي برنامج تلفازي بثته قناة «فوكس الصهيونية» وصف «بات روبرتسون» رسولنا.. الصادق الأمين، والرحمة المهداة، بأنه «مجرد متطرف ذو عيون متوحشة... و قد كان سارقاً وقاطع طريق» وقال عن الدين الإسلامي: إنه «خدعة هائلة» وأن القرآن الكريم «سرقة دقيقة من الشريعة اليهودية»!!!.

القس «جيمي سوجارت» كان على المستوى نفسه من الكلمات العدائية والعدوانية، عندما قال عن أطهر الخلق، صلى الله عليه وسلم، «إنه شاذ جنسياً»، وأنه «ضال انحرف عن طريق الصواب»!.

أما القس «جيري فالويل» فكان على الحال نفسه، إذ قال في برنامج «ستون دقيقة» والذي تبثه القناة الصهيونية نفسها (فوكس): «أعتقد أن محمداً كان إرهابياً... وفي اعتقادي أن المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى... وأعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً..»

شُلّت ألسنتكم ولُعنتم بما تقولون أيها الكذابون الخائنون لرسالة عيسى وموسى - عليهما السلام.

وهذه الحملة السوداء لا يتولى القيام بها القادة الدينيون وحدهم، وإن كانوا يقومون بقسط كبير فيها، بينما تشارك فيها مؤسسات معتبرة في المجتمع الغربي بأدوار أخرى وكل يكمل بعضه بعضاً.

إنها منظومة متكاملة تعزف معزوفة واحدة منذ القرون الغابرة وكل يعرف دوره جيداً فيها.... ولقرون طويلة سابقة كان الإيمان قرين التعصب، كما يرى «فولتير»، وكانت السلطة السياسية الإسلامية تطابق الاستبداد وفقاً لـ«مونتسكيو» صاحب تعبير «الاستبداد الشرقي» والتقاليد الإسلامية كانت تأتي مقرونة بالتخلف والبدائية مثلما صورها «أرنست رينان» الذي قال: «ان الإسلام هو النفي الكامل لأوروبا، وهو مناف للعلم وقامع للمجتمع المدني، إنه البساطة السامية السانحة التي تقيد العقل وتطبق على الأفكار الرقيقة على البحث العقلاني».

وقد جاءت كتابات «هنتغنتون» و«فوكوياما» وغيرهما في العصر الحديث لتمثل امتداداً لتلك الحملة الصليبية الفكرية والسياسية ضد الإسلام وإحياء لروح «فرانسيس فوكوياما» صاحب نظرية «نهاية التاريخ» والذي يقدم مثالاً على ذلك إذ لم يجد غضاضة فيما قاله في صحيفة «وول ستريت جورنال»: «إن الإسلام ككل وبحد ذاته - وليس بعض أشكاله السياسية المعاصرة - قد صار قوة معادية لكل ما يمثل الحداثة والديموقراطية».

ورئيس إحدى البلديات الإيطالية الذي سارع بعد الإعلان عن فوز حزب العدالة والتنمية التركي بتنكيس العلم فوق مبنى البلدية قائلاً

صراحة: إنه فعل ذلك لخوفه من انضمام تركيا الإسلامية إلى الاتحاد الأوروبي، هو مثال آخر.

وهناك وقائع كثيرة - تحت أيدينا - جرت في بلاد الغرب ولكنها لم تنل حظها من التناول الإعلامي و تثبت تطرفها ضد الإسلام.

في إحدى المدارس البلجيكية

ففي بلجيكا وفي داخل إحدى المدارس أشاد طالب مسلم خلال الدرس «بالعفة الجنسية»، فقوبل ذلك باستهجان المسؤولين، لا في المدرسة فحسب، وإنما على نطاق الدولة، حتى إن وزير التعليم نفسه أعرب عن غضبه من سلوك الطالب، ووجه نقداً لاذعاً للمدرس، معتبراً سكوته عما قاله الطالب بمثابة تأييد له وهو - في عرف الوزير - موقف «متخلف» و«رجعي».

انتقاد الشذوذ تعدٍّ على القيم!

موقف شبيه حدث في هولندا، ولكن الواقعة كانت في مسجد «روتردام» حيث انتقد خطيب الجمعة الشيخ خليل مؤمني «مغربي» الشذوذ وحذّر من خطورته على المجتمعات. ومع أن الرجل كان يخطب في مسلمي المسجد، وبالرغم من أن كلامه لاقى استحسان الحاضرين، ولم يعترض عليه أحد من الحضور، إلا أن أكثر من خمسين منظمة هولندية أقامت على الرجل الدنيا ولم تقعدها، متهمة إياه بالتعدي على «قيم» المجتمع!. وانتفض سياسيون هولنديون يطالبون بتقييد حرية المساجد في ممارسة النقد.

وأمام هذه الحملة الجارفة لم يجد الشيخ خليل بُداً من الاعتذار علناً عن ما قاله، وأعلن أنه كان حسن النية فيما قال ولم يخطر بباله أن يؤذي أحداً!.

وهكذا.. لمجرد الإعلان عن استحسان «العفة الجنسية» اعتبر سلوكه رجعية وتخلفاً، ولمجرد انتقاده «للشذوذ» اعتبر اعتداء على «القيم»!!، أما السب والتجريح والسخرية من الإسلام ورسوله، صلى الله عليه وسلم.. فهو الحرية والإبداع وحق أصيل من حقوق الإنسان، ومن يمارسه يلقى الرعاية والوجاهة والحماية، وما حال «سلمان رشدي» منا ببعيدة.

والسؤال: أين توضع هذه الحوادث بالضبط في سجل حرية الرأي والتعبير الأوروبي؟

القرآن الكريم يجيب على ذلك بوضوح: (أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) الأعراف: ٨٢.

نيجيريا.. سب للنبي ﷺ

المسألة أصبحت مغرية لكل ناعق وكل مدع للفكر وكل نكرة يريد أن يقدم نفسه للساحةً الدولية في ميدان السمسرة والارتزاق على حساب الإسلام ونبيه المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ليس في الغرب فقط بل عند بعض الكتاب في العالم الإسلامي ذاته، فقد عاينا كُتّاباً يسخرون من الرسول، صلى الله عليه وسلم، ويشككون في الوحي تحت زعم حرية الفكر والنقد. وكان أحدث هذه النماذج ما فعله «سيمون كولاولي» رئيس تحرير صحيفة «ذيس داي نيوز» النيجيرية (بلد إفريقي ذو أغلبية مسلمة يحكمه رئيس مسيحي هو «أولوسيغون أوباسانجو».

والذي تعرض في مقال له يوم ٢٠٠٢/١١/١٦م لشخص النبي، صلى الله عليه وسلم، بالإساءة وذلك في معرض رده على اعتراض بعضهم على إقامة مسابقة ملكة الجمال الأخيرة باعتبارها تشجع على الرذيلة.

وقد تسبب المقال الحافل بالشتائم في إثارة أعمال شغب استمرت ثلاثة أيام في مدينة كادونا التي تسكنها أغلبية مسلمة وسقط فيها ١٠٥ قتيلا على الأقل.

وامتدت الاحتجاجات الجماهيرية إلى العاصمة النيجيرية «أبوجا» غضباً من إهانة دينها ونبيها، المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ولم تتوقف الاحتجاجات حتى أعلن منظمو المسابقة نقلهم لوقائع الاحتفال إلى لندن. واعتذرت الصحيفة للمسلمين بعد توقيف كاتب المقال من قِبَل الشرطة.

ترى..

ماذا بعد كل هذا...؟!

هل وصل بنا الانهزام والهوان إلى هذه الدرجة حتى تُصاب وسائل إعلامنا بالصمت حيال ما يتعرض له دين الأمة ونبيها وعقيدتها؟! ●

«الرابطة» تستنكر إساءة صحيفة أميركية لشخص الرسول الكريم

استنكرت رابطة العالم الإسلامي إساءة بعض الصحف الأميركية إلى الإسلام والمسلمين حتى طالت شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

واعتبر الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عبدالله التركي في بيان رسماً كاريكاتيرياً نشرته صحيفة أميركية بأنه يدرج ضمن الحملات الإعلامية الجائرة التي يشنها بعض المعادين للإسلام لإثارة مشاعر المسلمين في العالم.

وكان رسام الكاريكاتير الأميركي في صحيفة «تلاهسي دينقراط» دوغ مارلت قد رسم كاريكاتيراً ذيّله بعبارة: «ماذا يقود محمد»، صوّر فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتدياً زياً عربياً وهو يقود شاحنة محملة بصواريخ مشابهة للتي استخدمها المسيحي اليميني «توماس ماكفاي» في تفجير مدينة أوكلاهوما سيتي الأميركية العام ١٩٩٥م.

وأكد التركي أن الحملات الإعلامية الغربية المغرضة ضد الإسلام ورسوله الكريم لن تغير شيئاً، بل ستقوّي تمسك المسلمين بدينهم الإسلامي وسنّة نبيهم، إلا أن تلك الأفعال تؤدي إلى تعكير صفو العلاقات بين الشعوب وإثارة مشاعر الكراهية بين الناس ووضع العراقيل أمام حوار الحضارات.

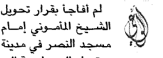
وعدّد الشخصيات التي تعمدت تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم ونشر تحريفات حول القرآن ومعانيه منهم القس «جيرال فالويل، وبات روبرتسون، وفرانكلين غرام»، إضافة إلى برامج تلفازية بينها «هانيني الدكولمز» الذي بثته قناة «فوكس» الأميركية في ١٨ سبتمبر الماضي.

وأوضح أن هذه الحملات المعادية للإسلام تستهدف تحريض الشعوب ضد الإسلام والانقلاب على حضارته ذات القيم الفاضلة، وتبرير أعمال التمييز والكراهية ضد المسلمين والثقافة الإسلامية.

ودعا الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي المؤسسات الإسلامية في الولايات المتحدة الأميركية، إلى عدم الانسياق وراء الإثارة الإعلامية المغرضة التي تقف وراءها الصهيونية العالمية لتعزيز التعاون مع المؤسسات الأميركية المهتمة بالحوار بين الأديان ●



أزمة الدعاة... في غير ديار الإسلام



بقلم: أ. د/ محيي الدين عبدالحليم

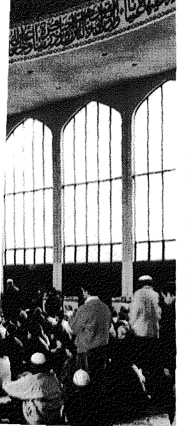
لم أفاجأ بقرار تحويل الشيخ المأموني إمام مسجد النصر في مدينة روتردام الهولندية إلى القضاء بتهمة العنصرية، وتهديده الحياة الاجتماعية والتعايش السلمي في المجتمع الهولندي بعد أن ذكر في برنامج «نوفا» التليفزيوني أن الشذوذ هو بمثابة مرض اجتماعي معدٍ، وأن الدين الإسلامي يحارب الشواذ، إلى غير ذلك من التصريحات التي أثارت عليه ثائرة الرأي العام، ومنظمات حقوق الإنسان، وتجمعات الشواذ، وطالب الجميع بالقصاص من هذا الإمام الذي أهانهم جهاراً وبصورة علنية عبر الشاشة الصغيرة، وإذا تأكدت المحكمة من صحة هذا الاتهام فإنها سوف تحكم على الإمام بالسجن فترة تزيد على العام، كما أنها سوف تمنعه من أداء مهام وظيفته، وتحكم بمراقبة نشاطه وتحركاته.

وإذا كان الدين الإسلامي يدين هذه العادة المرذولة التي أكدت الأبحاث الطبية خطورتها البالغة على صحة الإنسان، كما أنها تحط من كرامته، ولا تتوافق مع فطرته، والهدف الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى لعمارة الكون واستمرار الحياة، إلا أن هذا الدين استبعد الغلظة والعنف في مخاطبة الآخرين، أو الإساءة إلى مشاعرهم، وانطلاقاً من هذه الحقيقة وضع الإسلام أساساً للعلاقة بين كل أفراد الجنس البشري يقوم على المودة والاحترام، ومساعدة الملهوف، والرفق بالإنسان أياً كان دينه أو مذهبه أو أصله حتى لو كان مشركاً بالله، وفي هذا يقول الله تعالى في سورة التوبة «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» آية (٦).

وقد كان هذا شأن الرسول حتى مع المنافقين والعصاة وأعداء الله، فكان يشفق عليهم من إثم ما يصنعون، ويكتفي بالموعظة الحسنة والكلمة الرقيقة دون أن يسيء لأشخاصهم بشيء، فكان يجد غير المسلمين في دعوته الدواء لأمراضهم، وعلاجاً لمشكلاتهم، وتلبية لحاجاتهم، وتحقيقاً لآمالهم في حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة بين بني الإنسان، لأن هذا الدين قد وضع دستوراً للعلاقة بين الناس جميعاً يقضي على روح الاستعلاء بالعنصر أو الدم أو العرق أو الدين، ويفتح الطريق لأسلوب جديد في فنون القول، وأسلوب التعامل وفن الاقناع.

وإذا كان من صفات الداعية المسلم الفطنة والذكاء والمهارة في مخاطبة الآخرين، فإنه كان يجب أن يفطن الشيخ المأموني إلى العادات والتقاليد، والميراث الثقافي، والقوانين التي تحكم إيقاع الحياة في المجتمع الهولندي، ألا يعلم هذا الإمام أن البرلمانات الغربية قد أباحت الشذوذ الجنسي بين الرجال، كما أباحته بين النساء وذلك منذ سنوات عدة وأن السلطة التنفيذية في هذه الدول قد امتثلت للقوانين التي تحمي الشواذ، وأصبح لهم اتحادات وتجمعات ونوادٍ تدافع عنهم؟ وهل نسي الشيخ المأموني أن الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون قد فاز بمقعد الرئاسة بفضل أصوات الشواذ ودعمهم له بعد أن أنصفهم، واستجاب لرغباتهم.

إن أزمة الدعوة الإسلامية تكمن في هؤلاء الدعاة الذين لا يعرفون كيف يخاطبون جمهوراً لا يدين بالإسلام، ولا يعترف بمعطياته الفكرية، جمهور تحكمه مواريث ثقافية تختلف كل الاختلاف عن المرجعية الفكرية التي تحكم العقل المسلم، ومن هنا جاءت حكمة التدرج في عرض القضايا الخلافية على الآخرين، وفي هذا يشير الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن التدرج كان أبرز الأساليب



الدعوية الفاعلة في حقل الاقناع وهو سنة كونية، وسنة شرعية أيضاً، وقد جاءت هذه السنة تيسيراً من الله لعباده فيما شرعه لهم، فحين فرض الله الفرائض، كالصلاة والصيام والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة.. فالصلاة فرضت أول ما فُرضت ركعتين ركعتين، ثم أقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع، كما فُرض الصيام في أول الأمر على التخيير، من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى، والزكاة فُرضت أولاً مطلقة غير محددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير، بل تُركت لضمائر المؤمنين وحاجات الجماعات والأفراد، ثم تم وضع الأصول والمعايير والمقادير التي أقرتها الشريعة الإسلامية بعد ذلك.

أما المحرمات فلم يأت تحريمها دفعة واحدة، لأن الله قد علم مدى سلطانها على الأنفس، وتغلغلها في الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان، فليس من الحكمة فطام الناس عنها بأمر مباشر يصدر لهم، إنما الحكمة بإعدادهم نفسياً

أزمة الدعوة تكمن في الدعاة الذين لا يعرفون كيف يخاطبون جمهورا

وذهنياً لتقبلها من خلال الأخذ بقانون التدرج في تحريمها، وحين جاء الأمر الحاسم كانوا مهيئين لتنفيذه ومن أوضح الأمثلة التي تؤكد ذلك هو تحريم الربا والخمر على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، حتى نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها في سورة المائدة.

ولعل رعاية الإسلام للتدرج هي التي جعلته يُبقي على نظام الرق، الذي كان سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام، ولو تم إلغاؤه مرة واحدة لأدى ذلك إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة في تضييق روافده، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فكان ذلك بمثابة إلغاء للرق بطريق التدرج.

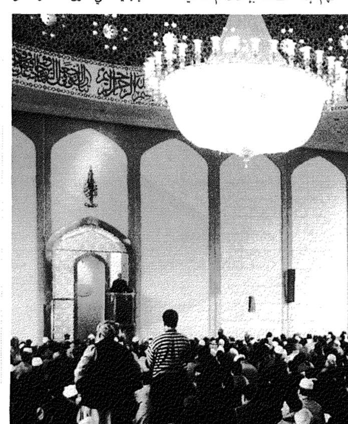
وهذا يعني أن التدرج كان بمثابة سنة إلهية في فنون الدعوة، لأن الغاية التي يسعى الداعية لتحقيقها يصعب أن تتحقق بين يوم وليلة، ومن ثم فإنه لابد في البداية من الإعداد والتهيئة لذلك، مع الأخذ في الاعتبار سمو الأهداف، ومبلغ الإمكانات، وكثرة المعوقات، وهو المنهاج الذي سلكه النبي (صلى الله عليه وسلم) عينه لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية، حيث تركزت مهمته خلال ثلاثة عشر عاماً بمكة في تربية الجيل المؤمن، الذي يستطيع فيما بعد أن يتحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد، ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين، بل كانت مرحلة تربية وتكوين، وكان القرآن نفسه فيها يعني قبل كل شيء بتصحيح العقيدة وتثبيتها في النفس والحياة، أخلاقاً وأعمالاً، قبل أن يعنى بالتشريعات والتفصيلات، ولهذا بدأ الإسلام أولاً بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً.

وهكذا نرى أنه تعالى قد أكمل دينه وأتم نعمته بمنهج التدرج الذي نزل به، ولو نزل دفعة واحدة لشق الأمر على الخلق، وصعب عليهم امتثال أحكامه، وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم، ويكونوا عوناً للناس على تطبيقها، وقد تنبه السلف الصالح لهذه الحقيقة حين ساروا على نهج التدرج في مختلف الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وفي هذا المعنى تقول عائشة رضي الله عنها، واصفة تدرج التشريع ونزول القرآن بقولها: «إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا أثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر ولا تزنوا، لقالوا: لا ندع الخمر ولا الزنا أبداً».

وفي قصص القرآن الكريم نرى سنة التدرج مائلة في منهج دعوة الرسل، وما قصة نوح عليه السلام عنا ببعيدة، وهو الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما آمن معه إلا قليل، ولكنه صبر واحتمل، ونوّع في أساليب دعوته معتذراً إلى الله بقوله: «قال رب إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً. فلم يزدهم دُعائي إلا فرارا. إلى أن قال: «ثم إني دعوتهم جهاراً. ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسراراً». نوح ٨ - ٩ فما بال الدعاة اليوم يستعجلون استجابة المدعو؟، وما بالنا نحكم على الناس دون أن نخالطهم أو نصبر عليهم؟ بعد أن بين لنا القرآن الكريم الطريق الصحيح للإقناع، وهو طريق الحكمة من خلال التدرج بالناس، والصبر عليهم.

وطالما أنه كان التدرج سنة إلهية فما كان يجب أن يصدم الشيخ المأموني الجمهور الهولندي بأحكام لم يألفوها في أول حديث له حول القانون الذي صدر لهم بإباحة الشذوذ الجنسي، ومن ثم فما كان يجب أن يتعجل النتائج ويستبطىء إحراز الهدف، إن مثله في ذلك كمثل الزارع الذي يحصد الثمرة قبل نضجها، فيكون بذلك قد خسر جهداً بذله في زراعتها، وخسر الثمرة نفسها قبل أوان نضجها.

وبهذا وضع الإسلام أساساً لفن الدعوة وأسلوب الإقناع مستهدفاً من وراء ذلك نشر كلمة الحق بالقول والعمل، وهداية الغير، والمحافظة على حقوق الناس وأعراضهم وأموالهم وصيانة حرياتهم وكرامتهم، وهذا يتطلب رجالاً يتحلون بحسن الخلق ولين القول، ورقة الحديث، والإعراض عن اللغو لإيجاد تفاهم مشترك وحوار موضوعي مع غير المسلمين كمدخل أساسي لتقديم الثوابت الأساسية التي قام عليها هذا الدين على مراحل بعد أن يألفها الناس ويدركوا أبعادها ومردودها الإيجابي على حياتهم ●





إلهية القرآن الكريم والتشكيك فيها قديماً وحديثاً

بقلم: غازي التوبة

أول حرص الرسول صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى التي تلقى فيها الوحي أن يوضح أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى، وأن فيه دليلاً على نبوته صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه وتعالى: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) النمل: ٦، وقال سبحانه أيضاً: (ألم. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) السجدة: ١ ـ ٢، (حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) غافر: ١ ـ ٢، لذلك اجتهد المشركون من أجل تحطيم دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإبطال نبوته للتشكيك في إلهية القرآن، فقالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين، قال سبحانه وتعالى: (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) الأنعام: ٢٥، وقالوا عنه أيضاً إنه سحر، قال سبحانه وتعالى: (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) القصص: ٣٦، واتهم المشركون الرسول بأن الذي يعلمه القرآن رجل أعجمي في حين أن القرآن عربي البيان، قال سبحانه وتعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل: ١٠٣، وقد اتهم المشركون الرسول بافتراء القرآن، قال سبحانه وتعالى: (أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً) الأحقاف: ٨ فرد عليهم القرآن بأن محمداً معروف لديهم، وقد صاحبهم أربعين سنة قبل ذلك ولقبوه بـ «الأمين» ولم يعهدوا عليه كذبا أو خيانة، فكيف يتنكرون لحكمهم السابق ومعرفتهم القديمة؟!! ويعبر عن ذلك بكلمة «صاحبكم» قال سبحانه وتعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى) النجم: ٢، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: (وما صاحبكم بمجنون) التكوير: ٢٢، وقد اتهم المشركون الرسول بأنه شاعر وبأن القرآن شعر، فرد القرآن الكريم على ذلك فقال سبحانه وتعالى: (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) الحاقة: ٤١، وقال سبحانه وتعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يس: ٦٩.

ليس من شك بأن رسوخ البيان العربي وانتشاره في العرب المعاصرين للبعثة هو الذي ولد يقينهم بإلهية القرآن الكريم، وهو الذي أعطى تحدي الوحي لهم بأن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة مثله معنى حقيقياً، وهو الذي جعلهم يستشعرون معجزة القرآن البيانية، ويؤكد ذلك موقفان: موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي دخل في الإسلام بسبب سماعه بعض آيات من القرآن الكريم، وموقف الوليد بن المغيرة الذي ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثنيه عن دعوته فأسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الآيات فرق لها وقال عن القرآن الكريم: «فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى عليه» رواه ابن جرير».

برز التشكيك في إلهية القرآن الكريم في مرحلة مبكرة من التاريخ في بداية العصر العباسي، وسميت الفرقة التي شككت في إلهية القرآن الكريم بـ «فرقة الزنادقة»، وكان أبرز من رد عليهم أحمد بن حنبل ـ يرحمه الله ـ في «رسالته المسماة «رسالة الرد على الزنادقة والجهمية» فبدأ رسالته بالحديث عن «بيان ما ضلت به الزنادقة من متشابه القرآن» وأورد

عـدداً من الآيات التي زعم الزنادقـة أنها متناقضة ثم بيَّن عدم تناقضها واتساقها مع بعضها بعضاً. والآية الأولى التي تناولها أحمد بن حنبل هي قوله سبحانه وتعالى: (كلما نضـجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) النساء: ٥٦، فبين أن الزنادقة فهموا منها أن الله سبحانه وتعالى يعذب جلوداً لم تذنب فوضح لهم أحمد بن حنبل أن تبديلها تجديدها، ثم زعم الزنادقة أن هناك تناقضاً بين قوله سبحانه وتعالى: (هذا يوم لا ينطقـون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون) المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦، وبين قوله سبحانه وتعالى: (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) الزمر: ٣١، فرد عليهم أحمد بن حنبل بأن لكل آية مقاماً، كما زعموا أن هناك تناقضاً بين قوله سبحانه وتعالى: (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً) الإسراء: ٩٧، وبين قوله سبحانه وتعالى: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) الأعـــــراف: ٥٠، وأن هناك تناقضاً بين قوله سبحانه وتعالى: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) المؤمنون: ١٠١، وبين قوله سبحانه وتعالى: (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الصافات: ٥٠، ثم سرد أحمد بن حنبل عدداً آخر من الآيات التي ظنوا أنها يناقض بعضـهـا بعضاً، وقد ناقش معهم سبع عشرة مسألة أثاروها.

ثم تعرضت قضية إلهية القرآن الكريم إلى التشكيك في العصـر الحديث كما تعرضت إلى ذلك في العصور السابقة إن لم يكن بصورة أشد، وقد أشار الدكتور محمد البهي في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» إلى كتابين هما: «المذهب المحمدي» للمستشرق جب، و«في الشعر الجاهلي» لطه حسين، تعرضا لقضية إلهية القرآن الكريم تحت فكرة «بشرية القرآن»، التي عرضت في إحدى صورتين:

«الصورة الأولى: إنه «أي القرآن الكريم» انطباع في نفس محمد صلى الله عليه وسلم نشأ عن تأثير بيئته التي عاش فيها، بمكانها وزمانها، ومظاهر حياتها المادية والروحية.

الصورة الثانية: إنه «أي القرآن الكريم» تعبير عن الحياة التي عاش فيها محمد بما فيها المكان والزمان، وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والمدنية والاجتماعية» «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي، ص٢٠٣».

ثم يلخص الدكتور البهي رأي المستشرق جب في «بشرية القرآن» وكونه انطباعاً بشأن تأثير بيئته فيقول: «إن جب يرى: أن جو مكة بما فيه من زعامة اقتصادية وسياسية ثم بما فيه من عيوب اجتماعية كالرق والفوارق البعيدة المدى بين الطبقات، هو الذي أثَّر في نفس محمد صلى الله عليه وسلم ليكون صاحب ثورة. فالحياة المكية بما فيها من عوامل إيجابية وأخرى سلبية قد تفاعلت في نفسه، وهو يرتبط في رسالته بهذه الحياة أيما ارتباط بحيث لو كان رجلاً غير مكي لما صادف هذا النجاح» «الكتاب السابق، ص٢٠٤».

ثم ينتهي الدكتور البهي من التعليق على كتاب «المذهب المحمدي» للمستشرق جب، فيقول: «والقرآن كما يريد جب أن يقول إذن: هو من عمل إنسان معين هو محمد، عاش حياة خاصة وهي حياة المكيين، وتبلورت حياته الخاصة فيما قال فيه» «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي، ص٢٠٩».

ثم يلخص الدكتور البهي فكرة «بشرية القرآن» كما عرضها الدكتور طه حسين فيقول «ص٢١٢»: «يقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة هي: أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام أي لا يمثل الحياة التي عاش فيها الرسول قبل الرسالة بما فيها من جوانب وأجواء، إذ هو شعر مصطنع منتحل، ولهذا لا يعبر عن حقائقها ولا عما دار فيها. فهو في جملته يعبر عن حياة جاهلية فيها غلظة وخشونة، وبعيدة عن التحدي السياسي والنهضة الاقتصادية والحياة الدينية الواضحة، مع أن حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حضارية والعرب كما يقول طه حسين: لم يكونوا على غير دين ولم يكونوا جهالاً غلاظاً، ولم يكونوا في عزلة سياسية أو اقتصادية قياساً إلى الأمم الأخرى... كذلك يمثله القرآن «ثم ينتهي الدكتور البهي إلى القول: «ومنطق المؤلف: بما أن الشعر الجاهلي لا يصح أن يكون مرآةً صافية للحياة الجاهلية وهي الحياة التي نشأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقام بدعوته، وكافح من أجل هذه الدعوة فيها فالشيء الذي يعبر عن هذه الحياة تعبير صدق وموثوق به كل الثقة هو القرآن.. «فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي». ثم يقول الدكتور البهي في موضع آخر من كتابه «فالقرآن مؤلف ومؤلفه نبيه محمد!!! ويمتاز تأليفه بأنه يمثل حياة العرب المحدودة في شبه جزيرة العرب، في اتجاهات حياتها المختلفة: السياسية، والاقتصادية، والدينية.

الحياة المكية بما فيها من عوامل إيجابية وأخرى سلبية تفاعلت في نفس سيدنا محمد ﷺ

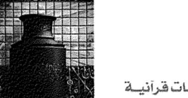
ومنهج دراسة الحياة الجاهلية للعرب قبل الإسلام دراسة علمية، كما يدور عند صاحب كتاب «الشعر الجاهلي» بين أمرين لا ثالث لهما: بين ما يسمى بالشعر الجاهلي، وبين القرآن، كلاهما للإنسان، وكلاهما يتحدث عن الحياة العربية الجاهلية، لكنه استبعد الشعر الجاهلي واختار القرآن لهذه الدراسة لأنه صادق في كونه «انطباعاً» دقيقاً لهذه الحياة.

القرآن إذن مصنوع مؤلف!!! هو مرآة لأفق خاص من الحياة، هو أفق الحياة في شبه الجزيرة العربية في مكة بوجه خاص!!!».

ومن صور التشكيك التي تعرضت لها قضية «إلهية القرآن» في العصر الحديث على يد غلاة القوميين العرب اعتبارهم القرآن الكريم إفرازاً من إفرازات الذات العربية، وتعبيراً عن العبقرية العربية، وتجلياً من تجليات الروح العربية، ولا شك أن مثل هذا التصور عن القرآن يلغي أي إلهية عنه، ويجعل الذات العربية تعيش وهم القدرة على إفراز مثل تلك الرسالة أو مثل ذلك الكتاب في أوقات أخرى.

هذا عن بعض التشكيكات التي تعرضت لها قضية إلهية القرآن الكريم في العصر الحديث، أما عن الوجه الآخر لقضية إلهية القرآن الكريم وهو الموقف من اللسان العربي وبيانه في القرن الماضي فنجد أن الهدم مورس بحق اللغة العربية بشكل لا يقل عن التشكيك في إلهية القرآن الكريم، ومن هذا الهدم اتهام اللغة العربية بالجمود وبالعجز عن مجاراة تطورات العصر، وبأنها لغة غير علمية، وبأن نحوها معقد، وإملاءها صعب إلخ... واقترحت حلولاً في منتهى الغرابة، منها: الكتابة بالعامية وترك الفصحى، واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، وتغيير قواعد النحو والإملاء... إلخ، وبالفعل مارس بعض الأشخاص والمؤسسات خطوات في ترجمة تلك الحلول، فأصدر بعضهم ديواناً بالحرف اللاتيني، وكتب بعضهم روايات باللغة العامية، وأقر بعضهم نحواً له مصطلحات جديدة منقولة عن النحو الانكليزي في بعض المراحل الدراسية... إلخ

لذلك يجب على قيادات الأمة، من أجل تصحيح الأوضاع السابقة ترسيخ اللغة العربية وبيانها، وتعميق وجودها في التربية والإعلام، ففي ذلك تثبيت لعنصر رئيس من عناصر شخصية الأمة من جهة، وتفعيل لمناخ استشعار معجزة القرآن البيانية وإلهية القرآن الكريم من جهة ثانية ●



اقرأ.. جماليات في «السينوغرافيا» ودعوة إلى المعرفة اليقينية

بقلم: عبدالفتاح رواس قلعه جي . كاتب سوري



النص القرآني يختلف عن أي نص وضعي أو محرَّف، فهو النص الإلهي الوحيد الباقي بتمامه متناً واكتمالاً وطاقة حيوية أبدية.

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة:٣.

إنه ليس نصاً تراثياً كما يدَّعي بعضهم لأن التراث تنغلق عليه دائرة الزمن ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً حتى يصبح رميماً، وإنما القرآن كوْن يختزن الحياة وينفتح عليها أبداً، وذلك هو المعنى المستفاد من قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩.

فيه يجد الفرد والجماعة والشعوب وما تتطلب حياتهم من قواعد السلوك والاجتماع والسياسة والثقافة والاقتصاد دستوراً لا يعتريه نقص أو فساد مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة.

وما يجعل القرآن نصاً تاماً مفتوحاً مطلقاً مشعاً، لا تخبو حكمته، ووجوداً لايطاله عدم ولا تنغلق عليه دائرة زمان أو مكان كونه صادراً عن المطلق، النور الأتم الأقهر، موجد الموجودات، غير أن الوصول إلى هذه النقطة، أو عدم الوصول إليها، يعود إلى طبيعة قراءتنا للقرآن، فإما أن تكون قراءة معرفية مفتوحة على جوهر النص ونوره وعلى متحول العصر، وإما أن تكون ألواناً من قراءة سلفية «تقليدية» مغلقة لا تنفتح على جوهر النص ونوره ولا على متحول العصر.

وما يعنينا التماساً معاصراً لنظام حياتنا وحل مشكلاتنا، وفهم الأحداث والمتغيرات في عالمنا هو القراءة المعرفية المفتوحة، والسبيل إلى هذه القراءة هو التفكر، والآيات التي يدعو الله عباده بها إلى التفكر فيها كثيرة، والتفكر أمر غير التفكير أو التأمل، فالتفكر حركة دينامية ذاتية وخارجية

رحلة البحث التي بدأت بـ اقرأ ستؤدي إلى اكتشاف الحقائق الكونية في سنوغرافيا الوجود المتصل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة

فاعلة، موقظة لكل الأحاسيس، متصلة بالحياة غير منقطعة، منتجة للإبداع، مرتبطة بالثابت الجوهري، وبالمتحول الحداثي، يقول الله تعالى: (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يونس:٢٤.

من هذا المنطلق، ومن حاجتنا في خطاب النفس والآخر، إلى تقديم قراءات معاصرة للنص القرآني، قمت بمجموعة من الدراسات القرآنية في إطار دراسات إسلامية أوسع، أقدم منها هذه النماذج.

(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم) العلق: ١-٥.

في هذه الدراسة المكثفة لنص سورة العلق لا أدَّعي أنني أقدِّم تفسيراً فلست من رجال التفسير، ولكنني أنطلق من الخطاب «اقرأ»! لآخذ وضع القارئ وأقدِّم تجربة علمية عرفانية في دراسة هذا النص القرآني دراسة أدبية وفنية تتناول فضاءات التفكر المعرفي فيه، والشخصيات، و«سينوغرافيا» العرض القرآني، وهندسة الصمت والكلام في البنية الايقاعية، متلمساً في النص جماليات لا يأتي بها المفسرون عادة، ولابد لمتتبع هذه الدراسة أن يضع النص أمامه كاملاً قبل الشروع في القراءة.

اقرأ: وتبتدئ رحلة المعرفة

«اقرأ» هي أول ما نزل من القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي السورة الوحيدة فيه التي ترد فيها كلمة اقرأ بهذا المعنى وهو الدعوة إلى المعرفة، أما «اقرأ كتابك» في سورة الإسراء فهي شيء آخر، وبما أنها أول القرآن وبعدها تتابع التنزيل فهي مفتاح الدخول إلى الكون القرآني، وهي مفتاح الدخول إلى الايمان.

«اقرأ» ويبتدئ القرآن، اقرأ دعوة إلى معرفة هذا القرآن وتدبره، والذي وصفه الله بأنه: العظيم، والحكيم، والمجيد، والمبين، والعربي، وهو شفاء وهدى، وميسر للذكر، وهو الكتاب الذي لا ريب فيه، وهو باب لكل معرفة تنتهي بخير الإنسان، وبه أقسم، عز من قائل، فقال: (ق. والقرآن المجيد).

اقرأ إذن دعوة إلى المعرفة، وبالمعرفة نرتاد عوالم القرآن والإنسان والحياة، والقراءة بهذا المعنى، وفي هذه الطريق كشف مستمر وفتح للمقفل وتدبر (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد:٢٤، والقراءة المعرفية المنتجة هي التي تستمد طاقتها مباشرة من الخالق فهي منه وإليه «اقرأ باسم ربك» وأول ما على الإنسان التائق إلى المعرفة أن يقرأ حقيقة الخلق، ويبدأ بمعرفة خلق ذاته (الذي خلق. خلق الإنسان من علق) والآية ترد المتتبع إلى تراتب التكوين الإنساني في آيات أخر.

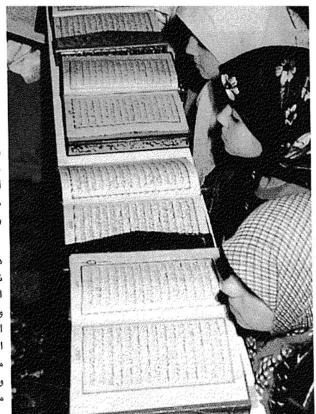
(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل) غافر:٦٧.

(فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً) المؤمنون:١٤.

من علقة في الرحم تنفخ فيها الروح فتهتز بالنمو والتشكل إلى إنسان يرتاد فضاءات المعرفة والكون، أليس هذا المدى مدعاة للاستكشاف والتفكر؟

وارتياد حقول المعرفة مفتوح ممهد للإنسان، وليس للمستعرف أن ينقطع به الرجاء ويقع في اليأس مادام العالم المتعالي صاحبه في هذه الرحلة وممده بالمعرفة، إنه «الأكرم» يعلمه «ما لم يعلم» وهذه عبارة تشحذ طموح الإنسان إلى المعرفة وتفتح أمامه آفاقاً في القراءة لا حدود لها، وقد هيأ له تثبيت علومه ومعارفه.

بـ«القلم» والكتابة أعظم إبداع للإنسان في رحلة المعرفة، بها ابتدأ تدوين التاريخ الإنساني، وابتدأت الذاكرة البشرية «الذي علم بالقلم»، فبالقلم العربي نزل القرآن وبالقلم الآرامي نزلت التوراة والإنجيل، وبأقلام أخرى نزلت كتب أخرى مما نعلم وما لا نعلم، ولكل أمة قلمها، ولكن القلم لا يعني الأبجدية الحروفية فحسب فقد ظهرت اليوم أبجديات ولغات خاصة مختزلة في الرياضيات والفيزياء الحديثة والمعلوماتية والاتصالات، وغيرها من العلوم، والعصر الحديث هو عصر ثورة المعلوماتية والاتصالات الرقمية، وكل ارتقاء جديد لابد أن يصحبه ارتقاء بالقلم - اللغة، وطريق (علَّم الإنسان ما لم يعلم) ممتدة إلى نهاية الوجود الإنساني.



القلم إذاً لم يعد مخصوصاً بأداة الكتابة، ولا بالأبجدية الحروفية، وإنما يأخذ هذا المعنى الحركي المتوالد الشامل غير المنفصل عن الارتقاء المعرفي.

بالقلم أقسم رب العالمين (ن. والقلم وما يسطرون) القلم:١، والله مقسم بما هو ذو فائدة وخير لمخلوقاته، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالفجر، وأقسم بالتين والزيتون، وأقسم بالضحى، وبالليل والنهار.

والخطاب القرآني الذي يبتدئ في هذه السورة بـ«اقرأ» ثم يستمر، نتلمس فيه دائماً حدين للمعرفة: الربوبية والعبودية، الخالق والمخلوق، والله والإنسان وما بينهما يقوم محور الخطاب واحد في جوهره وهو الإيمان، متعدد في موضوعاته، وهي موضوعات تتعلق كلها بالقراءة، والقراءة هنا لاتعني قراءة ما هو مكتوب في أوراق أو رقم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما أنا بقارئ»، ولما أعاد عليه الكرة «اقرأ» أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم ماذا يعني جبريل فسأل: «وماذا أقرأ» فكان جواب جبريل بياناً لمجالات وجوانب القراءة والتفكر، في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق).

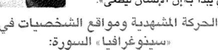
إن الأمي العاقل المتفكر لا يحتاج إلى تعلّم القراءة المعهودة ليقرأ هذا الكون، ويقرأ خلق الإنسان، ليدرك الإعجاز في الخلق فيصل إلى الخالق، ولكن لابد له من معلم يستعين به ويهديه إلى المعرفة اليقينية وهذاالمعلّم هو اسم الله، وهذا لا يعني البسملة بقدر ما يعني المنطلق الإيماني، أو المقدمة الكبرى الصحيحة والضرورية للوصول إلى النتائج السليمة، أما المقدمة الثانية والضرورية للارتقاء المعرفي فهي القلم، وتلك أيضاً إبداع بشري ومنحة إلهية، وما دامت المعرفة لا تنتهي، والبحث عنها مستمر، فالقراءة مستمرة، ولابد للقارئ المتفكر من أن يتمسك بأداة المعرفة الأولى في جميع مراحل المعرفة وهي اسم الله «باسم ربك» وحين ينفصل القارئ عن تفكره ويصبح مفكراً فإنه ينفصل عن أداة المعرفة الأولى، وحين ينفصل عنها يشعر بأنه صار غنياً عن الله بماله أو سلطانه أو علمه، وانفصاله عن هذا المنطلق الإيماني يجعله قابلاً لأن يكون طاغية، والطغيان خروج من العبودية إلى ادعاء الألوهية بشكل ما، فإذا صار طاغية فإنه يمكن أن يستعمل علمه ومعارفه وسلطانه، الغشمية الظلامية، في تدمير البشرية ومنع الناس من الاتجاه نحو الحق ونصرته (أرأيت الذي ينهى. عبداً إذا صلى) وهنا لابد من صدم ذاكرته برده إلى حقيقته العقلية (خلق الإنسان من علق) العلق:٩-١٠، والتي تنتهي بحتمية

نظام التسجيع والخروج منه فجأة إلى معادل إيقاعي يحقق التلوين والتناغم معا

الموت، ولابد من تذكيره بأنه مخلوق سيعود إلى خالقه ليحاسب عما اقترفه من ضلال وطغيان (إن إلى ربك الرجعى) العلق:٨.

يقول المفسرون إن المخاطب بـ«اقرأ» هو الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن لا ننفي هذا ولكننا نقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم، يمثل البشرية جمعاء في هذا الخطاب، فالدعوة إلى القراءة موجهة إلى جميع بني الإنسان، وبهذا نجد أن الصلة وثيقة بين القسم الأول من السورة الذي يبدأ بـ«اقرأ» وبين القسم الثاني الذي يبدأ بـ«إن الإنسان ليطغى».





تختلف دراسة تشكيلات المنظر في العرض القرآني عمَّا هي في المسرح، إنها في هذه السورة بصرية وسمعية ونفسية، والمتلقي كغيره من الشخصيات الموزعة فيها هو مفردة من مفردات هذه «السينوغرافيا»، بل إنه الأكثر أهمية لأنه هو المشارك والمخصوص بهذا العرض.

يبتدئ رسم المنظر من موقع القارئ - المتلقي «اقرأ» ويمتد من حركة الخلق الأولى «الذي خلق» إلى خلق الإنسان، وبدء النشاط البشري على الأرض، ثم تعلم الإنسان واكتشافه أسرار اللغي والكون بعون من الله وهو العقل، وهذا الإبداع الذي اختص به من دون الملائكة هو مرتكز معرفته للأسماء (وعلَّم آدم الأسماء كلها) البقرة: ٣١، فالإنسان في الإسلام لم يسرق نار الأسماء - المعرفة - كما فعل «بروميثوس» في «الميثولوجيا» الإغريقية، وإنما نالها تكرمة من خالقه (ولقد كرمنا بني آدم) الإسراء: ٧٠، لأن الضرورة في ارتقاء البشرية، ولأن الرحمانية الإلهية تقتضيان أن يتعلم الأسماء ويعي نار المعرفة فهو خليفة الله في أرضه.

وتمتد مساحة العرض فتتجاوز فضاء الوجود الأول - الحياة الدنيا - ومن غير انقطاع إلى فضاء الوجود الثاني - الآخرة، إذن نحن أمام تشكيلات بارزة قاسية معتمة كالحة مرسومة بالسكين، فثمة مشهد للقيامة والسفع بالناصية، وإذا بناصية هذا الطاغية شخصية مستقلة عن صاحبها تأخذ مكانها في «سينوغرافيا» العرض القرآني فهي ناصية كاذبة خاطئة، وثمة في هذا المشهد حركة النداء والزبانية، كل ذلك يتم في إيقاع سريع ليعود بعدها بصر القارئ - المتلقي إلى موقع «اقرأ» من جديد.

العمل «السينوغرافي» في سور قرآنية أخرى يغلب عليه الشمولية البصرية في وصف الجنة وما فيها من عيون جارية وقطوف دانية، أو النار وما فيها من سلاسل وأغلال ومهل وزقوم، أما التشكيل النفسي فترسمه البصريات. غير أن العمل «السينوغرافي» في هذه السورة تغلب عليه تشكيلات النفس الإنسانية في هداها وضلالها، في تقواها وتكذيبها، في غناها وطغيانها، وفي عبوديتها وطاعتها، أما التشكيل البصري فمستفاد من هذا التشكيل النفسي، كما أن نظام الفواصل والعلاقات اللغوية والتعبيرية تحقق تشكيلاً إيقاعياً به يكتمل العمل «السينوغرافي» الشمولي في السورة.

ينظم آيات السورة كلها التفكر بالخلق، ودراما الإيمان والهدى، والكفر والطغيان، والثواب والعقاب، وتبدأ بلوحتين: لوحة الخلق، ولوحة التعليم بالقلم، ثم يتصاعد العمل الدرامي في اللوحة الثالثة بظهور الإنسان الذي استغنى فطغى، وتبرز في هذه اللوحة شخصيتان متقابلتان تغنيان الصراع، شخصية تمثل المعرفة المتعالية، وأخرى تمثل الجهل المتطاغي.

في المشهد شخص طاغ، معذَّب، معرض عن الحق، ينهى عن الصلاة والتقوى والمعرفة (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) العلق:٩، إنه عمدة حارة الجهل، وإذا كان المخصوص حين النزول أبا جهل الذي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فإن المخصوص مع استمرار هذه الآية في عمران الحياة هو كل أبي جهل، وقد عرفنا في زماننا، وعرف من قبلنا، وسيعرف من بعدنا أن أباء الجهل موجودون دائماً بوسائلهم الإعلامية النفاثات في العقد وبأسلحتهم المدمرة للشعوب، وأدوات طغيانهم التجويع والسجن ووسائل التدمير التقليدية والشاملة.

وفي المشهد شخص مهتد يأمر بالتقوى سالك طريق المعرفة اليقينية، طريق «اقرأ». (أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى) العلق: ١١ - ١٢.

وعلى يمين اللوحة، في المشهد، شخص الملاحظ الذي يتبلغ الخطاب الإلهي ويبلغه وهو في مخصوص الصورة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عمومها واستمرار دلالتها المعاصرة، وفي صلاحيتها لجميع الأزمنة والأمكنة، كل عارف معرف مخصوص بكلمة «أرأيت» ومن رأى فقد عرف باليقين، ومن عرف عليه أن يبلغ المعرفة اليقينية، فكل منا داع إلى الحقيقة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واكتمال الدين، بحيث تكون المعاني الإنسانية التي دعا إليها حاضرة دائما في الإنسان العارف المعرف.

إذا كانت الشخصيات السابقة تمثل في اللوحة وجوداً بالعرض، فإن الوجود الرابع فيها والموجود في كل دقائقها هو جوهر الوجود وواجبه الذي لا يرى بالعيان وإنما بالعلم، إنه الله الذي يطلع على هذا الصراع بين الإيمان والكفر، بين الهدى والضلال، بين المعرفة والجهل.

(ألم يعلم بأن الله يرى) العلق:١٤.

فضاءات الصوت وشخصيات أخرى

ما يميز العرض القرآني في هذا النص هو الإيقاع

الأمي العاقل المتفكر لا يحتاج إلى تعلم القراءة المعهودة ليقرأ هذا الكون، ويقرأ خلق الإنسان، ليدرك الإعجاز في الخلق

المتسارع المتنوع. إذا كانت الشخصيات المتقابلة، المشاهد والصور المتقافزة المتتابعة، تنافر الأضداد الفكرية بين الحق والباطل وحلولها في صورها اللغوية، والحركة النفسية والحسية السريعة، إذا كانت هذه هي بعض المرتكزات في البناء الدرامي لهذا العرض فإن مرتكزاً مهماً آخر سنقف عنده أيضاً هو الإيقاع المتنامي المتسارع والمتنوع، وثمة أمور يتحقق بها ضبط هذا الإيقاع وتوالده منها:

- نظام التسجيع والخروج منه فجأة إلى معادل إيقاعي يحقق التلوين والتناغم معا.
- نظام الفواصل طولاً وقصراً، وما تحمل من أمداء تخييلية.
- نظام العبارة وبنية مفرداتها وعلاقاتها الصوتية والدلالية ونظام القطع والربط بين العبارات.
- نظام الالتفات في الضمائر بين المخاطب والمتكلم والغائب، وهو قائم على الاستتباع تارة وعلى المفاجأة في الانتقال تارة أخرى. هذا وحده يحتاج إلى بحث مطول، غير أننا سنقف عند نظام القرع في عبارات ثلاث هي: «اقرأ» «كلا» «أرأيت»، في إطار حركة المشاهد والشخصيات.

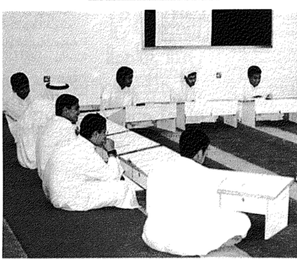
ثمة قرع متناوب متلون يوقظ الإنسان المتلقي - المشاهد إلى الحقائق الكلية، يبدأ القرع في جو من الصمت المطبق بكلمة «اقرأ» تتوالى فيها الحروف الحلقية فيبدو القرع وكأنه آت من أمداء بعيدة، ضخمه الصدى، ويتكرر القرع مرتين في كل مرة يفتح أمام المتلقي مدى من المعرفة جديد، إنه قرع فيه قوة ومهابة وإصرار على الإنسان كي يفتح الباب، باب القلب، ويتلقى المعرفة. ثم يليه قرع ثان «كلا» إنه قرع أكثر حدة وأقل ضخامة بتشكيل حروفه، قرع مختلف أبرز الالتفات الضميري اختلافه عن الأول، قرع يمتزج فيه الأسى من مسيرة الإنسان الخاطئة بالتذكرة المشبهة بالإنذار (إن إلى ربك الرجعى) العلق:٨. ثم يأتي القرع الثالث «أرأيت» متكرراً ثلاث مرات، وبالرغم من أن الكلمة واحدة في كل مرة إلا أن ثمة فرقاً يلحظه المتذوق في الإيقاع، والتركيب الحروفي في «أرأيت» يختلف عما هو في «اقرأ» و«كلا»، هنا خمسة حروف، وثلاثة متحركات متتابعة، فساكن فمتحرك، ثمة أناة بعض الشيء وتمهل وانفتاح للرؤية، تليه إيقاعات متناوبة: غاضبة في مشهد الذي ينهى عبدا إذا صلى، مطمئنة في مشهد الذي أمر بالتقوى، شديدة غاضبة، بتوالي كلمتين مشددتين، في مشهد الذي كذب وتولى، إنها ثلاثة مشاهد في لوحة الدعوة إلى الحق، الشخصيات واحدة، وثمة ثالث مراقب هو. الحق «الذي يرى» في سماء اللوحة يعلن انتصار الإنسان الداعي إلى الهدى والمعرفة. ويعود القرع بـ «كلا» مختلفا عن الأول، فإذا كان القرع بـ «كلا» في البدء ليتردد صداه في فضاء العالم الأول - الدنيا - فإن القرع الثاني بـ «كلا» يتردد صداه في فضاءين: فضاء العالم الأول - الدنيا - (لئن لم ينته) العلق:١٥، وفضاء العالم الآخر (لنسفعن بالناصية) العلق:١٥، وقد يبتدئ السفع من الحياة الدنيا ويستمر إلى الآخرة حيث يشهد الناس النهاية التي يستحقها الطاغية. ويمتد هذا المشهد تحت مناخات «كلا»، ثم تبرز شخصيات أخرى في فضاءات اللوحة الممتدة بين العالمين، حتى لنكاد نسمع ذلك المكذِّب في الدنيا وهو يدعو طاغوته الأكبر مستغيثاً به يوم الحساب، ورغم نداءاته المتكررة فإنه لا يجيبه ولا يغني عنه شيئاً، وثمة تقابل في النداء، فها هو رب المعرفة اليقينية، رب «اقرأ» يدعو الزبانية فيستجيبون ليسحبوا ذلك المكذِّب وناديه إلى النار. ثم تعود الحركة المشهدية إلى الفضاء الأول مع القرع الثالث بـ «كلا» متردداً صداه في أذن النبي صلى الله عليه وسلم وأذان من اتبعوا الهدى وكرسوا أنفسهم لإبلاغ المعرفة اليقينية في حركة فاعلة تتمثل في رفض الجهل والتجهيل، وفي السجود لله، وفي الاقتراب منه لاستمداد النور المعرفي، وتلك هي المفارقة بين الإنسان وعلاقته بالآلهة في الميثولوجيا الإغريقية وبين الإنسان في الفكر التوحيدي الايماني، إنها المفارقة بين السرقة، سرقة بروميثوس للنار وبين المناولة القريبة، (كلا لا تطعه واسجد واقترب) العلق:١٩ وإنها أيضاً المفارقة بين الصراع والرحمة.

ارتياد حقول المعرفة مفتوح ممهد للإنسان. وليس للمستعرف أن ينقطع به الرجاء ويقع في اليأس مادام العالم المتعالي صاحبه في هذه الرحلة وممده بالمعرفة

- إن السجود والاقتراب يتجاوزان هنا المفهوم الحركي والعبادي إلى المفهوم الإيماني، التفكري، إن رحلة البحث التي بدأت بـ «اقرأ» ستؤدي إلى اكتشاف الحقائق الكونية في «سنوغرافيا» الوجود المتصل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، وهذا الاكتشاف المعرفي سيؤدي إلى الايمان الذي لا تشوبه شائبة بموجد الوجود، إن لحظة الإدراك هذه هي السجود، ومن الطبيعي أن تنتهي الحركة العقلية التفكرية التي بدأت بـ «اقرأ» إلى حركة تالية هي حركة الابتعاد عن مصدر الضلال، عن ذلك الذي كذب وتولى، وحركة اقتراب من مصدر المعرفة اليقينية الذي بدأت القراءة باسمه (باسم ربك الذي خلق) العلق:١.

- إذا كان القرع الأول والثاني بـ «كلا» يأتي صاخباً عنيفاً فذلك أن المعرفة مرتبطة بحركة جهادية بين الإنسان الذي يأمر بالتقوى وبين الإنسان الذي ينهى العبد عن ممارسة حريته في الاعتقاد.

- إن نظام الفواصل، وتكرار الكلمات التي تؤدي وظيفة القرع يوحيان بفترة صمت سابقة، ثم يليها القرع، إنها فترة صمت للتفكر والتدبر والإنذار يتلوها صوت القرع الموسع وتلك هندسة الصمت والكلام في سورة ترسم للإنسان طريق النجاة بالمعرفة المتعالية ●





إضاءات قرآنية حول نظرية المعرفة

بقلم: محمد حسن بدرالدين



يبني كثير من الناس تصوّراتهم وقناعاتهم حول طبيعة الإنسان والحياة من خلال فرع ضئيل من فروع المعرفة، ونادراً ما يَعرضُون تلك التصوّرات على البحث والتمحيص، بل إنها تظلّ تؤكد ثبوتيتها مع مرّ الأيّام إلى أن تصبح جامدة وملتصقة بمكوّنات الإنسان النفسية والفكرية.

وتبدو هذه المسألة واضحة جداً في ميادين الأدب وعلم النّفس وعلم الاجتماع، إذ يقع التركيز دائماً على جملة من الأفكار والرؤى والتأويلات تفهم في ضوئها كثير من قضايا الإنسان والوجود، ويظلّ الأتباع يردّدونها دون تمحيص يُذكر، بل تدخل الوعي على أنّها مسلمات، ويمكن أن نمثل لهذه الثوابت ببعض الأمثلة المحدّدة: من قبيل تضخيم دور اللاوعي في حياة الإنسان واعتباره مجموعة من الانعكاسات وردود الأفعال التي تعمل بصفة أوتوماتيكية،أو تضخيم دور الاقتصاد واعتباره العامل الوحيد في تحريك الأبنية الاجتماعية والثقافية، أو تقديم تفسير ميكانيكي لحركة الكون يُصبح بمقتضاها آلة مبرمجة تديرها قوانين محددة،أو إرجاع السلوك الإنساني إلى عمل الجينات وربط المسؤولية والحرية بإفرازاتها.

ورغم أنّ العلوم الحديثة ثارت على هذه المفاهيم ثورة عنيفة وخاصة في مجالات الفيزياء واكتشافاتها المذهلة مروراً بانشتين وبلانك وهيزنبرغ ودي بروجلي وبريغوجين وغيرهم إلاّ أنّ العلوم الإنسانية ظلت متخلفة عن هذا التطور رغم محاولتها تقليد أساليب العلم واصطناع مناهجه.

والذي يهمنا في هذا المجال بيان حالة الاوتوماتيكية اللاواعية التّي ظلت العلوم الإنسانية غارقة فيها إلى اليوم على حدّ تعبير العالم سوليفان في كتابه: حدود العلم، وعدم قدرتها على تقديم رؤية واضحة عن الإنسان والحياة.

مأزق الإنسانيات

البيئة السليمة التي تتيح للعقل إمكان التفكير السديد يجب إن تخلو من العوائق التي تعطله أو تفقده توازنه

ويبدو أنّ الانتصارات العظيمة التي حققتها العلوم الطبيعية عرّضت سائر العلوم الأخرى إلى نوع من فقدان الثقة، والشعور بالعجز، فالفلسفة تخلت عن كثير من قضاياها ومحاورها إرضاء للعلم ثم ركزت على فلسفة العلم أو الأبستملوجيا لتعطي شرعية لوجودها، وعلم النفس طوّع مباحثه وأدخلها المختبرات والروائز في سبيل تأكيد علميته، والتاريخ لجأ إلى المناهج والاستقراء، وكذلك الاجتماع والفنون والآداب صارت كلها تعزف لحناً واحداً هو العلمية، وحتى الأدب فجر أكثر من قضيّة تتعلق بعلمية التناول بل وعلمية النصوص أيضا، أمّا النقد فبحكم تابعيته لم يجد بدّاً من الإغراق في العلمية واصطناع المناهج ليبرّر وجوده ويدافع عن مواقعه.

يشرح العالم الفرنسي (دي بروجلي) طبيعة هذا الصدع الذي أصاب العلوم الإنسانية مركزاً على الفلسفة فيقول: (نشأ في القرن التاسع عشر حاجز بين العلماء والفلاسفة، فالعلماء ينظرون نظرة شك إلى تأمّلات الفلاسفة التي كثيراً ما بدت لهم وقد أعوزتها الدقة في الصياغة، كما أنها تدور حول قضايا عديمة الجدوى ولا حلّ لها.أمّا الفلاسفة فلم يعودوا بدورهم مهتمين بالمعارف الخاصة لأنّ نتائجها كانت تبدو محدودة، ولقد كان هذا التباعد ضاراً بكلّ من الفلاسفة والعلماء) (عن كتابه: مستقبل العلم).

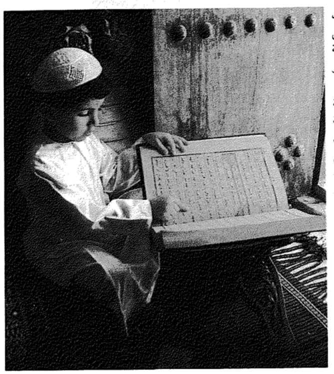
يشير هذا النصّ إلى طبيعة التلاحم التي ينبغي أن تسود مباحث الإنسان في جميع العلوم بوصفها جهوداً متفرقة تقود إلى حقيقة واحدة.

وقد كان العلماء المسلمون خير من عبر عن هذا التناغم والوحدة في تناول المعرفة إذ اعتبروا العلوم والفنون والآداب طرائق مختلفة في التعبير والمناهج، إلا انها تلتقي جميعها في خدمة البحث الموحد عن حقائق الكون.

وعلى سبيل المثال كان الرازي فيلسوفاً وطبيباً وعالماً وكان

ابن سينا حكيماً وشاعراً وعالما، ذلك لأن المعرفة في الإسلام وسيلة عظمى للبحث والتطلع في أسرار الطبيعة والكون بدون فواصل مزعومة أو قطيعة موهومة.

لم يحتج الأمر في الثقافة الإسلامية إلى التودّد للعلوم الطبيعية وصبغ المباحث كلّها بصبغتها إذ كانت النظرة قائمة على أساس تنوّع الخبرات والأدوات والأذواق ما دامت تؤدي إلى حقيقة واحدة (تسعى العلوم الفيزيائية اليوم لتحقيقها تحت اسم توحيد نظريات الكون).



إنّ أشهر مسألة يهتمّ بها الإنسان المعاصر تتصل بالنظرة إلى المعرفة ذاتها، فمعظم الناس يستقون معلوماتهم من وسائل إعلامية متفرقة ومنفصلة، ورغم أنّ هذا التنوّع الكبير في المصادر مكسب عظيم إلاّ أنه يقدّم معرفة مشوّهة ومبتورة عن الإنسان والحياة، تحكمها مظاهر الدعاية والتوجيه وتقوم على الإغراء والادّعاء، وكثيراً ما يفرح المرء بسعة المعلومات التي يحصل عليها ويتشبث بها إلى يوم مماته. والعديد من النظريات تقدّم اليوم وخاصّة في الآداب والفنون مرتدية كثيراً من أردية العلمية والمنهجية والموضوعية ولكنّها تتبدّى وهما وسرابا عند الخلخلة والتمحيص.

فكيف يطمئن الإنسان في خضمّ الآراء والنظريات العديدة إلى رأي سديد ورؤية شاملة لا تعكّرها الادعاءات والبهارج أو الألوان.

لقد طُرحت هذه القضية بجدية في تاريخ الفكر الفلسفي مروراً بأرسطو والغزالي والجويني وديكارت وهيوم وإقبال،ويمكن مراجعة مباحثها الشيقة في مظانها، ولكننا نطمح أن نجد إجابة من القرآن الكريم باعتباره أعظم كتاب قارع التقليد والتبعية مقارعة صارمة وأرشد أتباعه إلى اختيار أحسن القول والتدبر في حقيقة الإنسان والحياة بعيداً عن الأهواء والظنون.

كنت أنظر إلى القرآن على أنه كتاب ديني حُصرت مباحثه في دوائر العقيدة والتشريع ولكنني فوجئت بعد دراسة وتمحيص أنه لا يقدّم معرفة جاهزة ومعطاة كما يدّعي المعارضون (من دون علم) بل يقدّم نظرية في المعرفة شكية وتأملية وتأسيسية: إنه في البداية يعرض مبدأ التشكيك في المعرفة المكتسبة ويدعو صراحة إلى نبذها وتجاوزها، ويقرّر أنّ المعرفة الجاهزة والموروثة (والتّي يتمسك بها الناس عادة خضوعاً للشائع والمألوف) لا يُعتدّ بها، فهو يذمّ في مقام أوّل التقليد الأعمى للآباء والأسلاف فيقول في سورة الزّخرف الآية: ٢٢: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ).

وهو في مقام ثان يرفض المعرفة المبنية على مجرد الإقتداء ومجرد التسليم لما هو ماض وتراث دون تمحيص ومحاكمة عقلية في السورة نفسها الآية ٢٣ : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) وهو في مقام ثالث يناقش حجية التقليد ويبين تهافته بالحجة العقلية والعلمية، فما دام هؤلاء الأسلاف لا يعلمون شيئاً ولا يملكون علماً يُعتدّ به فكيف يصحّ الإقتداء بهم ؟ والقرآن الكريم يؤكد هنا سنة علمية ينبغي الوقوف عندها وهي ضرورة تحقق المرجعية العلمية عند القبول بالفكرة «أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» هذا هو الأفق الأوّل في نظرية المعرفة كما يطرحها القرآن وهو الأفق الشكي الذي يدعو إلى التخلص من سلطة التقليد وعدم الاعتداد بالمنجز الثابت من الأفكار والنظريات مهما كانت قريبة من محيط الإنسان وأليفة إليه بحكم التعوّد، ومهما كان استنادها ولو على أقرب الناس: الآباء والأمّهات والأسلاف، ومهما تبرقعت بألوان الزّينة والدعاية. فما هي عوائق هذا التواصل الذي يحجب المعرفة الأصيلة؟

مخاطبة القلب في القرآن لا تعني الحماسة وإنما تعني إثارة النفوس وتهذيب العاطفة وترقية الذوق

يصرّح القرآن الكريم في مواضع عدة من سوره بأنّ الغاية من نزوله لا تقتصر على مجرد التلاوة من أجل كسب الثواب بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أرقى هي التدبر والتذكر وإعمال الفكر، قال تعالى في سورة ص الآية ٢٩: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)، فإحدى مسؤوليات الكتاب المبين هي التعليم والتذكير، ولذلك يعتمد أساليب راقية في مخاطبة عقل الإنسان فيتحدث معه بالاستدلال والقياس والمنطق وسائر الطرق المناسبة لمخاطبة العقل.

أنوار من مستويات الخطاب القرآني

غير أن القرآن الكريم لا يقتصر على هذا اللون من الخطاب، ونظراً لطبيعة الإنسان الشاملة ولتفاوت الأفهام يعتمد على أسلوب مغاير يخاطب قلب الإنسان وينفذ إلى أحاسيسه وأعماق نفسه وهو يصدر في ذلك عن فهم عميق لطبيعة الإنسان ومراعاة أحواله جميعا، ذلك أنّ بعض النّاس تستهويهم لغة العقل والمنطق وتنفذ إلى فكرهم بيسر لأنهم بلغوا مرحلة راقية من العلم والنظر وإذا ما قدمت لهم المعرفة في غير هذا الأسلوب لا تجد لديهم قبولاً واقتناعا، وفي مقابل ذلك نجد صنفاً من الناس (ولعلهم الأكثرية) لا يتفاعلون إلا مع المعرفة الحسية التي تخاطب الوجدان وتحرك العواطف، ولكن القرآن الكريم لا يضع فاصلاً بين المخاطبة العقلية والقلبية، بل يمزج بينهما مزجاً قوياً في عرض قضاياه ومباحثه ويخاطب الإنسان في مجموعه

وكليته المادية والروحية، إذ لا يوجد في الحقيقة في داخل الإنسان انفصال بين لغة العقل ولغة القلب، فالكيان البشري شديد التعقيد والإحكام وكل القوى الفكرية والوجدانية متحدة ومتداخلة فيه، ولذلك تفشل النظريات والأفكار التي تقدّم للإنسان إذا تعمّدت مخاطبة جانب واحد فيه، ولا شك أن تفكيك هاتين اللغتين يؤدي إلى خطأ في المنهج وفشل في التلقي لأن ما نسميه القلب ليس إلا صورة من صور العقل أو الروح الكامنة في الإنسان فإذا ما حركنا الشعور وعرفنا لغة القلب وخاطبنا الإنسان بها لا يبقى الفكر معزولاً بل يتأثر هو وكل جوانب الوجود الإنساني، ولهذا السبب لا يقيم القرآن كبير مفارقة بين العقل والقلب بل يربط بينهما برباط وثيق ويجعل من القلب صورة للتعقل أو يجعله هو نفسه العقل في مثل قوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الحج: ٤٦، إذ لو كان القلب منفصلاً عن العقل لما نسب إليه القرآن قوة التعقل.

الغذاء العقلي والروحي

إن القرآن هو غذاء للعقل والروح معاً ولذلك فهو يطلب من أتباعه أن يتذوقوا موسيقاه الخاصة به وأن يُحسنوا تلاوته في الليل والنهار لأنه كفيل بأن يمنح نفوسهم نشاطاً وحيوية فيكتسبون قوة روحية يتمتعون من خلالها بأجواء الصفاء والسعادة والطمأنينة التي تحميهم من كثير من الأمراض النفسية كالقلق والحيرة والاضطراب.

ولقد استطاع بفضل هذه المزايا أن يُخرج من شبه الجزيرة العربية شعباً مستقيماً ومجاهداً استطاع أن يفرض ثقافته على معظم شعوب العالم عن طريق التعليم والهداية.

على أن مخاطبة القلب في القرآن لا تعني الحماسة وإنما تعني إثارة النفوس وتهذيب العاطفة وترقية الذوق، وهي جوانب متكاملة في شخصية الإنسان لا تختصّ بقوم أو جماعة ولذلك كان الخطاب القرآني عالمياً وهو وإن خاطب المؤمنين في معظم آياته فإنّ ذلك يتعلق بتطبيق الأحكام الدينية والالتزام بالقيم الأخلاقية وترشيدهم إلى سبل الفلاح فيها و إلاّ فإنّه في الحقيقة ذِكرٌ للعالمين لا يخصّ طبقة أو جماعة محددة، وهكذا فإنّ المخاطبين في القرآن هم النّاس جميعاً وبخاصة فيما يتعلق بالمسائل الجوهرية التي جاء من أجلها مثل الهداية الشاملة لجميع البشر وإقامة العدل والقضاء على الباطل والفساد، وهذه طائفة من الآيات تبيّن أن القرآن يخاطب جميع الناس لا كما يتصوّر الغربيون بأنّه دين العرب:

(يأيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الحجرات – ١٣ .

(وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط) الحديد:٢٥. (وأرسلناك للنّاس رسولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) النساء:٧٩. (يأيّها النّاس قد جاءكم الرّسول بالحقّ من ربّكم) النساء: ١٧٠.

خطاب شامل

إنّ القرآن كما يخاطب المؤمنين ينادي الكافرين ويدعوهم إلى الحق والى الاحتكام إلى البرهان والعلم ويخاطب الظالمين والمظلومين وكل ذلك تأكيد لرسالته الشاملة التي تروم الهداية للعالمين، وهو يتناول في مستويات خطابه جميع أصناف البشر وفي الوقت عينه يتّجه إلى مخاطبة جميع مستويات التعقل والإحساس والتذوق أو جميع وسائل المعرفة لديهم، وبكلمة أوضح فإن القرآن الكريم استعمل لسانين لإبلاغ رسالته إلى البشر هما: الاستدلال المنطقي والإحساس الفطري، ولكلّ من هذين اللّسانين مُخاطب خاص، فمخاطب الأول العقل ومخاطب الثاني القلب، وهذا يعني أنّ الخطاب القرآني يجعل العقل مرجعاً وسنداً وحجّة كما يقول علماء الأصول و يعتبره حكماً في جميع المجالات.

يقدم القرآن قاعدة رائدة في تحصيل المعرفة الصحيحة هي أساس التثبت والدقة واجتناب الظن للوصول إلى المعرفة العلمية الموضوعية

ومن المعلوم أنّ معظم علماء الإسلام اعتبروا العقل أحد المصادر الأصلية الأربعة في الفقه، وليس ذلك من قبيل الاجتهاد وحده بل هو استئناس بنصوص القرآن الكريم الذي عرض موضوع التعقل والتدبر في أكثر من ستين موضعاً مثل قوله تعالى: (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) آل عمران:١١٨، وقوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون) العنكبوت:٤٣، وقوله تعالى: (إنّ شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون) الأنفال:٢٢.

ولقد بلغ الأمر بالقرآن أن يصف الذين يعطّلون نعمة العقل بالبهائم، وهذا التأكيد على دور العقل يبطل حقّاً ادّعاء بعض المذاهب والأديان التي جعلت الايمان أجنبياً عن العقل ومفارقاً له في الطبيعة والمكانة وطالبت المؤمنين بتعطيل أفكارهم من أجل قبول الحقائق التي لا يقبلها العقل. وفي مقام آخر يطالب القرآن المسلمين بالتدبّر في مصائر الأمم وأخبارهم من أجل الاعتبار واستنباط القوانين التي تحكم المجتمعات وفي ذلك أيضاً تنشيط لدور العقل وإشادة بحسن استعماله كما في قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لهم قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ

تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) الحج:٤٦، وحتى في مجال العبادات يسعى القرآن لتبيان مقاصدها وحكمها من أجل أن يُقبل عليها الإنسان وهو عارف بأسرارها وآثارها وفلسفتها الأخلاقية والاجتماعية على عكس الرأي السائد الذي يقول بعدم البحث في أسرار التكليف وان العبادات لا تُعلل، فالقرآن قد علل الحكمة من الصلاة في قوله تعالى: (إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت – ٤٥، كما علل فلسفة الصّيام في قوله تعالى: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)البقرة:١٨٣، وهكذا مع سائر العبادات والتشريعات وأحكام الدّين، فهي مبرهنة ومطلوب من الإنسان أن يتدبّر في معانيها وحكمها لتتضح له أهدافها ومقاصدها فلا يتصور أنّها مجموعة من الرّموز تفوق فكر الإنسان، أو طقوساً تعلو على الزمان، وقد تفرّد بعض أفذاذ العلماء قديماً وحديثاً بتصنيفات رائعة حول حكم التشريع ومقاصده نذكر منهم الغزالي والعزّ بن عبد السلام والشاطبي ووليّ الله الدهلوي وعلال الفاسي والطاهر بن عاشور.

ثلاثة أسباب تنحرف بالعقل عن أداء الرسالة

والأهمّ من هذا كلّه أنّ القرآن تكفل أيضاً ببيان الأخطاء التّي يمكن أن ينحرف فيها العقل ويجانب الصّواب وبين له الطرق والمسالك التي يتجنبها للوصول إلى الحكم الصحيح، فإذا كانت الحواس معرّضة للخطأ فإنّ العقل أيضاً معرّض للزّلل في الاستدلال والقياس ولا يقدح ذلك في شرعيته وكفاءته أو مكانته باعتباره مناط التكليف وأساس الجزاء.

فما هي مواطن الخطأ التي يقع فيها العقل من وجهة نظر القرآن ؟

يحدّد القرآن الكريم ثلاثة أسباب على الأقلّ تنحرف بالعقل عن أداء رسالته المنشودة وتحجب عنه نور الحقّ.

السبب الأوّل: هو اتخاذ الظنّ سبيلاً بدل اليقين، لقد صرّح القرآن في مواضع كثيرة بأنّ أكبر عدوّ للعقل البشري هو اتباع الظن بل إنّ معظم أخطاء البشر تأتي من الظنّ، ولو أنّ الإنسان اتبع منهج اليقين والدقة وتجنّب اتباع الظنون والأوهام فلن يخطىء في أحكامه، ولننظر في هذه الطائفة من الآيات التي تتحدث عن الظن وما يتعلق به من أخطار تهدم المعرفة العقلية الصائبة: (وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون) الجاثية٢٤، فالظنّ هو أوّلا مُناف للعلم: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) يونس:٣٦.

والظنّ ثانياً وإن كان طريق الأغلب من النّاس إلاّ أنّه لا يقود إلى الحقّ: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) الحجرات:١٢، والظنّ ثالثاً مُناف للإيمان ولذلك ينبغي اجتنابه لأنّه يقود إلى الخطأ والانحراف والنفاق.

وفي موضع آخر يقدّم القرآن قاعدة رائدة في تحصيل المعرفة الصحيحة هي أساس التثبّت والدقّة واجتناب الظنّ للوصول إلى المعرفة العلمية الموضوعية، وذلك في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) الإسراء:٣٦.

معظم علماء الإسلام اعتبروا العقل أحد المصادر الأصلية الأربعة في الفقه. وليس ذلك من قبيل الاجتهاد وحده بل هو استئناس بنصوص القرآن الكريم

السبب الثاني: الخضوع للعرف والتقليد: يصرّح القرآن بأنّ الخطأ الثاني الذي يعوق العقل عن الوصول إلى الحقّ هو التقليد الخاضع لأحكام الإلف والعادة وخاصة في المسائل والقضايا الاجتماعية، فبحكم خضوع الإنسان لنظام المجتمع وتقاليده تترسّخ في ذهنه مجموعة من الآراء والاتجاهات يحكم بصوابها بحكم الواقع وليس استناداً إلى مبادىء العقل والمنطق، وقليل جداً من الناس من يخرج عن سلطان التقاليد الخاطئة، فمعظم الناس يسلّمون بالأمور التي يعتقدها المجتمع ويقبلونها ويتبنّونها لأنّ الأجيال السابقة رضيت بها وآمنت. وفي ذلك دليل على صدقها وخلودها، ولا يحتاج الأمر إلى أيّ لون من التفكير لأنّها من المسلمات المألوفة، وهذا ما اعتبره القرآن عائقاً كبيراً أمام أصالة العقل وحركيته ولذلك اعتبر التقليد خطأ منهجياً يصيب الأفراد والمجتمعات.

وفي مقابل ذلك دعا إلى قياس الأمور بمعيار العقل لا بمعيار ما فعله الأجداد والأقدمون بعامة، والنظر إلى الحقّ بصورة محايدة دون اعتبار لعوامل القدم والحداثة، فما حكم العقل ببطلانه فهو باطل ولو كان شريعة سائدة عند الناس قديماً أو حديثاً على حدّ سواء.

يقول القرآن في سورة البقرة محذراً من مغبّة التقليد: (إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) البقرة ١٧٠- ١٧١

السبب الثالث: اتباع الأهواء: من المرجّح أنّ العقل لا يمكن أن يقوم بوظيفته بصورة طبيعية إذا كان خاضعاً لهوى النفس والميول النفسية الجامحة التي تطوف به في متاهات الرغبات.

إنّ البيئة السليمة التي تتيح للعقل إمكان التفكير السديد يجب إن تخلو من العوائق التي تعطله أو تفقده توازنه، ولأجل توافر المناخ الملائم للعقل حرّم القرآن الكريم الخمر والمخدرات وكل ما يذهب بالعقل ويفقده وظيفته الأساسية وجعل مناط التكليف مرتبطاً بسلامة العقل وكفاءته ولذلك أسقط هذا التكليف عن المجنون والصبيّ بل وعن المجبر لأنهم لا يملكون الاختيار وحرية التفكير والقدرة على التمييز بين البدائل. وفي سورة النجم قرن القرآن بين اتباع الظنّ والميول النفسية باعتبارهما متلازمين يقود أحدهما إلى الآخر، قال تعالى: (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)، النج ٢٣.

ومن المرجّح أنّ هناك ارتباطاً آخر بين هوى النفس وبين أمراض القلب فهي تؤدي إلى انحطاط الهمم وفساد النفوس وإذا ما فسد القلب لا يستطيع العقل أن يعمل شيئا، ولذلك كله يدعو القرآن إلى الطهارة الشاملة بمعنى أن يعمل الإنسان على نظافة البيئة وتزكية النفس وتحرير العقل من كل العوائق حتى تتوافر أمام العقل والقلب كلّ مقومات الوجود السليم الذي يدفع إلى الحقّ والخير والجمال ●

تحقيــق

ترجمة المصطلحات الدينية تخضع لمعايير خاصة.. لأنها تتعلق بالعقيدة

هل الترجمة الإسلامية في محنة!؟

لا شك أن الترجمة بجميع أنواعها طريق مختصر بين الحضارات تؤدي إلى التواصل المستمر بين الأمم والثقافات على مر العصور.

والترجمة الدينية تعتبر من أصعب الترجمات فهي ليست كبقية المعارف الأخرى الأدبية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية التي لا ترتبط بعقيدة وأحكام أصول فقه بقدر ارتباطها بمعلومات تعارف عليها الإنسان واستقاها من علاقاته الممتدة عبر التاريخ لذلك فإن الترجمة الدينية تحتاج إلى مهارة ودقة فائقة وتعامل خاص وقدر واسع من الحرص والمسؤولية حتى لا تتعرض للتشويه والخلط المتعمد ولاسيما أننا نعيش في عالم تتصارع فيه الحضارات وينظر بعضهم للإسلام وبخاصة الغربيون منهم نظرة معارضة.

ولأهمية الموضوع عرضت «الوعي الإسلامي» موضوع الترجمة الإسلامية على عدد من العلماء العاملين في هذا المجال لنعرف منهم كيف ننتج ترجمة تعبِّر تعبيراً صحيحاً عن الإسلام عند أصحاب اللغات الأخرى... حتى نواجه هذه الحملة الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام ضد الإسلام وتصل إلى عامة الشعوب الغربية ليفهموا حقيقة الإسلام ومدى سماحته. ولكن نظرة واقعية إلى حال الترجمة الإسلامية نجدها بإجماع المتخصصين تمر بمحنة وتعاني معوقات كثيرة، ترى ما الأسباب؟!

تحقيق: فاروق الدسوقي

بدءاً يؤكد المفكر الإسلامي الدكتور محمد شامة مستشار وزير الأوقاف المصري وأستاذ اللغة الألمانية في كلية اللغات والترجمة «جامعة الأزهر»، أن مشكلة الترجمة الإسلامية تتضح عند نقل وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، فلا نستطيع ترجمة معانيه بدقة لأن هناك بعض التعبيرات التي لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى، حيث لا يفهم أهل اللغة المنقول إليها ما يفهم من النص العربي، ولذلك نستعيض عن الترجمة الحرفية لمعاني القرآن الكريم بأن نترجم معنى النص القرآني، وليس النص نفسه، إضافة إلى أن هناك بعض المصطلحات في الفكر الإسلامي وبخاصة في الفقه ونتغلب عليها بترجمتها إلى أقرب كلمة في اللغة المنقول إليها، ثم نشرح المعنى بحيث يستطيع القارئ فهم المعنى المقصود منه في اللغة العربية وحتى نصل إلى ما نرجوه فلابد من إعداد كوادر على مستوى عال في اللغتين وبخاصة في اللغة المنقول إليها وتقوم المؤسسات الإسلامية بإنشاء مراكز لإعداد هذه الكوادر، إضافة إلى تكوين هيئات تقوم بهذه الترجمة بإجماع يمكن أن ينتقل المعنى المقصود في اللغة العربية إلى اللغات الأخرى دون تحريف؟، فترجمة معاني القرآن تتطلب التعرف إلى أسرار النزول والقراءات والوقوف على الآيات بإجماع لا تنقل معلومات خاطئة عن الإسلام وأحكامه وتشوه صورته.

د.أحمد فؤاد عبدالمجيد:

التصدي لترجمة معاني القرآن الكريم يتطلب التعرف إلى أسرار التنزيل والقراءات

وسيط بين لغتين

ويقول المفكر الإسلامي الكبير الدكتور «محمد أبوليلة» رئيس قسم اللغة الإنكليزية في كلية اللغات والترجمة «جامعة الأزهر»: إن الترجمة من لغة إلى لغة هي لغة أخرى وهي بمثابة وسيط بين لغتين، وبقدر ما يكون الوسيط صحيحاً ودقيقاً تكون الترجمة دقيقة ومعبِّرة، إضافة إلى أن التواصل اللغوي بين الشعوب يتم من خلال تبادل المعارف والمفاهيم ونقل المعاني الدينية والاجتماعية والثقافية التي تقرِّب بين شعوب العالم، مشيراً إلى أن

الترجمة الإسلامية فقيرة على جميع المستويات وذلك لعدم توافر المترجم المؤهل تأهيلاً كافياً من الناحية اللغوية والأدبية والشرعية، فبعض المترجمين يظن بأنه قام بوصف كلمات أجنبية في خطوط مستقيمة وأنجز مهمته وأدى عمله على أكمل وجه متناسياً أنه ربما يصرف القارئ عن المعنى المكتوب كله ولأن اللغة ليست أجساماً ميتة ترص أو عنواناً من خطبة، وإنما هي حياة وأساليب يجب أن يتصف بها المترجم.

ثقافة ومعرفة

وأوضح «د.أبوليلة» أن الترجمة فن يرتبط بثقافة ومعرفة المترجم وكذلك مستواه الأدبي، إضافة إلى أن الترجمة الدينية من أصعب الترجمات لاعتبارات كثيرة تتضمن التعامل مع نصوص دينية تتصل بالعقائد والشرائع والعبادات والأخلاق والقيم التي يحتوي عليها الدين، وليس من السهل نقل هذه المعاني إلى لغات أخرى لأنها تتعلق بوعي الإنسان وممارساته اليومية واعتقاداته التي يصعب نقلها إلى لغة أخرى، إضافة إلى أن المترجم الديني عليه أن يكون ملماً بالمصطلحات والأدوات والتعبيرات أكثر من المترجم غير الديني، وذلك لأن العلوم الدينية تتصل بالمعرفة والفلسفة والمنطق وعلوم الاجتماع، ويجب أن تنتقل بين الحضارات بصورة صحيحة، مضيفاً أن ترجمة المعارف الإسلامية قام بها في البداية قساوسة الكنيسة ورجال الدين المسيحي واليهودي ولم يتناولها المسلمون إلا في مرحلة متأخرة على الرغم من انتشار الإسلام بين الجنسيات المختلفة، كما ترجم القرآن إلى اللغات الأوروبية وجاءت الترجمات الأولى أقرب إلى الطلاسم التي لم يشعر أهلها إلا بالهجوم على الإسلام وتشويه القيم الإسلامية، وكان الغرض منها كنسياً بحتاً، ولم يكن لغرض علمي أو معرفي.

ويشرح الدكتور «أحمد فؤاد عبدالمجيد» رئيس قسم اللغة الفرنسية في كلية اللغات والترجمة «جامعة الأزهر» صعوبات ترجمة المواد الدينية فيقول: إنها لا تعاني مشكلات كثيرة، ولكن المشكلة في الترجمة الإسلامية نفسها حيث هناك تساؤلات عدة مثل ما كفاية الاعتمادات المالية لترجمة ما تريد توصيله لغير المسلمين أو لمسلمي الخارج، وما الكتب والموضوعات المتفق على ترجمتها حتى لا تترجم أمور منافية للدين، ومن هم الذين يقومون بالترجمة؟

ويجيب الدكتور «عبدالمجيد» على أسئلته المطروحة! مؤكداً أن موارد الجهات المسؤولة عن نشر الدعوة بالخارج غير كافية، وبالتالي لا تستطيع ترجمة كل ما تسعى إلى ترجمته، وعن ما يتعلق بنوعية الكتب أوضح أنه يجب أن تكون هناك لجان متخصصة من الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالاشتراك مع كلية اللغات والترجمة لانتقاء



الموضوعات التي تهم المسلمين ترجمتها، وأن يكون القائمون على الترجمة ممن يجيدون اللغات الأجنبية إجادة تامة وعلى دراية كافية باللغة العربية بصفة عامة والنواحي الدينية الإسلامية بصفة خاصة، إضافة إلى أن الترجمة الدينية شديدة الصعوبة لأن الكلمة الواحدة تحمل معاني كثيرة، ولذلك فعلى القائم بالترجمة فهم ما تدل عليه الكلمات فهماً دقيقاً حتى تتماشى الترجمة مع معاني الآيات أو نصوص الأحاديث، كما أن التصدي لترجمة معاني القرآن الكريم يتطلب التعرف إلى أسرار التنزيل والقراءات والوقوف على الآيات حتى لا تنقل معلومات خاطئة عن الإسلام وأحكامه وتشويه صورته.

وأضاف أن مشكلة ترجمة المصطلحات هي إحدى معوقات نقل دلالات المصطلحات إلى اللغات الأوروبية عموماً بما فيها اللغة الفرنسية، وأن عدم وجود الكفاءة الكاملة الشاملة الدقيقة للمصطلح الإسلامي لاختلاف الثقافات بين الحضارات، وكذلك عدم وجود المعاني الدقيقة في اللغات المنقولة إليها، أدى ذلك إلى عدم الفهم الصحيح لطبيعة الإسلام، فالترجمة الخاطئة إما أن تكون مقصودة فتؤدي إلى التشويش أو ناتجة من عدم إجادة اللغة فتؤدي إلى التنفير، ولا شك أن هناك جهات يهمها نشر هذه الترجمات غير الصحيحة للمصطلحات الإسلامية لتشويه صورة الإسلام في العقل الأوروبي، ودعا إلى تكوين جيل واعٍ مزوَّد بالثقافة الإسلامية ومدرك لحجم المشكلة ومجيد للغة المترجمة، إضافة إلى أن هناك محاولات علمية ومقالات متعددة لدحض العرض الخاطئ والدعوة لمواجهة المشكلة.



ويعتقد الدكتور «حامد أبوأحمد» رئيس قسم اللغة الأسبانية في كلية اللغات والترجمة «جامعة الأزهر» أنه لم يعد هناك صعوبة في ترجمة المصطلحات الإسلامية لأن كل المصطلحات أصبحت مطروحة ومعروفة عن طريق ما قدم من فهارس للأحاديث النبوية وكتب كثيرة حول الإسلام مما سهَّل انتقال المصطلحات، وترجع الترجمات الخاطئة إلى ترجمة الكتاب وإعادة تصحيحه أكثر من مرة فنتج منه سوء فهم وما يسمَّى بصراع الحضارات، فالعالم الغربي يريد أن يطرح رؤيته الخاصة على العالم بأكمله وإن لم يستطع وجد لنفسه مبررات، مشيراً إلى أن الترجمة الخاطئة موجودة حتى في الأدب ومع ذلك لا تؤثر في التفاهم بين الحضارات، فالغرب يريد تقديم صورة سيئة عن الإسلام والأخطر من ذلك الكتب المدرسية المليئة بالأفكار المدسوسة ضد الإسلام في مختلف المراحل التعليمية المختلفة، ولم نجد من يحاول أن يطرح الأفكار الصحيحة للإسلام من علم وثقافة وتقدم وحرية، فالمسألة تتلخص في أن الغرب يقف ضد الإسلام.

عدم إثراء اللغات

ويضيف الدكتور عبدالفتاح البركاوي أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية «جامعة الأزهر» أن المصطلحات الإسلامية تعاني غموضاً عند التحول أو الصياغة إلى لغة أخرى لعدم ثراء هذه اللغات، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية وهذا الأمر يعد فوضوياً عندما تعبر اللغة الأخرى عن أمور متعلقة بالعقيدة الإسلامية، الأمر الذي يحمل معه كارثة فكرية وروحانية، كما يحمل معه ظلماً عالياً ضد الروح الإنسانية، وبخاصة إذا كان الاسم متضمناً لاسم الله أو الرسول لأن الهجاء غير السليم لا يكون غامضاً فحسب، بل يمكن أن يؤدي إلى سب الدين فاسم المسلم هو في الغالب مؤلف من أحد أسماء الله تعالى أو إحدى صفاته أو أحد أسماء الرسل، فهذه الأسماء تستحق الاحترام، فكل فرد يحق له أن ينادى باسمه ويجب أن يحظى كل اسم بالهجاء الصحيح، إشارة إلى أن هناك الكثير من الكلمات العربية غير قابلة للترجمة.

وقال: إن الترجمة الإسلامية تمر بمحنة لأن جميع الجهود المبذولة فيها جهود فردية وتحتاج إلى متخصصين في الحديث والتفسير بجوار المترجم نفسه، فما نلاحظه من أخطاء شائعة في بعض الترجمات يرجع إلى المترجم نفسه لعدم فهمه القرآن من الأصل، وأسباب النزول، وكذلك المعاني؟

فعدم فهم هذه الأمور من الممكن أن يغيِّر المعنى، فاختيار لفظ على سبيل المثال له أكثر من معنى عند أصحابه من الممكن أن يؤدي إلى سوء فهم معاني القرآن والسنة، بل وتشويه مفاهيم إسلامية نتيجة لخطأ في الترجمة ●



نُصِرتَ بالرُّعب

شعر: وليد عبدالباري الخطيب

صَبري وصَبرك يا هذا لقد نفدا ... والصَّبْرُ عِند ذوي السلطانِ قَدْ صَمَدا!

تُرى لضيقٍ بنا يا صاحِ في خُلُق ... أمْ أنَّ صَبْرَ أولاءِ النَّاسِ قَدْ جَمَدا؟

أم أنَّهم فقدوا الإحساسَ وا أسفي ... بئسَ الكراسي التي مَنْ أجْلِها فُقِدا

إنْ ماتَ قلبُ امرئٍ ماتتْ مروءته ... مهما استغاثَ بِهِ الملهوفُ ما نجدا

أمانةُ الحُكم ثِقْلٌ ليسَ يحملُهُ ... مَنْ ليس أهْلاً لَهَا إلاّ بها قَعَدا

فما أَقاموا لنا ديناً ولا سَلِمتْ ... دُنْيَا ولا عِزَّةً أبْقَوْا لنَا أبَدا

في عَهدهمْ مزَّقَ الأعداءُ وحدتنا ... وَمَا جناهُ الأُولى في الفتحِ ضاعَ سُدَىً

أيصبُرُ الحُرُّ أن تُؤتى مَحَارمُه ... ويَغْصِبَ القِنُّ مَالَ الشَّهمِ والبلدا

ويهدمَ الدورَ فوقَ الساكنين بها ... ويَقْصفُ الشيخَ بالصاروخِ والوَلدَا

في كلِّ يومٍ لنا قتلى نُشيّعُهُمْ ... وَفي بُكَاءِ الثَّكَالى' نَدْفُنُ الشُّهُدا

إنْ قامَ شِبلٌ يَرُدُّ العُنْفَ في حَجَرٍ ... وَيَدْفَعُ الظُّلْمَ قَدْرَ الوسْعِ مُنْفَرِدا

وَرَاحَ منهم قتيلٌ ضَجَّ ساستُنا ... قَبْلَ اليهودِ وَعَزَّى فارسٌ قِرَدَا!

وذاكَ صاحبُ فِكرٍ نيِّرٍ طلعتْ ... بَناتُ أفكارِهِ إذْ قالَ مُنْتَقِداً

لَسنا نُؤيِّدُ إرهاباً وزعزعةً ... إسلامُنَا السِّلْمُ فَلْنَكْفُفْ أذى ويدا

وصَارَ كُلُّ جَهُولٍ يَمْتَطي قَلَماً ... يَحكي عن الدِّينِ والأخلاقِ مَا فَقَدا

يُفْتي وَيَنقُضُ فَتوى مِنْ هُنا ظَهرتْ ... أوْ مِنْ هُنَاكَ وَصَكَّ الحُكم واعتَمَدا

وَهُوَ الذي مَا لَهُ في الدِّيْنِ مِن صلةٍ ... ولَمْ يكن لإلهِ العَرْشِ قَدْ سَجَدَا

مَنْ للرعايا إذا مَا نَامَ حَارِسُهَا ... أوْ ضَلَّ راعٍ ضلالاً أذهبَ الرَّشَدا؟

مَنْ يَزرعِ الشوكَ لَمْ يحصدْ به ثَمَراً ... لَنْ يقطفَ الوردَ ذِكْرَ الوردِ مَا وَرَدَا

وحاطبُ الليلِ إنْ شيءٌ ألمَّ بِهِ ... فَلا يلُمْ أحداً إنْ عقرباً حَصَدا

مَنْ يُرهب النَّاسَ بالأجنادِ يَحشُرُهَا ... عَلَى' الحُدودِ فَويلٌ للذي حشدا

مَنْ يَبْعثُ الرُّعْبَ فينا نحنُ نُرسلهُ ... إليهِ أسْرَعَ مِنْ بَرقٍ إذا اتَّقَدا

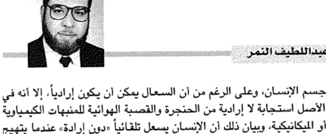
«نُصِرْتُ بالرُّعْبِ» نصٌّ صادقٌ نطقَتْ ... بِهِ النُّبُوَّةُ فاعملْ مَا بدَا وبَدَا



طب

من الأمراض الشائعة

السعال «الكحة»



بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر

السعال «الكحة» من أكثر الأمراض شيوعاً في حقل الممارسة الطبية، إذ يقدَّر أن شخصاً واحداً على الأقل من بين كل عشرة أشخاص يشكو من السعال، في أي وقت من الأوقات، وترتفع هذه النسبة بين الأطفال لتصل إلى ما بين ثلاثة إلى أربعة (٣ ـ ٤) بين كل عشرة أطفال، أما السعال المزمن، فتتراوح نسبته بين غير المدخنين بين اثنين إلى ثلاثة وعشرين في المائة (٢ ـ ٢٣٪).

تتفاوت استجابة الناس للسعال من الإهمال المطلق إلى الانزعاج التام، فبعض الناس لا يراجع الطبيب إلا عندما يوشك السعال أن يودي بحياته، بينما يسرع البعض الآخر إلى الطبيب عند أدنى علامة أولية للسعال، لذا فقد يكون النظر إلى الجوانب المختلفة لهذا العرض الشائع مفيداً في اجتناب الإهمال وتحجيم الاهتمام.

ماهية السعال

السعال «الكحة» **COUGH**، واحد من ردود الفعل الوقائية التي يتميز بها جسم الإنسان، وعلى الرغم من أن السعال يمكن أن يكون إرادياً، إلا أنه في الأصل استجابة لا إرادية من الحنجرة والقصبة الهوائية للمنبهات الكيمياوية أو الميكانيكية، وبيان ذلك أن الإنسان يسعل تلقائياً «دون إرادة» عندما يتهيج حلقه بمادة كيمياوية مثل الدخان أو التوابل الحارة، أو بمؤثر ميكانيكي مثل جسم غريب في الحلق «شوكة سمك مثلاً»، والهدف من السعال هو إزالة المادة المهيجة ومحاولة طردها إلى الفم، حيث يمكن إخراجها، والحيلولة دون دخولها إلى ممرات التنفس «فروع القصبة الهوائية أو ما يسمَّى الشعبيات الهوائية».

يحدث السعال على ثلاث مراحل: تتكون المرحلة الأولى من شهيق عميق، بينما تتكون المرحلة الثانية من زفير قوي حين تكون اللهاة قد أغلقت باب التنفس، وفي المرحلة الثالثة ترتخي اللهاة فجأة فيندفع هواء الزفير بسرعة قد تصل إلى ستمئة ميل في الساعة (٦٠٠ ميل/س)، وهذا الاندفاع القوي لهواء الزفير بهذه السرعة الهائلة هو السبب في إصدار الصوت المميز للسعال.

ولكي لا يكون التعبير غامضاً، فإننا نوضح أن «الحنجرة» **LARYNX** جزء من التركيب التشريحي للفم من الداخل، أي جزء من تجويف الفم عند نهايته الداخلية، وتؤدي الحنجرة إلى القصبة الهوائية، ولذلك تسمَّى الحنجرة أحياناً باب التنفس أو باب المزمار، على اعتبار أن القصبة الهوائية تشبه المزمار، أو لأن هواء الزفير الذي يحرِّك أحبال الصوت - وهي موجودة في مدخل الحنجرة - يجعل الحنجرة تعمل عمل المزمار، أما «اللهاة» **GLOTTIS**، فهي زائدة لحمية تتدلى من سقف الحلق، وهي تركيب تشريحي عظيم الفائدة في تجويف الفم الداخلي. فعندما يتنفس الإنسان تغلق اللهاة



• نزيف تحت طبقة الملتحمة في العينين بسبب السعال الشديد •

بنية الجسم والعادات الشخصية من العوامل التي تمهد لزيادة نسبة الإصابة بالسعال

البلعوم، الذي هو مدخل الطعام من الفم إلى المعدة، فلا يمر الهواء إلى المعدة، وإنما يمر إلى الحنجرة ومنها إلى القصبة الهوائية، وعندما يبلع الإنسان لعابه أو طعامه تقوم اللهاة بإغلاق الحنجرة، فلا يمر الشراب ولا الطعام إلى مجرى التنفس، وإنما يمر في مجراه إلى المعدة، واللهاة من الأعضاء اللاإرادية في الجسم، أي التي تؤدي عملها دون إرادة أو تحكم من الإنسان، وهذه آية من آيات إبداع الخلق وإحكام الصنعة، فتبارك الله أحسن الخالقين. (تسمَّى اللهاة أحياناً لسان المزمار).

أما الجزء من الجهاز العصبي الذي يتحكم في السعال فهو «مركز السعال» الذي يقع في مكان في المخ يسمَّى «النخاع المستطيل»، ويوجد «مركز القيء» إلى جوار مركز السعال في النخاع المستطيل، ولهذا فإن استثارة مركز السعال قد تؤدي كذلك إلى إثارة مركز القيء، والعكس صحيح، وهذا تفسير حدوث سعال عند القيء، أو حدوث قيء نتيجة سعال شديد.

أسباب السعال

قبل التطرق إلى الأسباب المرضية للسعال، نشير إلى أن بعض الظروف الاجتماعية تمهد للإصابة بالسعال وتزيد من معدل حدوثه، من ذلك المعيشة في الأماكن الرطبة والأماكن سيئة التهوية، والازدحام في الأماكن المغلقة، واستنشاق الغازات والأبخرة الضارة، مثل عادم السيارات، وأبخرة المصانع، والغاز المستخدم في مواقد الطهي، ويلعب سوء أحوال الأسرة وتوتر العلاقات فيها دوراً مهماً في نشأة السعال النفسي.

خلافاً للظروف الاجتماعية، فإن بُنية الجسم والعادات الشخصية من العوامل التي تمهد لزيادة نسبة الإصابة بالسعال، فأصحاب البدانة والأطفال والمواليد ناقصي الوزن أكثر عرضة للإصابة بالسعال، كما أن التدخين وإهمال نظافة الفم من الأسباب الرئيسية للسعال المزمن.

أهم الأسباب المرضية للسعال ما يلي:

● **التهاب القصبة الهوائية: TRACHEITIS:**

يكون السعال في هذه الحالة جافاً ومؤلماً، وموضع الألم في مقدم العنق وخلف عظمة الصدر الوسطى.

● **«السعال الجاف» DRY COUGH:**

هو غير المصحوب بالإفرازات المسمَّاة «بلغم» PHLEGM أو SPUTUM.

● **شلل عصب الحنجرة LARYNGEAL NERVE PALSY**

يفقد السعال في هذه الحال الصوت المدوي المميز له ليصبح صوتاً خفيضاً ممتداً مثل صوت الحيوانات، لذلك يوصف السعال في هذه الحالة بأنه مثل خوار البقر.

● **التهاب الحنجرة: LARYNGITIS**

السعال هنا حاد شبيه بصوت أسد البحر، ويكون مصحوباً أحياناً بشهقة، والسعال في هذه الحال جاف كما هو في شلل عصب الحنجرة.

● **التهاب الشعب الهوائية الحاد ACUTE BRONCHITIS**

هذا السعال شبيه بالسعال الناشئ عن التهاب القصبة الهوائية، إلا أنه قد يكون مصحوباً بصفير أو أزيز (WHEEZE) أثناء التنفس، وكما في التهاب القصبة الهوائية، فإن السعال يكون جافاً، إلا أنه يمكن أن يتحول إلى سعال مصحوب ببلغم إذا لم تخفت حدة الالتهاب بسرعة، إما تلقائياً بتفادي السبب وإما بالعلاج.

● **التهاب الرئة PNEUMONIA**

يكون السعال في البداية جافاً، ثم يصبح مصحوباً ببلغم، ويكون التهاب الغشاء المحيط بالرئة سبباً في الشعور بألم في الصدر عند السعال، وفي الحالات الحادة من التهاب الرئة، تكون الإفرازات مصحوبة بدم.

«يجب التنبيه إلى أن التهاب الرئة من الحالات الخطيرة التي يمكن أن تفضي إلى الموت السريع (في غضون أيام) ما لم يكن هناك تدخل طبي عاجل».

● **توسع الشعب الهوائية: BRONCHIECTASIS**

● **خراج الرئة: LUNG ABSCESS**

في هاتين الحالين تكون رائحة النفَس كريهة، ويكون السعال مصحوباً بإفرازات مفرطة «بلغم كثير» يتراوح لونها ما بين القيح «الصديد» إلى لون التراب. وغالباً ما يفضل المريض أن ينام على الجانب المريض.

● **سرطان الرئة: LUNG CANCER**

● **سرطان القصبة الهوائية: BRONCHIAL CARCINOMA**

المريض في هاتين الحالين مدخن مزمن في أكثر من تسعين في المئة (٩٠٪) من الإصابات، ويكون السعال مستمراً مصحوباً بدم، وخروج الدم من السعال من العلامات المبكرة على نوعي السرطان المذكورين عند المدخنين المدمنين.

● **استنشاق جسم غريب: INHALED FOREIGN BODY**

هذه الحالة من أكثر أسباب وفيات الأطفال شيوعاً، خصوصاً الأطفال دون السادسة من العمر، لذلك يجب أن تكون هذه الحالة واردة دائماً في ذهن الوالدين وفي ذهن الطبيب المعالج حيثما أصيب طفل دون السادسة من العمر بسعال حاد مفاجئ ومستمر، ويكون وجه الطفل محتقناً وتدمع عيناه، ولا توجد إفرازات مع السعال، ويتعين نقل الطفل على الفور إلى أقرب مستشفى، ويدل وقوع هذه الحادثة في بيت ما على إغفال الاهتمام بالأطفال في هذا البيت، إذْ يجب ألا تغفل عين ساهرة عن مراقبة الأطفال طوال الوقت.

● **إخفاق القلب: HEART FAILURE**

قد يكون السعال أسوأ ما يكون في الليل عندما يستلقي المريض في فراشه.

● **تراجع السوائل في المريء: OESOPHAGEAL REFLUX**

هذه الحالة شائعة جداً، خصوصاً عند ذوي البدانة، وعند الذين يعتادون النوم بعد تناول الطعام مباشرة، إذ تتراجع أحماض المعدة في المريء مؤدية إلى شعور حاد بالحرقان خلف عظمة الصدر الوسطى، مع غثيان وسعال جاف.

● **السعال النفسي: PSYCHOGENIC COUGH**

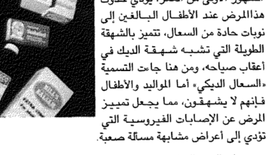
تشيع هذه الحال بين السادسة إلى الرابعة عشرة (٦ ـ ١٤) من العمر، ومما يميز السعال هنا أن له طبيعة مدوية، ويختفي تماماً أثناء النوم، وينشأ السعال النفسي نتيجة عدم توافق الطفل مع والديه، أو نتيجة الإجهاد أو نتيجة الخوف من المدرسة، وتستجيب هذه الحالات بسرعة للشرح الطبي

وطمأنة الطفل وتوجيه الوالدين.



● كثرة أدوية السعال يدل على شيوع المرض ●

● السعال الديكي WHOOPING COUGH



السعال الديكي من الأمراض النادرة الآن بسبب تحصين الأطفال ضده منذ الشهور الأولى من العمر، يؤدي حدوث هذاالمرض عند الأطفال البالغين إلى نوبات حادة من السعال، تتميز بالشهقة الطويلة التي تشبه شهقة الديك في أعقاب صياحه، ومن هنا جاءت التسمية «السعال الديكي» أما المواليد والأطفال فإنهم لا يشهقون، مما يجعل تمييز المرض عن الإصابات الفيروسية التي تؤدي إلى أعراض مشابهة مسألة صعبة.

يحتاج السعال الديكي إلى علاج مبكر، فإذا تأخر العلاج تطول فترة النقاهة، وإذا لم يكن هناك علاج بالمرة، فيمكن أن تؤدي إصابة خطيرة إلى موت الطفل.

السعال المزمن

يثير السعال المزمن عند الأطفال بوجه خاص فزع الوالدين، فبسبب ضعف البنية أو سوء التغذية أو سوء الأحوال المعيشية، يتعرض الأطفال للإصابة المتكررة بأمراض الجهاز التنفسي العلوي، مثل الرشح «الزكام» ونزلات البرد، وتؤدي هذه الأمراض إلى سعال الطفل بمجرد شفائه من إصابة سابقة، بحيث يبدو الطفل وكأنه مصاب بسعال مزمن. (الجهاز التنفسي العلوي يتكون من الأنف والجيوب الأنفية والحنجرة).

وجدير بالذكر أنه يوجد أكثر من مئة نوع من الفيروسات التي يمكن أن تسبب أمراض الجهاز التنفسي العلوي، وبعض الإصابات الفيروسية الحادة يمكن أن تمتد إلى الرئتين مسببة التهاباً حاداً فيهما.

السعال المزمن **CHRONIC COUGH** عند البالغين تكاد تنحصر أسبابه في التدخين الذي يؤدي إلى التهاب مزمن في الشعب الهوائية، والتدخين السلبي «أي استنشاق الدخان المتصاعد من سيجارة شخص مدخن بواسطة إنسان غير مدخن» يمكن أن يكون سبباً في الإصابة بالسعال المزمن، خصوصاً بين الأطفال.

أهم أسباب السعال المزمن ما يلي:

- الربو الشُّعَبي «أو ما يشيع باسم الأزمة» **ASTHMA**.
- استنشاق جسم غريب.
- التهاب الأنف الناشئ عن الحساسية **ALLERGIC RHINITIS**.
- التهاب الجيوب الأنفية **SINUSITIS** يظن كثير من الناس أن الجيوب الأنفية تجاويف في الأنف أو تجاويف تتصل بالأنف وتشبه الجيوب المألوفة في الثياب، والحقيقة أن الجيوب الأنفية تجاوف صغيرة في عظام الجمجمة، تتصل بتجويف الأنف عبر قنوات دقيقة، وتكون هذه التجاويف مملوءة بالهواء مما يجعل وزن الجمجمة خفيفاً.

ويتجدد الهواء في تلك التجاويف باستمرار عن طريق اتصال تلك التجاويف بالأنف، ولا علاقة لتلك التجاويف بجيوب الثياب إلا من وجه واحد هو أن كليهما يمكن أن يمتلئ بشيء ما.

- عدوى الحلق «الزور» المتكررة، بما في ذلك «التهاب اللوزتين» **TONSILLITIS**.

● التهاب الشعب الهوائية المزمن CHRONIC BRONCHITIS

- التدخين.
- السعال النفسي.
- التليف التكيسي **CYSTIC FIBROSIS**

هذا مرض يورث كصفة متنحية «بمعنى أنه لا يصيب الذرية كلها» ويتميز باضطراب وظائف الغدد الخارجية كلها، مثل غدة البنكرياس وغدد العرق وغدد إفراز المخاط. «الغدد الخارجية» **EXOCRINE GLANDS**، غدد لها قنوات، وهي لذلك غير «الغدد الصماء» **ENDOCRINE GLANDS**، التي لا قناة لها.

في هذا المرض، يؤدي تجمع الإفرازات اللزجة غليظة القوام في قنوات الغدد الخارجية إلى انسداد تلك القنوات وبالتالي انتفاخ الغدد بالإفرازات على هيئة أكياس سرعان ما تتليف، وهذا سبب التسمية «التليف التكيسي».

يؤدي تكوّن أكياس من الإفرازات المخاطية في الشعب الهوائية إلى توسع تلك الشُعب، كما أن اضطراب وظيفة إفراز المخاط وصرفه في الجهاز التنفسي يؤدي إلى الإصابة المتكررة بعدوى الجهاز التنفسي، وبالتالي إلى حدوث السعال.

كيف التصرف؟

أكثر أسباب السعال شيوعاً بين الأطفال هي الإصابة الفيروسية، خصوصاً للجهاز التنفسي العلوي، وتنتشر الإصابات الفيروسية حيثما قل مستوى النظافة وانخفضت درجة مقاومة الجسم للمرض، ويرجع انخفاض المقاومة عموماً إلى ضعف البنية الناشئ عن سوء أو نقص التغذية، وإلى سوء الظروف المعيشية مثل الحياة في مكان سيء التهوية، لذلك فإن صرف الجهود إلى القضاء على أسباب المرض أولى وأهم وأفضل من إنفاق المال والجهد في البحث عن علاج وتعاطيه، سيما وأن الإصابات الفيروسية لا يتيسر علاجها بالعقاقير إلى اليوم.

القاعدة الآمنة التي يمكن اتباعها مع سعال الأطفال هي التبكير بالمراجعة الطبية، فأجسام الأطفال غضة، ويمكن أن يستفحل المرض عندهم بأسرع مما يتصور أي إنسان.

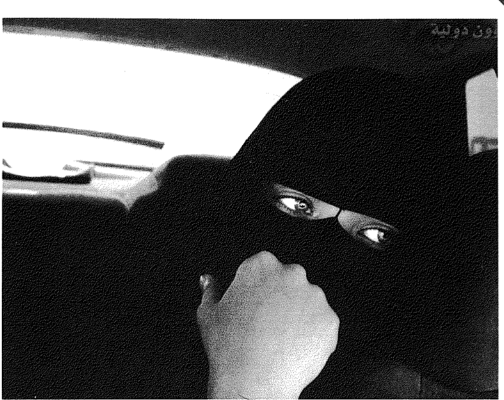
بالنسبة للبالغين، فإن اتباع تدابير المحافظة على الصحة هو كذلك أولى وأفضل، ويتمثل ذلك في الاهتمام بالنظافة الشخصية بما في ذلك نظافة الفم، وتجنب العادات الضارة مثل التدخين، والحرص على تهوية أماكن المعيشة حتى في الشتاء البارد، وعن الإصابة بالسعال، فيمكن للإنسان البالغ تقويم الموقف بنفسه، فإذا كانت الإصابة حادة خطيرة من أولها، تكون المراجعة الطبية المبكرة أفضل، بل واجبة، أما إذا كانت الإصابة طفيفة محتملة، فيمكن الامتناع عن السبب حيثما كان معروفاً مثل الإقلاع عن التدخين، أو الراحة في الفراش إذا كان المرض ناشئاً عن إجهاد، أو الانتظار ليوم أو يومين قبل مراجعة الطبيب، وحيثما كان هناك شك في سبب السعال، تكون المراجعة الطبية المبكرة أفضل ●



البيت المسلم
إقرأ لهؤلاء
منى السعيد الشريف
فتحية صديق شندي
عبدالرحمن العمراني
سميرة بنصديق
آمال عبدالرحمن شعبان
عبدالرحمن قره حمود
إيمان القدوسي
محمد علي وهبة
محمود النجيري
ميسون صافي
٧٨
حين يسأل ابنك
من أين يأتي الأطفال؟
٦٨ الدرة التي افتقدناها
٧٠ فيم تطيع المرأة زوجها؟
٧٣ نعم... ناقصات عقل ودين
٧٤ الإسلام ودعائم التنشئة السليمة للطفل
٧٨ أختي العزيزة الغالية المرأة

الدرة التي افتقدناها

بقلم: منى السعيد الشريف



لقد كانت المرأة العربية ومازالت رمز العفة والحياء والستر هكذا عرفها التاريخ بعهوده المختلفة.. حتى أنك لا تجد للفظ (العرض) مرادفاً في اللغات الأجنبية ومع ذلك فأحيانا عندما أسير في شوارع المدينة أجد نفسي دون شعور أقلب نظري في وجوه بعض الفتيات والنساء ويرتطم بعقلي سؤال لا يلبث أن يرتد إلى قلبي جريحاً دامياً وأنا أرى وجوها جامدة خالية من الحياة وإن تحركت على أفواهها الكلمات وتبسمت وضحكت، وينتابني شعور غريب بأن ملامحهن متقاربة إلى الحد الذي أتصور فيه أنه وجه واحد اختلفت أصباغه ومساحيقه.

ويعود السؤال يلح علي.. أهذه هي المرأة؟ أهذه هي الفتاة العذراء والزوجة والأم؟

ما الذي حدث لفتياتنا ونسائنا إنني لا استطيع ان أميز المسلمة عن غيرها إلا إذا حملت ما يشير إلى ديانتها، لماذا فقدت هذه الوجوه الحياة والخصوصية والتميز؟.

وتأتيني الإجابة: لأنها فقدت الحياء..

إن الواحدة منهن تسير كاسية عارية تعرض مفاتنها مستجدية نظرات الإعجاب وكلمات الغزل من شباب جائع دون وازع من ضمير أو حياء..

نعم إنه الحياء تلك الصفة التي إذا فقدناها فقدنا كل شيء ولم لا وقد اشتق اسمه من الحياة والغيث يسمى حيا لأن به حياة الأرض والنبات.

فالحياء إذن هو الحياة لكل قلب ومن فقده فهو ميت يسعى على قدمين شقي في الدنيا وشقي في الآخرة والحياء خلق الإسلام كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء» ويقول عليه الصلاة والسلام «إن الله تعالى حيّي ستير يحب الحياء والستر».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه، عرفناه في وجهه» رواه البخاري.

فهذا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلق زوجاته وبناته فقد أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة، رضي الله عنها، ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال: «إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك».

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: (كنت أدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي، رضي الله عنه، واضعة ثوبي وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر رضي الله عنه، والله ما دخلته إلا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر).

هكذا وصل الحياء بعائشةالطاهرة أن تستحي وتستتر من عمر رضي الله عنه رغم أنه قد فارق الحياة.

بل إن الحياء من الصفات التي حرص عليها العرب قبل ظهور الإسلام وتغنوا بها يقول الشنفرى وهو يصف إمرأة شديدة الحياء.

كأن لها في الأرض نسيا تقصه

على أمها وإن تحدثك تبلت

فهو يصف تلك المرأة بأنها دائمة النظر إلى الأرض كأنها تبحث عن شيء فقدته، وإذا تحدثت إلى أحد تقطع حديثها خجلاً، فالحياء إذن صفه فطرية في المرأة بصفة خاصة فلا يمكن أن تفقدها بالكلية فهي تاجها المتلألىء وجمالها الذي لا يبليه الزمان، ولكن ما يحدث هو أن يعلو ذاك التاج غبار أو

صدأ ما يلبث ببعض الجهد أن يزول.. ولكن نعود ونتساءل عن سبب هذا التغيير في سلوك وخلق بعض النساء وتخليهم ولو بعض الشيء عن التمسك بتلك الصفة الرائعة وتأتينا الإجابة من الواقع الذي نحياه، فخروج المرأة للعمل واقتحامها الحياة العملية أوجب عليها الاختلاط بالرجال وهذا بالطبع يؤدي إلى أن تكون أكثر جرأة، وبالتدريج يتقلص عنصر الخجل وشدة الحياء بعد أن جالست الرجال وتباسطت معهم في الحديث واقتحمت أعمالهم وتناقشت وجادلت وعلا صوتها بالشجار أو الضحك وو.. كل ذلك جعلها أكثر جرأة وأكثر خشونة ومادية.

وتغيرت مع هذه الظروف الجديدة المفاهيم وساهمت في هذا التغيير الأفكار الواردة إلينا من الخارج ووسائل الإعلام فلا شك أن الإنسان إذا تكرر عليه مشهد أو سلوك ما اعتاده وسهل عليه بعد ذلك تقليده والاقتداء به والإلحاح الإعلامي بعرض الفتيات في بعض البرامج والإعلانات بالصورة التي لا تخفى على أحد واللهث الدائم وراء أحدث خطوط الموضة وعرضها سهّل على بعض الفتيات التنازل عن حشمتهن والخروج بكامل زينتهن بعد أن كانت الفتاة لا تعرف في الغالب تلك الزينة إلا ليلة زفافها، وملء آذان الفتيات والفتيان بكلمات الحب والغزل ومشاهدها يسهل الانقياد إلى الشيطان ثم نعود ونصرخ لأننا نجد أبناءنا يتزوجون زواجاً عرفياً، ولم يعد أمراً خفياً مدى انتشار هذه الظاهرة في المدارس الثانوية والجامعات.

المرأة العربية مازالت رمز العفة والحياء والستر هكذا عرفها التاريخ بعهوده المختلفة..

كذلك هناك عامل مهم وهو خصوصية الفرد.. فعندما تنتزع خصوصية الفرد يتسرب معها حياؤه.. وقد حافظ إسلامنا الحبيب على خصوصية الفرد إلى أقصى حد فتراه يجعل من المسلم ملكاً غير متوج في بيته لا يستطيع شخص مهما كان الدخول عليه بغير إذنه. وله الحق في استقبال من يشاء وقتما يشاء أو رد من يشاء دون حرج، وحرم أن ينظر المار إلى بيت مفتوح الباب إلى الحد الذي رخص فيه الرسول - عليه الصلاة والسلام لأهل البيت فقء عينه فكل ذلك يحافظ على خصوصية المؤمن ويورث في القلب الحياء وستر العورات.

ولكن عندما يتبدل هذا المنزل الذي هو مملكة الفرد بخيمة في مخيم إيواء أو مسكن مشترك يكون فيه الشخص عرضه لكشف عوراته وانتهاك خصوصيته فأنى لنا في هذه الحال أن نطلب من هذا الشخص المحافظة على حيائه دون أن يتسرب منه.

ولكن ومهما يكن فلابد أن نتمسك بتلك الصفة الفاضلة التي هي مفتاح كل خير وهي خلق الأنبياء والصديقين والملائكة بل هي خلق الله تعالى وأولى بنا أن تكون خلقنا مع الله ومع الناس والخير في أمة محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين.

فانتشار ظاهرة الحجاب في الفترة الأخيرة تبشر بكل خير ومازالت هناك الكثيرات من نسائنا وفتياتنا من يجعلن الحياء والعفة دستور حياتهن

ولذا فإني مازلت أحلم وأترقب تلك العودة المباركة عندما تعود من شردت عن الطريق إلى بارئها وأخلاق دينها الحنيف فتعود لها الرقة والحياء والخجل.. عندما ترجع إلينا. تلك المرأة التي ملأت القلوب قبل البيوت دفئاً وحناناً وعفة وطهارة والتي افتقدناها كثيراً... إنها في طريقها ولابد أن تعود لأنه نداءالفطرة التي فطرها الله عليها ●

أماه عذراً

بقلم: فتحية صديق شندي



يا زهرة فواحة يمتد رحيقها ويشدوا أريجها،
أماه يا وجه الحياة النابض، ويا نسمة الريح النديّة، والزهرة الشذية والحلم الجميل.

أنت إشراقة الصبح الجديد.. كم عانيت! وكم سهرت! ذكرياتُ عفيّة جمعت بيني وبينك مذ كنت نطفة ومضغة وعلقة وخلقاً جديداً يدور في بطنك يتكيء على كبدك، عرفت بعد ما كبرت لماذا تقول الأم المكلومة «يا كبدي» تهدهديني بين يديك، تتمتم بالدعاء شفتاك أن أشب وأكبر، أراك تنظرين إليَّ من بعيد، ترفعين يديك بقصيد من الدعاء ألا أشاك بشوكة أو أصطدم بلبنة من لبنات الأرض «لا شوكة تشكك ولا طوبة تسطك كأني كنت لك الحلم الجميل والكنز المدخر».

عيدك يا أمي ليس ما تعارف عليه بعضهم بعيد الأم، أنت العيد نفسه في كل لحظة من عمر الزمان.

ظلم لنفسه ولغيره من خصك بيوم واحد يأتي لزيارتك يحمل أكياس الحلوى وبعض الهدايا، ثم لا يرعوى أن يسأل عنك أو يضمك.. وقد كبرت إلى أفراد أسرته الصغيره «جزاءً وفاقاً» فيتراجع عنك القهقرى، يتذرع بشاغل الحياة، وقلة الوقت، وقصر اليد وتناسى أنك أنت قد حملتيه أشهراً تتحركين به في صحوك ونومك وعسرك ويسرك، تنسجين في مخيلة رأسك أحلاماً وردية وآمالاً ندية أن يكبر الوليد ويشب عن الطوق فيكون هو الملاذ بعد الله تعالى، يبقى لك البنك المفتوح، صاحب الرصيد الوافر، تأخذين منه حاجتك، وتنفقين منه ما تشاءين ووفق ما تحبين، أو يكون مظلة تجلسين تحتها، تقين بها نفسك من غوائل الزمان وصروف الدهر، وتدفعين بها عن نفسك ألم الحر والقر.

ها قد رسمت في مخيلتك أنّ العكازة التي تسندين يدك عليها قد حان أوانها، والثمرة المرجو نضجها قد حان قطافها، لا عيب عليك أن تحلمي ولا لوم أن تستريحي من وعثاء السفر ولأواء الطريق، ومغبة الفتن، فولدك أثر من آثارك، ونبتة من دمائك، ودفقة من حنانك.

حنانيك يا أماه.

ألم تكوني له يوماً حضناً دافئاً ؟! وقلباً نابضاً؟! وبستاناً تتدلى منه عناقيد الثمار النضيده، والحياة الرغيدة؟!

أماه..

عاتبينا.. أشتكي إلى مولاك منا، أشتكي إليه عقوقنا وجفاءنا وبعدنا وقسوتنا.

شغلتنا حياتنا الجديدة، أضواؤها الجديدة، زوجاتنا الجديدة، علاقتنا الجديدة، التي خلت كلها من (اللون والطعم والرائحة) مرة أخرى.

سامحينا قبل أن تخلوا منك الديار، ويبقى في حلوقنا الغصة والمرار، خذينا بين يديك كرة أخرى، فأنت أمٌ ولن تجافي طبعك، ولن تخوني عهدك، سنظل على العهد ما بقينا، نضرع لربنا، ندعوه في سجودنا.

«رب ارحمهما كما ربياني صغيراً» ●



فيم تطيع المرأة زوجها؟

عبدالرحمن العمراني - أستاذ الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - مراكش

الوعي: غير خاف أن عقد الزواج تنشأ عنه مجموعة آثار والتزامات مادية وغير مادية من شأنها أن تضمن - إذا عمل الزوجان بمقتضاها - استمرار بناء الأسرة واستقرارها. وتعد طاعة المرأة زوجها واحداً منها، وهي حق للرجل على زوجته لورود الإشارة إليها في كتاب الله والنص عليها في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن من الناس من يجعلها حقاً مطلقاً يستعبد بموجبه زوجته، ويحدد معناها في الخضوع لأمره وعدم مراجعته في رأيه أو مناقشته مما يجعل المودة بينهما غير حاصلة والتراحم منعدماً، ويقلب العلاقة الزوجية إلى علاقة بين رئيس ومرؤوس، للزوج الأوامر وللزوجة التنفيذ، والإسلام من هذا بعيد وبريء.

أولاً - أصل حق الطاعة الزوجية

هذا الحق ينبني على قوله تعالى: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) (النساء: ٣٤) وقوله: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) النساء: ٣٤ فإنه «يقتضي - كما قال ابن تيمية - وجوب طاعتها لزوجها مطلقاً من خدمة وسفر معه وتمكين له وغير ذلك، كما دلت عليه سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم (..) كما تجب طاعة الأبوين، فإن كل طاعة انتقلت إلى الزوج، ولم يبق للأبوين عليها طاعة، تلك وجبت بالأرحام، وهذه وجبت بالعهود»!

من هنا كان من مقتضيات القوامة التي أسندها الله للرجال أن تطيع المرأة زوجها، لكنها طاعة غير مطلقة وإنما هي مقيدة حتى ألا يستخدمها الأزواج على إطلاقها وفي غير ما وضعت من أجله. وتقييدها ورد في الكتاب بأن تكون في المعروف وهو ما شرعه الإسلام، وما تواضع عليه العقلاء من الناس وارتضوه واستقر بينهم. وعليه فإن المرأة لا تعد ناشزاً إذا خالفت زوجها في أمر يخالف فيه الشرع، «إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» أو في أمر لا تستطيعه، إذ (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة: ٢٨٦. ولقد أخرج الإمام البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط (٢) شعر رأسها فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل شعرها. فقال: لا، إنه قد لعن الواصلات» (٣). وهو ما أخذ منه ابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم «خصص ذلك

- يعني طاعة المرأة زوجها - بما لا يكون في معصية الله، فلو دعاها الزوج إلى معصية فعليها أن تمتنع، فإن أدبها على ذلك كان الإثم عليه» (٤).

ثانياً - من مجالات طاعة المرأة زوجها

من الحالات التي ثبت النص على وجوب طاعة المرأة زوجها فيها يمكن ذكر ما يلي:

١ - إجابته إذا دعاها للفراش:

وهذه هي الصفة الغالبة التي يظهر فيها مدى طاعة المرأة زوجها، بحيث إنها تتكرر بدعوتها إلى المعاشرة الزوجية، فإن لم تطعه كانت عاصية أمره فينطبق عليها قوله، صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٥). وهذا - كما قال النووي - «دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، وليس الحيض بعذر في الامتناع لأن له حقاً في الاستمتاع بها فوق الإزار. ومعنى الحديث أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش» (٦).

ولقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب تدعو المرأة إلى الاستجابة لزوجها إذا دعاها للفراش من أجل أن يغض من بصره ويكبح جماح شيطانه عن الخيانة والحرام. ولئن كان هذا حقاً للرجل مقدماً على ما تقوم زوجته به من أشغال، فإن على الزوج بدوره أن «يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجل فيعفيها ويغنيها عن التطلع إلى غيره» (٧).

من هنا يظهر السبب الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم، من أجله يكره أن يأتي الرجل أهله بليل إذا كان في سفر سداً لذريعة تخوينهن أو التماس عثراتهن فقال: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً» (٨) وذلك من أجل إعطاء فرصة لتستحد المغيبة وتمتشط الشعثة ذلك أنه «يقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره، إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظيف والتزيين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما (..) ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحال التي تكون فيها غير متنظفة لئلاً يطلع منها ما يكون سبباً لنفرته منها» (٩).

طاعة المرأة زوجها تكون في المعروف وفي حدود ما تستطيعه

ويؤخذ من هذا أن الرجل كما يكره أن يجد زوجته في حال غير مرضية فكان على الزوجين أن يتزينا لبعضهما بعضاً لما في ذلك من أثر في تحقيق التوافق الجنسي بين الزوجين وتساكن بعضهما إلى بعض. وبهذا يتركز في الزوجين الشعور نفسه بأن أحدهما جزء من الآخر فتتآلف القلوب ويشعران بعدم قدرتهما على الاستغناء عن بعضهما بعضاً كما هو ظاهر في قوله تعالى: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) البقرة: ١٨٧.

إذا ثبت هذا، فإنه ينبغي التنبيه على أنه كما يجب على الزوجة أن تستجيب لزوجها إذا دعاها للفراش، اللهمّ إلا أن يمنعها من ذلك عذر مقبول شرعاً، فإن على زوجها أيضاً أن لا يهمل حقها في هذا الجانب، إذ هي أيضاً تتضرر من إنشغاله عنها. ولقد حض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الأزواج على أداء جميع حقوق زوجاتهم، فقال لعبدالله بن عمرو بن العاص وقد بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل: «لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً» (١٠). و«آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء (..) فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان» (١١). وهذا يفيد - كما قال ابن حجر - «مشروعية تزيين المرأة لزوجها، وثبوت حق المرأة على الزوج في حسن العشرة، وقد يؤخذ منه ثبوت حقها في الوطء لقوله: «ولأهلك عليك حقاً» (١٢).

من أجل هذا كانت طاعة المرأة زوجها إذا دعاها للمعاشرة الزوجية واجبة، فإذا امتنعت من غير عذر لم تكن معينة له على الإحصان والعفاف. وإذا ثبت هذا الحكم بالوجوب إلا لعذر مشروع، فإنه يتقرر أن حق الزوج في الإفضاء إلى زوجته فرض واجب عليها مقدم على غيره من الأعمال التعبدية وغير التعبدية، فالصيام مثلاً وكذلك القيام للتهجد أعمال تطوعية لا ينبغي أن تقدم على الفريضة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن «تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه» (١٣)، غير أن هذا الحكم لا يخص المرأة وحدها، بل الرجل بدوره يجب عليه أن يستجيب لزوجته إذا دعته للفراش. وإن الامتناع من أحدهما عن ذلك يعد نشوزاً وهو غير مقبول شرعاً.

وإنه لتكريم للعلاقة الزوجية أن يجعل الشارع استمتاع الزوجين ببعضهما بعضاً عملاً يؤجران عليه تشجيعاً لطلب العفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا بلى. قال: فكذلك إذا وضعها في حلال كان له فيها أجر» (١٤). وهذا من آيات الله في خلقه أن جعل في تحقيق المعاشرة الزوجية لذة للروح والجسد يحصل بها الأجر.

٢ - استئذانه إذا أرادت أن تخرج من بيتها

وهذه المسألة تقتضيها قوامة الرجل على زوجته ما دامت الزوجية قائمة فالرجل يتكفل بحماية المرأة في نفسها وعرضها، وهي تعينه على ذلك فلا يأتي منها ما يعارض حقوقه نحو خروجها من بيت الزوجية بغير إذنه. قال ابن تيمية: «لا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذنه (..). وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله ومستحقة العقوبة» (١٥). والأصل في هذا المسألة الكتاب والسنّة.

فأما في الكتاب ففي قوله تعالى: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم». فهو يفيد بعمومه قوامة الرجال على النساء فيما جعله الشرع أثراً من آثار الزواج. ومنه أخذ ابن حزم أن الرجل «قائم عليها - يعني على زوجته - يسكنها حيث يسكن ويمنعها من الخروج إلى غير الواجب، ويرحلها حيث يرحل» (١٦).

وأما في السنّة ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن» (١٧). ففيه الدلالة عن طريق المفهوم على أن خروج النساء إلى المساجد لا يكون إلا بإذن أزواجهن. قال النووي: «استدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن» (١٨). ويؤكد ما ذهب إليه النووي قول الحافظ ابن حجر: «إن منع الرجال نساءهم أمر مقرر، وإنما علق الحكم بالمساجد لبيان محل الجواز فيبقى ما عداه على المنع» (١٩) يعني حتى تستأذن زوجها.

واستثنى العلماء من هذا الحكم خروجها للضرورة، فإن لها أن تخرج إليها إذا تعذر أن تستأذن زوجها في ذلك. وضرب السيوطي أمثلة لها «ما إذا أشرف المنزل على

الإنهدام، أو كان المنزل لغير الزوج فأخرجت (..) وما إذا خرجت في غيبة الزوج إلى بيت أبيها لزيارة أو عيادة لا على وجه النشوز» (٢٠).

ويرتبط بهذه المسائل ما إذا استأذنها أحد من غير محارمها في الدخول إلى بيتها وزوجها وهو غائب، فإنه يحرم عليها أن تأذن له لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» (٢١). وأوضح النووي أن «في هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتأت على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه. وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها، كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم سواء كان حاضراً أم غائباً فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك، وحاصله أنه لابد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً» (٢٢).

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن بعضهم قد يتوهم أن في فرض استئذان المرأة زوجها للخروج من بيته وكذا في منعها من الإذن لغير محارمها بدخول بيتها إلا بإذن زوجها تضييقاً عليها، وليس كذلك، فإن الزوجين حين تطبع علاقتهما المودة والرحمة يحرصان معاً على الحفاظ عليها. ويكون المقصد من الاستئذان في الخروج من بيت الزوجية هو قطع طريق الظن السيء الذي قد يخطر ببال الزوج نحو زوجته والذي قد يوحيه إليه الشيطان الذي «يجري في الإنسان مجري الدم»(٢٣) سعياً منه للتفريق بينهما. وأيضاً فإن في امتناعها من الإذن لغير محارمها بدخول بيتها إلا بإذن زوجها صونا لعرضها من الابتذال ولحرمة بيتها من أن يهان.

وقد أخرج البخاري ومسلم بسندهما إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك فقالت: إنه أخي فقال: أنظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة» (٢٤)، ففيه أن «الزوج يسأل زوجته عن سبب إدخال الرجال بيته والاحتياط في ذلك والنظر فيه (٢٥).

ثالثاً - خلاصة القول

يمكن أن نخلص مما سبق أن طاعة المرأة زوجها تكون في المعروف وفي حدود ما تستطيعه المرأة. وإنه بالتأمل في المجالات التي تقتضيها يظهر أنها إجراء تنظيمي يحقق المقصد من الزواج وهو الإحصان والعفاف ويحفظ الثقة التي تقوم عليها العلاقة الزوجية. ولقد حاد الناس عن المعنى الصحيح للطاعة الزوجية فاستعملوه في غير موضعه مما نتج منه احتقار المرأة واستعبادها وصارت المرأة يفرض عليها أن تكون أول من يستيقظ وآخر من ينام في البيت، وتقوم بأعمال البيت وبأعمال أخرى خارج البيت في حين يمضي زوجها قسطاً من وقته في البيت من أجل الطعام والنوم، وآخر مع أصدقائه في المقهى وغيرها بعد خروجه من العمل. وهذا انحراف يحتاج إلى تصحيح في أذهان شباب اليوم خاصة المقبلين على الزواج عبر وسائل الإعلام المختلفة والخطب والمواعظ. والمرأة من جهتها تحتاج إلى التوعية بأن الشرع حين جعل القوامة لزوجها عليها لم يسحب منها رأيها فيما يهمها ويهم أبناءها وتسيير بيتها. وإن الله تعالى نبه الرجال إلى استشعار المراقبة الإلهية في التعامل مع الزوجة فأتبع قوله سبحانه: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) النساء - ٣٤ وقوله: (إن الله كان عليا كبيراً) النساء - ٣٤ تهديداً لهم أن يبغوا عليهن لغير سبب، فإن الله وليهن، فهو يدافع عنهن حين البغي عليهن ●

يا لها من أسرة مكلومة!

بقلم - محمود عبدالحميد خليفة

رأيته - على غير عادته - واجماً صامتاً، ترتسم على ملامحه الوضيئة، وثغره الباسم، كل معاني الحزن والكآبة، وكأن هموم الدنيا بأسرها قد أطبقت على صدره. سألته في لهفة وقلق: ما الخطب يا صديقي الحبيب؟ فتعثرت الكلمات في فمه - وهو اللسن الفصيح الذي اعتدته ينطق بأحسن تعبير وأروق تحبير - ولسان حاله يقول إن المصيبة عظيمة والخطب جلل. فلم أزل في الإلحاح عليه حتى نطق، لكني قلت في نفسي - بعد ما سمعت منه - ليتك ما تكلمت. قال لي - والدمع يتقاطر من مقلتيه - : «صديقنا يا أخي الحبيب، ألمت به فاجعة كبيرة، لقد ضرب أخوه الأكبر أمه ضرباً مبرحاً، فلما حاول أخوته إيقافه، ورده إلى صوابه، فما كان منه إلا أن صوب العصا في عين أخته لتنفذ من الناحية الأخرى، ليدع كلاً من الأم والأخت تصارعان مرارة الموت. لم استطع الاستماع، ونهرت محدثي في شدة وحسرة، ولم أشعر إلا وعيناي تسبحان في بحر من الدموع، وقلت في نفسي لو أني ما سمعت هذه الحادثة يقظة ومن صديق صادق، لقلت: أن ذلك ضرب من المحال، ونظم من الخيال.

إنها لنازلة حالقة، ونائبة خانقة نالت من أسرة كريمة عريقة، لم يُسمع صوتها، ولم يُكفىء قدرها على مر السنين والأيام. لك الله أيتها الأسرة المسكينة، وأثابك الله أجزل الثواب، في مصابك الأليم وخطبك الوخيم، الذي تنوء منه الجبال وتعجز عن حمله الجمال.

رجعت وتساءلت في نفسي: كيف بهذا الابن الوديع، ذو السمت المطيع، والخلق الرفيع، أن يقدم على مثل هذا الصنيع، ويقترف ذلك الفعل الوضيع؟! كان الله في عون صديقنا، بل كان الله في عون الأسرة كلها، أتصبر على مصيبة الأم؟ أم على فجيعة الابنة؟ أم على هذا الابن الوديع، الذي تحول في لحظات إلى وحش كاسر يأكل ما حوله، ويقضي على الأخضر واليابس؟

وأنى لهذا الأبن الجحفل أن يجابه مكاييل الاتهام، وأقاويل التقريع، وأحاديث القوم، بل الأدهى من ذلك والأمر، كيف يواجه هذا الابن نفسه، وبما يبرر جريمته، ويداوي فعلته؟! وحتى لو كتب لأمه وأخته الحياة، فأين يذهب من نظرات الأم المكلومة، والأخت المنكوبة - ذات العينين الحوراوين - وقد أصبحت بعين واحدة، لتصعد العين الأخرى إلى بارئها، فتشكو إليه مرارة القدر، وجور أخيها.

إنها لملمة وأي ملمة، ولكنها ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، في ظل مجتمع ينأى عن تعاليم الايمان، ويخلع عنه ربقة الإسلام، ويبتعد عن توجيهات التربية الإسلامية للأبناء. فهلاً نعتبر من هذه الواقعة وغيرها، فنرتمي في أحضان شرعة علوية صمدية، لا نحيد عنها أبداً؟! ●

نعم... ناقصات عقل ودين ولكن، كيف؟

بقلم: سميرة بنصديق



لا تزال المرأة المسلمة – في عيون المستشرقين الغربيين – تحتل مكانة دونية في الإسلام، ولا يزال الإصرار مستمراً على اعتبار الشريعة الإسلامية تجعل من المرأة كائناً أقل إنسانية وكرامة وشرفاً من الرجل، ومن بين الأدلة التمويهية التي طلع بها علينا بعض المستشرقين استدلالهم بالحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه: «ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أغلب لذي لب منكن»، ولا شك أن طبيعة التعليق والتعقيب على مثل هذا من طرف المستشرقين لن يخفى على كل من أطلع على مناهج المستشرقين وكتاباتهم المتحاملة على الإسلام ومبادئه وأحكامه، فالمرأة في نظر هؤلاء مهانة ومحتقرة ودورها ثانوي ما دام الإسلام يعتبرها ناقصة عقل ودين، أي أن سلطان العقل لدى المرأة ضعيف مقارنة بالرجل، كما أن مستوى تدينها لا يرقى إلى مستوى تدين الرجل. ومثل هذه التهمة – للأسف الشديد – تستغلها بعض التيارات النسوية المطالبة بمساواة الرجل بالمرأة لتؤكد من خلالها على أن الإسلام يجعل مكانة المرأة دون مكانة الرجل.

ويجدر التنبيه من جهة أخرى على أن سوء فهم الحديث النبوي الشريف قد ينطلي أحياناً على بعض المسلمين ذوي النية الحسنة الذين يقرأون الحديث مقطوع الصلة عن بقيته التي توضحه كما سنرى، ولعل هذا ما جعلنا نبادر إلى بيان حقيقة نقصان العقل والدين لدى المرأة، وكيف أن الشطر الثاني من الحديث النبوي مما لم نذكره بعد ولا يكاد يتنبه إليه سوى القلة القليلة من الناس يعتبر البيان الشافي والإيضاح الكافي لمفهوم ودلالة الحديث. ونحن نصر من خلال هذه المقالة على تبصير القراء وتنبيههم إلى أن الحديث ينبغي أن لا يفصل أوله عن آخره، فكما لا ينبغي الوقوف عند قوله تعالى (فويل للمصلين)، يجب عدم الوقوف عند الشطر الأول من الحديث لأن شطره الثاني فيه ما يشفي الغليل من حيث بيان معنى الحديث.

أما الحديث بتمامه فقد رواه أبو داود في سننه عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت من ناقصات عقل ولا دين أغلب لذي لب منكن» أما نقصان العقل فشهادة امرأتين بشهادة رجل وأما نقصان الدين، فإن إحداكن تفطر رمضان وتقيم أياماً لا تصلي.

فالواضح إذن أن المراد ليس نقصان العقل والدين كما قد يتبادر إلى الأذهان، بل المقصود أمور أخرى نص عليها المفسرون عند تفسير قوله تعالى: (فإن لم يكونا رجلين فرجل وأمرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى). ٢٨٢ البقرة ومدار كلام المفسرين أن للإنسان قوتين قوة العقل وقوة العاطفة، والعقل مناط التفكير الإنساني وهو عنصر مهم في حياة كل إنسان تقابله العاطفة وهي أيضاً أحد عناصر حياته الأساسية، وفي كثير من الأحيان يتعارض عمل كل منهما ودوره مع عمل الآخر ودوره، فإذا أراد الإنسان أن يتخذ قراراً عقلانياً لزمه التجرد نسبياً من العاطفة، ومن هم باتخاذ موقف عاطفي غيب سلطان العقل وأضعفه موقتاً، ومتى زاد سلطان العاطفة ضعف سلطان العقل، وزيادة العاطفة ليست عبثاً فهي مهمة بالنسبة للأنثى كزوجة في توددها لزوجها وكأم في صبرها على أطفالها والعناية بهم، ولذلك لما كانت الشهادة أمانة واجبة ومسؤولية دينية، خيف أن تكون شهادة المرأة الواحدة غير كافية نظراً لطغيان الجانب العاطفي لديها الذي يمنعها أحياناً من الإدلاء بشهادة ما ضد قاتل أو سارق مثلاً، وهذا ما فسره الحديث النبوي الشريف «أما نقصان العقل فشهادة أمرأتين بشهادة رجل».

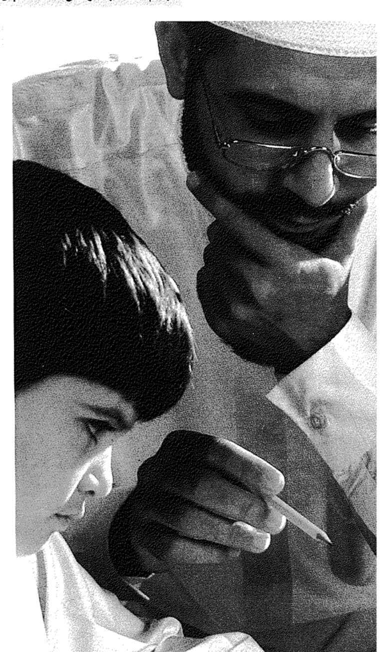


أما الجانب الآخر الذي هو نقصان الدين فالمراد به إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بأدب إلى العوارض الخلقية الطبيعية التي تنتاب المرأة من حيض ونفاس وهما العارضان اللذان يتسببان في إسقاط الصلاة عنها والإفطار في رمضان مع القضاء، وهو ما جاء في آخر الحديث: «وأما نقصان الدين فإن احداكن تفطر رمضان وتقيم أياماً لا تصلي».

هكذا إذن يتبين بجلاء ووضوح أن ما يروجه خصوم الإسلام من أن الإسلام يكرس درجة دونية للمرأة من خلال الفهم السقيم للحديث النبوي السابق أمر لا أساس له من الصحة، ولعل السبب في فشو هذه التهمة الزائفة والشبهة المتهافتة هو أن الحديث يروج ويشتهر على الألسنة في

الإسلام ودعائم التنشئة السليمة للطفل

بقلم: آمال عبدالرحمن محمد شعبان. أمينة مكتبة كلية التجارة. طنطا



لقد أولى الإسلام اهتماماً بالغاً لرعاية الطفولة، وحضنا على ضرورة غرس عواطف الحب والرحمة والمودة ليجعل من المسلمين قدوة حسنة كي يربوا أبناءهم عليها، لذا أحاول إلقاء الضوء على هذا الموضوع البالغ الأهمية من منظور إسلامي.

إذ يؤكد علماء الإسلام أن الإسلام اهتم بالطفولة وأعد القاعدة الصلبة للأجيال المقبلة حتى قبل ولادتهم عن طريق التحرّي الدقيق في اختيار الأب للأم لتكون الثمرة طيبة، ومن السنن التي أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن يؤذَّن في أُذن الطفل اليمنى وتؤدى الإقامة في أذنه اليسرى لمجرد أن يأتي إلى الدنيا لأن ذلك فيه توجيه لوالديه أن ينشئاه على التوحيد والتكبير والتهليل، وأن يعوِّداه الصلاة في سن باكرة حتى لا تذهب به الأهواء كل مذهب.

ولذلك وجَّه النبي، صلى الله عليه وسلم، الآباء أن يأخذوا أنفسهم بتعويد أولادهم على الصلاة منذ سن السابعة، وأن يهتموا بذلك حتى تصير الصلاة بالنسبة لهم أمراً معتاداً، فإن قصروا في ذلك دعا الإسلام الآباء لأن يتابعوا أولادهم بالتوجيه والتنبيه فإن بلغوا العاشرة ولم تصر الصلاة أمراً لازماً عندهم ضربوهم على التقصير حتى يشعروا أن الصلاة بالنسبة لهم أمراً لازماً كالطعام والشراب والنوم، ولم يكتف الحديث الشريف بذلك، بل وجه الآباء أيضاً إلى أن يجعلوا لكل طفل مضجعاً خاصاً به حماية للأولاد من أي ضرر يلحق بهم في سلوكهم وأخلاقهم، وجاء القرآن الكريم يأمر بتدريب الأولاد على الصلاة والمثابرة عليها فقال تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) طه:١٣٢، وينبه إلى مسؤولية الآباء نحو أولادهم ويحرص على توجيههم الوجهة الصحيحة السليمة في العقائد والعبادات والسلوك والأخلاق.

كما يعرض القرآن الكريم وصية لقمان لابنه بأسلوب بديع لتكون أنموذجاً للآباء، فيقول عزَّ من قائل: (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) لقمان:١٧.

نظرة الإسلام

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة مستوعبة تتناول كل جوانبه المختلفة، وتشرع لكل منها ما يحقق النمو، إنه ينظر إلى الإنسان جسداً وعقلاً وروحاً، الكل يحقق التوازن النفسي للبشر، وهو الدعامة الأولى التي لابد منها لكي يبني فرداً سوياً ومجتمعاً قوياً وأمة ناهضة، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثلة العملية في غرس عواطف الحب والرحمة والمودة في قلوب أحفاده وأولاده ليعطي القدوة للمسلمين لكي يربوا أبناءهم وبناتهم عليها حتى ينشأ جيل تتفجر الرحمة من جوانبه، ويفيض عطفاً ومودة على من يتعامل معهم من إنسان وحيوان ونبات.

وقد أثر عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة في بيته ثم سجد جاء أحفاده فركبوا على ظهره الشريف، فيطيل السجود حتى لا يقطع عليهم متعتهم، وفي أثناء زيارة أحد البدو له يجيء حفيده الحسن أو الحسين فيأخذه بين يديه في حنان بالغ ويقبِّله، ويبدي البدوي تعجبه وهو يقول: «أتقبِّلون أبناءكم؟ إن لي عشرة من البنين ما قبَّلت واحداً منهم، فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: «وماذا أملك لك وقد نزع الله الرحمة من قلبك»، كما كان الرسول الكريم إذا مر بصبية في الطريق يقرأهم السلام إيناساً لهم وتأصيلاً لنوازع الألفة والمحبة.

فما أحوجنا في أيامنا هذه إلى أن نربي أبناءنا على هذه المحبة التي تجعل الحياة تمضي بهم هينة لينة سهلة، ويشبوا أصحاء نفسياً وجسمياً وعقلياً وأخلاقياً وعقائدياً.

لقد حرص الإسلام على تنمية قدرات الأطفال منذ نعومة الأظفار وأن الطفولة لابد وأن تغرس فيها مبادئ الخير والقدرة الفائقة والتعلم الرشيد الذي يحقق الإنجاز السليم والإنتاج المبتكر.

فالإسلام بوصفه دين الحق والتطور والمعاصرة، يدفعنا إلى أن نوجه الأطفال إلى كل ما ينمِّي قدراتهم ويدفعهم إلى السلوك القويم الذي يعتمد على المهارات السليمة والخبرات المثمرة، قال تعالى: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) النساء:٩.

الطفولة الخصبة

إن الإسلام السمح القويم يؤكد أن المفكرين البارزين من الرجال والنساء في أي عصر من العصور هم المؤشر الدال على طفولة مثمرة خصبة حية، وهم أيضاً بحكم تنشئتهم الإسلامية يعبرون في عصرهم عن يقظة الضمير الاجتماعي، ويعلمنا الدين الحنيف كيف تكون النزاهة في إبداء الرأي وخطورة الانصياع إلى الهوى، وهكذا يوصي الدين الإسلامي بأهمية الطفولة وكيف نرسم لهما المستقبل بإذن الله، وإلى أي حد يجب أن يكون الالتزام بالتعاليم الدينية والرعاية السليمة والصراط المستقيم لعلها تعود بنا إلى جادة الطريق.

إن المتأمل العميق لروح الحياة المعاصرة سيجد أن هناك كثيراً من الأسر تغرق في متطلبات الحياة المادية المعاصرة حيث تعتمد على منطق السهولة واليسر والاستهلاك المادي، وكثير من هؤلاء يهملون اهتمامهم بأفراد أسرهم، ولكن الدين الإسلامي يدعونا إلى العناية بالطفولة وأن نحقق الأهداف الإيجابية في التربية عن طريق الإسهام الفعال والمثمر الذي يضيف حركة إلى الحياة ويغرس المبادئ، من خلال أصحاب القدرات الفائقة، لأن الحياة كما يراها الدين الإسلامي سعي وعلم وثقافة وحضارة وحركة مستمرة تجعل صاحبها يرتبط بأرض الواقع ويتطلع في الوقت نفسه إلى عنان السماء.

الطفولة والابتكار

لقد أرسى الإسلام قواعد للتعامل مع الأطفال لتتحقق لهم القدرات الابتكارية الفائقة وتتبلور هذه التوصيات الرشيدة في دعوة الإسلام الآباء إلى محاولة إمداد الأبناء بخبرات ثقافية اجتماعية لأن الإسلام دين العلم والمعرفة والثقافة، ومن هنا يحرص على تنبيه أولي الأمر من الآباء والأمهات إلى اصطحاب أولادهم في الرحلات والترفيه عنهم حتى يلتقط الأبناء خبراتهم مع تعويد الأولاد على الإسهام في البيئة المحيطة بهم من خلال معرفة الصواب والخطأ وكيف يستفيد من التعامل مع خلق الله سبحانه وتعالى في ترسيخ القيم الخاصة بالجودة والعظمة والجلال، يقول تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١.

إن الإسلام يحضنا على أن نشجع أطفالنا بتقويمهم تقويماً سليماً من خلال التأمل والتدبر في مخلوقات الله وقدرته وعظمته وإعمال العقل لتتأصل معارفهم حتى تكسبهم الثقة في أنفسهم وأن نتقبل منهم إنجازهم وأعمالهم حتى يكوِّن الطفل مفهوماً ذاتياً وواقعياً يرى من خلاله الحياة على أنها فرصة يمنحها الله لنا لكي نسعى في الأرض ونفكر في صلاح الواقع وإصلاح المعوج من السلوك.

ثقة النفس

إن الإسلام يحضنا على تشجيع أولادنا على العمل وبث الثقة في نفوسهم لإشباع رغباتهم ضمن حدود الشرع، وألا نبالغ في مساعدتهم إلى الحد الذي يجعلهم يفقدون القدرة على الاعتماد على أنفسهم.

إن الدين الإسلامي بتعاليمه يحرص على ألا نقدم لهم الحلول الجاهزة حتى لا نحرمهم من الفرص التي تساعدهم على إظهار قدراتهم ومهاراتهم، وبذلك يفقد هؤلاء الأبناء لإمكانات التعليم واكتساب الخبرات المختلفة، تلك الخبرات كما ينبهنا ديننا الحنيف أن هذا لا يأتي إلا نتيجة للاعتماد على النفس وتحمل المسؤوليات ومواجهة التبعات، هذه التوصيات الرشيدة هي دعوة إسلامية عظيمة تهتم بقدرات الطفل الابتكارية وتدعو إلى الاهتمام بالطفولة كأمل ومستقبل.

ولا شك أن الاهتمام بالطفولة الآن يعد مؤشراً من مؤشرات التقدم ولنا في رسول الله أسوة حسنة، إذ يقول: «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» رواه البخاري.

وهذه دعوة كريمة تضفي على المجتمع التماسك والألفة والمحبة والرحمة والتفاعل البنَّاء بين أبناء المجتمع المسلم ليصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ●

المراجع:

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ رياض الصالحين للإمام النووي.
٣ ـ محمد عيسوي الفيومي: فاعلية العلاج المتمركز حول العميل في تحسين بعض حالات الأمراض النفسية ـ دكتوراه تربية بنها ١٩٩٥م.
٤ ـ حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٢م.
٥ ـ محمد ناصح علوان: تربية الأبناء في الإسلام ـ ج١ ـ القاهرة ـ دار الاعتصام.

أختي العزيزة الغالية المرأة

بقلم: عبدالرحمن قره حمود



لا أدري أغبطك على ما أكرمك الله به وحباك به رسوله صلى الله عليه وسلم؟! أم أرثي لحالك إذ غفلت عن ذلك ورحت تتخلين عنه إلى ما لا قبل لك به لأنك لم تخلقي له مما كلف الله به الرجل، وذلك بتزيين من شياطين الإنس والجن الذين يجدّون ويجتهدون في أن يجتالوك عما إراده الله لك وخلقك له طمعاً في أن ينالوا منك ما لا يستطيعونه إلا إذا أخرجوك عن مكانتك السامية التي بوأك الله إياها، وحباك رسوله صلى الله عليه وسلم بها.

أنت أحب الناس أماً، والحبيبة زوجاً، والغالية ابنة، والعزيزة أختاً. وإذا كنت أخاطبك بأختي العزيزة، ولم أخاطبك بأمي، أو زوجتي أو ابنتي فذلك لأنه ليس لي سوى أم واحدة، وزوجة واحدة، وابنة واحدة، في حين أن كل المسلمات أخواتي.

أختي العزيزة، إن شياطين الإنس بأزّ من مردة الجن يريدونك أن تستبدلي الذي هو أدنى بالذي هو خير، إنهم يريدون لك الشقاء الذي خاطب الله به أبانا آدم محذّراً له من إبليس بقوله سبحانه: «.. إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ٢٢ ط ١١٧ فلماذا أختص ربنا جل شأنه أبانا آدم بالخطاب دون أمّنا حواء؟

أنا لا أزعم أنها ليست مشمولة بالشقاء فقد قال تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في كبد» البلد٤. ولكنه شقاء دون شقاء. إن شقاء الرجل أكبر لأن مسؤوليته أكبر، فقد قال تعالى: «.. ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة».. البقرة ٢٢٨.

وإذا كان كل من الرجل والمرأة راعيا ومسؤولاً عن رعية، فإن ما استرعى الله به الرجل أكبر مما استرعى به المرأة. وبناء عليه فإن مسؤوليته أكبر من مسؤوليتها. ولذلك أختصه الله بقوله سبحانه: «.. فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» طه ١١٧ - ١١٩ .

فما من رجل يرضى لأمه التي هي أحب الناس إليه، ولا لزوجة الحبيبة، ولا لابنته الغالية، ولا لأخته العزيزة أن تجوع وتعرى وتظمأ وتضحى.

بل إن شعوره بالمسؤولية نحوهن يجعله إذا أقتضى الأمر يجوع ليطعمهن، ويعرى ليكسوهن، ويظمأ ليرويهن.. وبذلك يكون شقاؤه أعظم.. فهل عرفت يا أختاه لماذا أغبطك؟!

كيف لا أغبطك وقد كلفني الله بالإنفاق عليك، وأعفاك من الإنفاق علي؟! كيف لا أغبطك وقد أمرني سبحانه وتعالى بقوله: «.. وعاشروهن بالمعروف..» النساء ١٩؟!

كيف لا أغبطك على حب رسول الله لك بقوله صلى الله عليه وسلم: «حبّب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة» كيف لا أغبطك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بقوله: «استوصوا بالنساء خيراً..» متفق عليه وبقوله: «رفقاً بالقوارير»؟

كيف لا أغبطك وهو عليه الصلاة والسلام يقول: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر»؟! متفق عليه.

كيف لا أغبطك وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كها تين»؟! «مسلم» كيف لا أغبطك وقد قال صلى الله عليه وسلم: «.. من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار»؟! متفق عليه كيف لا أغبطك وصلى الله عليه وسلم يقول: «.. وخياركم خياركم لنسائهم»؟! الترمزي.

كيف لا أغبطك وقد روي أن: «الجنة تحت أقدام الأمهات»؟! كيف لا أغبطك وقد أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأله عن أحق الناس بحسن صحابته بقوله: «أمك ثلاثاً»؟! متفق عليه.

كيف لا أغبطك وقد وضعك صلى الله عليه وسلم بأنك ريحانة؟!

كيف لا أغبطك وقد ورد في الأثر: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم»؟!

كيف لا أغبطك ولأهميتك أشتقت الأمة من الأم؟!



كيف لا أغبطك وقد جعلك الشاعر مدرسة بقوله:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق؟!

وأخيراً كيف لا أرثي لحالك، إذا انسقت وراء كل ناعق من الشياطين يخدعك ليزحزحك عن مكانتك السامية، ومهمتك الشريفة التي أعدك الله لها ألا وهي تربية الأولاد وصنع الأجيال من النساء والرجال؟!

فبالله عليك أليست هذه المهمة أعظم وأكرم من أن تتخلى عنها إلى ما لا يناسبك من أعمال شاء الله سبحانه وتعالى أن يعهد بها إلى الرجل الذي هو أبوك وزوجك وأبنك وأخوك وعمك وخالك؟!

نعم لقد أراد شياطين الإنس بأزٍّ من شياطين الجن أن يزحزحوك عن هذه المكانة لتصبحي أقرب منا لأهوائهم الخبيثة، وقلوبهم المريضة، غير عابئين بما سينعكس ذلك على ضياع الأولاد وخراب الدنيا.

لقد أرادك الله مصونة بالحجاب، وأرادوك عارية بلا ثياب مع أن الحجاب – حتى في الجاهلية – كان سمة الشريفات العفيفات، والسفور سمة الجواري الرخيصات اللاتي يبعن في الأسواق ويكرهن على إبراز كل ما يرغب الشارين فيهن لرفع أثمانهن في المزادات العلنية.

لقد أرادك الله درّة مصونة، وأرادوك فاتنة مفتونة فحاذري واحذري واعتبري بأختك الغربية التي أوقعوها في حبائلهم فجعلوها تستبدل ما أرادوه مما هو أدنى، بما أراده الله مما هو خير. أوهموها بالتساوي، ولم يعاملوها بالمساواة، فهي وإن قامت بعمل الرجل أجرها أقلّ من أجره. وصارت مبتذلة بعد أن كانت عزيزة مكرمة، وحتى في أمور السياسة أوصلوها – لغاية في أنفسهم – لأعلى المناصب. لكن كم عدد الواصلات؟ وما أقلّ الواصلات وأكثر الضائعات المخدوعات؟ لقد قل الزواج وكثر أولاد الحرام، ولما كثرت شكاواهم هناك مما آلت إليه الأمور، وجدنا عندنا من يريد تقليدهم بالفجور.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

لكنك أنت أيتها الحرة العفيفة، الطاهرة الشريفة المعتزة بما بوأك الله من مكانة سامية جعلتك راضية مرضية أصبحت قطعاً نادراً، قلّ مُقتنوه، وكثر مُتمنّوه. فحافظي على مكانتك، وإياك ثم إياك أن يزحزحك عنها من لاخلاق لهم من شياطين الإنس بأزٍّ من مردة الجن وليكن لك ما آلت إليه أختك الغربية عظة.

وحياك الله



المتحولة

بقلم: إيمان القدوسي

في بداية زواجنا اخترت أن أكون فراشه، كنت أرف حوله بأجنحتي الشفيفة فتتداخل ألوانها بفعل الاهتزاز وتنساب رومانسيتها.

من موقعي كفراشة كانت حاجاتي شديدة البساطة، كنت أنظر إليه فأراه مهيباً رائعاً، لم أكن أكفُّ عن التحليق من سمائي الصافية فأرى الوجود خضرة زاهية ونسيماً عليلاً وزهوراً فواحة.

كنت أمتص رحيق كل هذا الجمال كي أصنع له منه قطرة شهد يرتشفها على عجل، وبينما أدور حوله وتهتز أجنحتي بشدة لترطب له حرارة الجو لطمني بيده غاضباً (كفِّي عن الاهتزاز إنه يصيبني بالدوار) جفلت ولولا ذلك لسحقني، سكنت أجنحتي وغامت سمائي وأشحت بوجهي عن زهوري، كرهت رهافة الفراشة ورقتها، جمالها وحده لا يكفي، قررت أن أصبح طائراً مغرداً، فبالإضافة لجماله فإنه أقوى احتمالاً كما أن له صوتاً يعبر به عن نفسه فيشجي السامع بألحانه وغنائه، من المهم أن نقول لمن نحب ذلك بصوت واضح، وخصوصاً إذا كان ذلك الصوت عذباً شجياً.

انبهر بجمال الريش الملون وكبرياء الحركة عندما يضم الطائر جناحيه ويرفع رأسه عالياً، أما الصوت فقد سحرته أنغامه.

أردت أن أمنحه بهجة رعاية الصغار والاستمتاع بشقشقتهم وتأمل زغبهم وهو يتحول ريشاً، أضناني احتضان البيض حتى جاءت لحظة ميلاد الحياة في العش، أنصت لصوت معاناة كسر جدار البيض الرقيق، وعبر صغاري بوابة الحياة فتلقفتهم أحضاني تدفئهم، كانت سعادته لا توصف.

أضاء حبنا المشترك لهم جنبات العش، كنا نتبارى معاً في رعايتهم وإطعامهم عندما يفتح الصغار أفواههم، كنا نملأها بعصارة أكبادنا. اهتز العش عندما انفجر صارخاً لقد ضقت ذرعاً بأصواتكم لم يعد غناؤنا يطربه، ملَّ ضجيج الصغار أثناء تحول زغبهم ريشاً، أوحت لي أمومتي أن أصبح قطة أقفز فوق كل حواجز العجز وعوائق الخوف وأنا أحمل صغاري حتى أصل بهم إلى بر الأمان. القطة شكلها لطيف، مواؤها الخافت يصبح مخيفاً وإذا لزم الأمر فللقطة مخالب تستطيع الهجوم بها وليس الدفاع فقط.

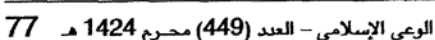
لا ترهق القطة نفسها بالبحث عن الجمال والحب، إنها تألف المكان وتتمسك به، تدافع عن حقها في الحياة وتتكيف مع ظروفها وإن كانت وسط وحوش الغابه، فهي تنتمي لعائلة النمور.

لم يعد الزهو يملؤني بتشبهي بالنمور ففي الحقيقة مازالت الفراشة تحت جلدي وصوتي مازال مغرداً، أثخنت جسدي الجراح وأثقلت روحي مكابدة صراع الغابات.

ولما كنت أحتاج إلى أن أحتمي خلف درع صلد فلم أجد بداً من أن أتحول إلى طوري الأخير سلحفاه.

عندما تشرق الشمس وتصفو لي الحياة أخرج رأسي الذي اعتاد أن يتلفت حذراً وأسير الهوينا مستمتعة بكل شيء بصورة أعمق، مستخدمة كل حواس أطواري السابقة فأرى الكون بديعاً والحياة مثقلة بأسرارها مترعة بمتعها الخالصة، صرت أستكشفها وأجلوها بحكمة عمر السلحفاه، فإذا تغير المشهد وهبت أعاصير الغضب أسرعت للاحتماء داخل صدفتي الخاصة إلى حين.

أما هو فصار رفيقي الذي نتفاهم سوياً لمجرد مرور الهواء بيننا، وصار الصغار كباراً فحلّقوا بعيداً بعد أن قويت أجنحتهم





النزوح

بقلم: محمد علي وهبة

تباطأت خطواته، وهو يصغى لأنشودة خفية، تتصاعد في خلاء الفضاء، ممتزجة بنسائم الهواء، طائرة بنبض قلبه وأحاسيسه في أعماق الآفاق. تصورها كقوة قادمة من خارج عالمهم المحسوس، لإنقاذهم. تمنى رؤيتها كقوة حقيقة ملموسة، وليس مجرد شيء مما يراه المرء بأمنيات قلبه.

– ماذا حدث؟

قالها ولهثاته لا تزال ترافق أنفاسه من أثر الجري، فقد قطع مسافة طويلة من مقر عمله، متوجهاً إلى بيته، ليحاول عمل شيء هناك بعد هدوء وانقطاع هدير القذف الناري، ثم قال:

- إنها وحدها!

وأضاف بملامح وجه مرتعشة، وهو يوشك على البكاء:

- لا تستطيع النهوض!

لم تكن الانفجارات الصاخبة الراعبة التي حدثت منذ قليل مفاجئة لهم في مدينتهم المحاصرة. لم تتوقف قذائفهم على مدى أيام على الحدود من بعيد، لكنهم اليوم أطلقوها بعيارات ثقيلة، أصابه الفزع، وهو يراها مع رفاقه الكثيرين، وهي تسقط في المنطقة التي يقع فيها بيتهم. رأى ألسنة النيران وسحابات الدخان تتصاعد من نوافذ البيوت العالية هناك، مختلطة بموجات الغبار المتدافعة من أحشاء بيوت كثيرة طالتها قذائف النار.

استشاط غضباً، وهو يعلن طغيانهم وقسوة قلوبهم، التي ربما فاقت جمود الصخر.

رأى صورتها تملأ رأسه، وهي تناديه من بعيد، فلم يكن لها غيره. وسمع صوت أحد رفاقه يقول:

- لماذا يتوحشون ضدنا؟

وصوت آخر قال:

- يطمعون في عطاءات أرضنا!

وثالث قال في هلع:

- يريدون اقتلاعنا!

فانفجر فيهم صائحاً:

- لماذا لا نكف عن الكلام ونحاول أن نفعل شيئاً؟

وأطلق ساقيه للريح في جنون مطعون، وهو يخشى ألا يرى لها أو لبيتهم وجوداً.

رآها مرة أخرى بعين قلبه، وهو يجري بأقصى سرعته، وهي تقول له منذ أيام قليلة مضت:

- أتمنى العيش حتى أراك متزوجاً وأحمل صغارك.. وأرضعهم اللبن.

صاح وهو يزيد من سرعة خطواته:

- صار لبن الصغار مخلوطاً بالنار والغبار!

ظل يواصل الجري بخطوات متعبة وقلب مخضوض، حتى وصل إلى هناك. تاهت نظراته بين وجوه كثيرة متزاحمة لرجال ونساء وأطفال، يتزايدون ويتصايحون.

أحسَّ بأن البيوت كلها قد فرغت من سكانها. رآهم يتعاونون في حمل ما يقدرون عليه من أمتعة، يتزاحمون للركوب في سيارات كثيرة كبيرة، تتجه بهم إلى مناطق آمنة قريبة أو بعيدة، وملامح وجوههم مشحونة بأحاسيس دامعة، وصراخ النساء والأطفال يتصاعد في الفضاء، حاداً، فاجعاً، مستنجداً، بلا انقطاع، مختلطاً بأصوات رجال الإنقاذ المتداخلة في أحشاء بعضها بعضاً، وهم يتعاونون في انتشال المصابين والمفقودين تحت الأنقاض.

وقف يتأمل ما يراه للحظات، بقلب مرتجف بالحزن. رأى حيوانات كثيرة وطيور ملونة مبعثرة على الأرض، فاقدة للأنفاس، سابحة في دمائها، وأشجار كثيرة مكسورة الأغصان والجذوع، كانت خضراء، صارت متفحمة سوداء من أثر شظايا القذائف الحارقة، حتى العبادة طالتها قذائف النار.

رفع رأسه للسماء طالباً غفران الله، لعدم قدرته على أداء الصلاة في هذا الجو العاصف بآثار الدمار.

احساسه بالفزع، وهو يرى بيتهم مائلاً، كأنه موشك على السقوط. تذكر أمه.

اندفع مسرعاً، شاقاً زحامهم بصعوبة، وأمواجه المتلاطمة تقذف به في كل اتجاه، حتى استطاع أن يلقي بنفسه في الحلق المفتوح لباب الدخول.

صعد درجات السلم المائلة لاهثاً، حتى اقترب من باب شقتهم بالطابق العلوي، والصراخ المتواصل المقبل من الخارج يطارده من كل صوب. أخرج مفتاح الباب من جيبه، لكنه تركه يسقط من يده محدثاً رنيناً واهناً مخنوقاً على درجات السلم. رأى الباب مخلوعاً، وواقعاً على الأرض من أثر تصدع البيت، وأمه مُتكومة في أحد أركان الغرفة الداخلية، وهي تتمتم ببعض آيات القرآن الكريم، والنافذة المفتوحة بالغرفة تكشف عن جانب كبير منطفيء من الجو، مليء بالغبار والدخان، وقد انخلعت إحدى فردتيها، وظلت معلقة بمسمار غليظ مدقوق في الحائط تأخذ وضعاً معكوساً، مائلاً نحو السقوط أيقظة صوتها وهي تصيح في وجهه بصوت متلهف، مختلط بأحاسيس الحزن والفرح:

- جئت يا حبيبي!

انتقلت فرحتها الممتزجة بالحزن إلى أحاسيسه، فتناثر دمع عينيه، وهو يلقي بنفسه في حضنها، ضاماً إياها بين ذراعيه.

- كيف حالك يا أمي؟

وأمسك بيديها، وقبلهما.

- مال البيت بي ميلة مفزعة!

وسألته:

- ماذا يفعل الناس في الخارج؟

قال وملامحه تكتسي بالحزن:

- كأنهم يبحثون عن سفينة نوح!

وأصابهما الفزع فجأة على أثر سقوط قطعة حجر من سقف الحجرة، والغبار يتطاير من مكان سقوطها، فصاح فيها مفزوعاً:

- هيا قبل أن يسقط البيت فوقنا!

وأنحنى أمامها سريعاً، وحملها على ظهره، وهي تطوق عنقه بذراعيها، وأصابعه العشرة مشبكة ببعضها بعضاً، ليصنع بها مقعداً لها خلف ظهره.

بدأ يهبط الدرج، وهو يحملها، والصرخات المستغيثة المسموعة من الخارج تملأ جنبات الفضاء من قريب ومن بعيد. ظل يهبط بها ببطء مرير وقلب كسير، حتى انتهى إلى الخروج من البيت، وهو يحملها على ظهره، ودمعاته تنسال على خديه بصمت صارخ، مقبوض ومحقون ●

حين يسأل ابنك من أين يأتي الأطفال؟

بقلم: محمود النجيري

يبدأ الطفل يسأل كثيراً، يدفعه الفضول والرغبة في المعرفة، وذلك في الرابعة من عمره، وربما قبل ذلك، فيقول لأبويه، أو لأحدهما، أو لإخوته الكبار: من أين يأتي الأطفال؟ وقد يكون سؤال الطفل مركباً: كيف نشأ الجنين؟ وأين يعيش؟ وماذا يأكل؟ وهل عنده حمام ومغسلة وصابون؟

ويأتي السؤال مفاجئاً!

ويحار الأبوان: بماذا يجيبان الصغير؟ وماذا يمكن أن يفهم، أو لا يفهم من الإجابة؟

وما تأثير ذلك عليه؟

وعادة ما يأتي هذا السؤال حين تضع الأم طفلاً جديداً، أو تزور الأم مع صغيرها إحدى الأمهات حديثات الولادة، أو عند الحديث على مسمع من الطفل: أن فلانة على وشك وضع طفل جديد، أو أنها أرسلت إلى المستشفى لكي تلد طفلاً.

وقد يطرح الصغير سؤاله مباشرة، أو بعد وقت قصير وربما بعد أسبوع أو أكثر عن المكان الذي يجيء منه الأطفال.

وينبغي أن نعلم أن الأطفال قد ينشأ لديهم تصورات ساذجة في هذا الجانب، فبعض الأطفال يظن أن الآباء يشترون الأطفال من السوق كالطعام واللعب، أو أن الطفل ينبت من الأرض نباتاً. ويظن بعضهم أن الذكور يلدهم الآباء، والإناث تلدهن الأمهات..!

لا تكذب على طفلك!

أمام هذا السؤال الصغير قد يضطرب الأبوان، ويصابان بالدهشة، والعجز عن الجواب - ليس جهلاً منهما بمضمون هذا الجواب في كثير من الأحيان، ولكن جهلاً بالأسلوب الصالح لإخبار الطفل، وبالقدر المطلوب إخباره به دون إسراف أوتقصير.

والملحوظ أن الآباء والأمهات يذهبون في هذا الجانب إلى ثلاثة مذاهب:

١ - الفريق الأول: يُضلل الطفل بإجابات بعيدة عن الصواب، مثل أن يقول له: إننا نأتي بالأطفال من الحقل، فهم ينبتون بين الكرنب، أو يقول: إن الأطباء هم الذين يجلبون لنا الأطفال.. وهذا هروب من الإجابة، وكذب على الطفل.

٢ - الفريق الثاني: يقصر عن الإجابة المطلوبة، فيبدأ الكلام عن الطيور والنباتات والحشرات، ولم يرد الصغير ذلك، فيصغى تأدباً، وانتظاراً لأن يصل إلى جواب ما في نفسه من تساؤل، ثم إنه يمل، وربما يتبرم، لأنه لا يعبأ الآن بحياة الطير الجنسية، ولا بالبيضة التي صارت فرخاً، ولا بتلقيح النحل، والزهرة والكأس والتويج والطلع والمتاع، ولا يعنيه إلا حياة الإنسان والوليد البشري. ويظل منتظراً إجابة السؤال!



٣ - الفريق الثالث: على النقيض من الفريق السابق، يتطرف في الجواب، ويسهب إسهاباً وكأنه يكلم بالغاً أو راشداً، فيفيض بذكر الجماع، والتلقيح والإخصاب، ونمو الجنين في الرحم، والتمخض والوضع. وكل هذا أكبر من استيعاب الطفل، فلا يفهم منه شيئاً، بل يرتبك ويتحير، ولذلك يعيد السؤال: «ولكن من أين يخرج الطفل؟».

وهذا العرض يظهر جهل الكثيرين منا بأصول تعليم الأطفال وتربيتهم.

أفهم الطفل أولاً

للإجابة على سؤال الطفل يجب أن نفهم شخصيته، وندرس دوافعه، ونعرف كيف يفكر، وماذا يريد بهذا السؤال؟

إن الطفل يسأل: «من أين يأتي الأطفال؟» مثلما يسأل: «من أين يأتي المطر؟» أو: «من أين يأتي اللبن في ثدى أمي».. وهو يريد أن يستكشف الحياة من حوله، ويعرف عنها أكثر، لذا ينبغي أن نراعي في الإجابة على الطفل ما يلي:

أولاً: لا يصح زجر الطفل، ولا الهروب من الإجابة الصحيحة، أو اللجوء إلى الغموض والغمغمة، لأن هذا يوقظ عند الطفل أسئلة أخرى أبعد، وقد دفعه إلى نشدان المعرفة من مصادر أخرى: من رفاقه، أو ممن يكبرونه سناً من الفتيان، فيتلقى أجوبة بعيدة عن الصواب، ربما تفتح عليه أبواباً يحسن غلقها. والصواب أن نقدم

الإجابة للطفل ببساطة وسلاسة، ودون انفعال أو إيحاءات، فلا نقول: حين تكبر سوف تعرف، أو: لا تسأل مثل هذا السؤال، إنك سيء الأدب، قليل التهذيب!

ومادام الطفل قد سأل، فلابد له من إجابة تقنعه، وترضي فضوله، وتكفيه.

ثانياً: لا يجوز الكذب على الطفل، لأنه يصدق ببساطة كل ما يقال له، فهو يرى الأبوين مصدر المعرفة الكاملة، والحجة في كل أمر. فلا نقول مثلاً: إن الأطباء هم الذين يجلبون لنا الأطفال، ولا نقول: إن طائراً يأتي بالأطفال، ولا أنهم ينبتون من الأرض كالأشجار.

ثالثاً: لا ينبغي أن نفصل في الإجابة، ولا نُسهب في الشرح بما لا يفهم الطفل، ولا يريد، وبما ليس من الخير الحديث إليه عنه. فلا نذكر المبيض والنطف والأعضاء التناسلية والوقاع، بل يكون حالنا كالحال في السؤال: من أين يأتي الخبز؟ مثلاً فليس من الضروري أن ننفق نصف ساعة في الحديث عن مقدار الخميرة، وشدة النار، ومقدار الطحين والملح، ومولد الكهرباء، والمطحن وعمله.. بل يكفي أن نشير إلى الأصول الأولية: كالقمح الذي ينبته الله سبحانه نباتاً في الحقل بعد أن يبذره الفلاح، ثم يُحْصَدُ عند نضجه فيصير دقيقاً، ويضاف إليه الخميرة والماء لصنع العجين، ثم يُبط، ويدخل الفرن لتنضجه النار.

كيس في بطن الأم!

حين يكون الطفل صغيراً جداً، في الثانية من عمره، ويطرح هذا السؤال، نجيب عليه بما يلي: «إن الطفل يكون صغيراً في أول عمره، عاجزاً عن الرقاد في السرير، ولا يستطيع أن يتغطى بنفسه، يسهل عليها الاعتناء ببقية أفراد الأسرة ورعاية الإخوة الآخرين، وبدلاً من أن تكون مضطرة كل خمس دقائق لتفقده في مهده. وقد جعل الله سبحانه للأم كيساً في بطنها لكي تضع فيه الطفل، وليس للأب مثل هذا الكيس. ألم تر إلى حيوان (الكنجارو)؟ إن الله جعل له كيساً على بطنه يحمل فيه صغاره، كذلك جعل الله للأم مثل هذا الكيس، ولكن داخل بطنها».

أما إن كان الطفل في الرابعة من عمره فما فوق، فنقول له في بساطة وهدوء مع ابتسامة لطيفة ولمسة حانية: «حسناً إنك سألت هذا السؤال، أنا كنت أريد أن أخبرك عن ذلك، إن الطفل يأتي من داخل بطن أمه، لأن الله سبحانه وتعالى يخلقه هناك، وعندما ينمو ويستعد للخروج يخرج».

ويحسن هنا أن نقيم مع الطفل حواراً، فنقول: عرفنا أن الله يخلق الطفل في بطن الأم، فلماذا يخلق الله الأطفال؟ ومن الطبيعي أن يعجز الطفل عن الإجابة، ولكن لندعه يحاول، ثم نقول: انظر! إن الله خلق الأطفال لكي يكبروا ويصيروا رجالاً ونساء مثلي ومثل أمك، حتى نعبد الله سبحانه وتعالى. ثم نقول: ألا تراني أصلي خمس صلوات في المسجد كل يوم، وأصلي في البيت أيضاً، وأقرأ كل يوم ما تيسر من القرآن الكريم؟ انظر إلى المصحف إن كلام الله تعالى، أنزل به جبريل كبير الملائكة على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليبلغه للناس.. وهنا ينتقل الحديث إلى جبريل عليه السلام والملائكة ووظائفهم.. واعتكاف النبي، صلى الله عليه وسلم، في غار حراء، وبداية نزول الوحي.. إلخ.

سؤال وراء سؤال

ففضول الأطفال لا يقف عند هذا الحد، فلا يلبث طفلك أن يخرج عليك بسؤال آخر فلا تتبرم به، ولا تسأم من تكرار السؤال عينه أكثر من مرة. أعطه دائماً الإجابة عينها، وعلمه ووجهه إلى ما تريد، كالمعلم الناجح الذي يأخذ بيد تلاميذه لكي يصلوا بأنفسهم إلى ما يريد.

ومن هذه الأسئلة التي يمكن أن يطرحها الأطفال:

- من الذي وضع الطفل في بطن أمي؟

لا نستطيع أن نقول: إن أباك هو الذي وضعه هناك، لأن الطفل سيستمر في السؤال: وكيف وضعه؟ ولا تنتهي أسئلته، ونحن لا نريد ذلك، فلا نقول كلاماً يؤدي إلى سؤال لا نريده، بل نقول له بداية: إن الله هو الذي وضع الطفل في بطن أمك، والله سبحانه قادر على أن يفعل كل شيء يريده.. وبهذا نعلِّمه أن الله هو الذي خلقنا جميعاً بقدرته، ورزقنا الجوارح والحواس والأجساد، فيجب علينا أن نحافظ عليها، ونصونها عن الشر، فلا نضرب بيدنا أحداً، ولا نشتم بلساننا الناس ولا نكذب..

- وكيف يخلق الله الطفل في بطن أمي؟

الإجابة ببساطة هي: كما يخلق الله الكتكوت في البيضة، ولابد أنك رأيت كتكوتاً وهو يخرج من البيضة.

- هل في بطن أمي مهد ينام الطفل عليه؟

الإجابة: إن الله خلق في بطن أمك تجويفاً صغيراً يحتوي الطفل بداخله، ويتيح له الرقاد براحة وهدوء، وهذا التجويف هو مخبأ مستتر لكي يسلم الطفل من البرد ويسمى (الرحم)، وهو يحميه مثلما يحمي العش العصافير، ألم تر إلى العصافير الصغيرة ترقد في أعشاشها ألم تشاهد ذلك في كتابك المصور؟

- ألا يختنق الطفل داخل البطن؟

الجواب: لا يختنق لأنه ينمو داخل الرحم متغذياً من دم أمه، فهو قطعة من الأم، تمده بالغذاء والهواء ●

همسات في السرائر...

بقلم: ميسون صافي

إن مصاعب الحياة التي تمر بها.. وازدياد المشاغل التي كثيراً ما نشتكي منها.. وتكالب الشياطين علينا.. من حولنا ومن الخارج على السواء.. وفوق هذا ثقل الأمانة التي أكرمنا بها المولى بعد أن أبت حملها السماوات والأرض والجبال!.. كل هذا يوجب علينا – أخت الإسلام – أن نتعاون على الخير.. وأن يأخذ بعضنا بيد بعض.. وأن نتناصح.. فالدين النصيحة.. وخير النصيحة ما كان في السرّ.. فلقد أتيت هنا لأسرّ إليك بهذه الهمسات عسى الله أن ينفعنا بها جميعاً.

إن المسار الذي نتخذه في حياتنا نابع من طبيعة الهدف الذي نعيش له.. فمن عاش لشهواته كان دأبه جمع المال ليمكنه من تحصيل أكبر قدر من المتع الدانية.. ومن كان همها استثمار ما وهبها المولى من جمال راحت تهتم بعالم الأزياء وأدوات التجميل!.. ثم مضت تعرض بضاعتها حسبما يزين لها الشياطين!

ولأننا – أخت الإسلام – قد اتفقنا من البداية أن هدفنا، هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.. فإننا بالتأكيد سوف نستشير كتاب الله وسنّة نبيه الكريم وسيرة آبائنا من السلف الصالح.. في النهج الذي سنسلكه لنضمن أننا من أهل الرضى وأن النهاية ستأتي – بإذن الله – كما نحب ونتمنى!

نعلم أن تربية الأبناء هي من أسمى الغايات إن لم تكن الغاية الأولى للمرأة المسلمة.. ولكن من منا حدد تماماً على أي شيء نربي الأبناء؟! لقد قالوا: نربيهم على طاعة الله ورسوله.. وعلى بر الوالدين.. وحسن الخلق.. حسناً.. ولكن!. دعونا نتعاون في تفكير أكثر تحديداً! بل دعوني أتساءل: من منا لديها العزيمة أن تتقرب إلى الله – بعد الصلاة والصيام – بتفوق أبنائها العلمي؟!.. التفوق الذي يجعل الناس يقولون بافتخار: أنظروا هاهي ابنة الإسلام لا يشق لها في العلم والتفوق غبار؟!

وصدقوني إن نتيجة التفوق تستأهل ما يبذل لها من جهد.. ولكن لأنها غاية فيها صعوبة ولا تظهر نتيجتها فوراً

أمـام الناس فـإن المسلمـة تزهد فيها!.. تزهد فيها لتترك لبنات غير المسلمين أن يتفوقن وأن يكُنّ عالمات طبيبات أو.. أو..أو.. ولنجد بناتنا – في المحصلة – تُرضعن لبان العلم – والخلق والعادات والسلوك أيضاً! من تلك المدرسة التي لا تتقي الله في نفسـهـا ولا في بناتنا!.. لماذا؟.. لأن أختنا المسلمـة زهدت في نتـيـجـة التـفـوق لصـعـوبتـهـا.. ناسـيـة أن أعداءنا ما تغلبوا علينا إلا بالتفوق العلمي!.

ولعلي لا أبتـعـد كـثـيـراً عن هذا لأجعل همستي الأخرى تهتم بالوقت في حياة المسلمة.. وأعنى بالتحديد الأخت المسلمـة التي تجـاوزت في نشاطها هموم المطبخ والزينة وشكل أثاث البـيـت.. فـإلى هذه المسلمـة تحديداً أتقدم بـهمـتسي ولتعذرني الأخريات!

(لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:... وعن عمره فـيـمـا أفناه!) ويالله كم أهمني هذا الحديث الشريف الصادر عن رسول الله الكريم!.. ويالله كم أرهبني مـا فـيه في وعيد بالسؤال لدرجة أني صرت أتحسب من اللحظة أن أنفقها في غـيـر طاعة على سـعـة مـعنى الطاعة الذي أعني!.. وزادني تخوفاً قول ذلك الرجل الصالح وهو يوصي أحد أتباعه: (اقرأ القرآن.. أو أذكر الله.. أو طالع.. ولا تنفق وقـتـك إلا في خـيـر).. حـتى وضـعـت لنفـسي شـعـاراً حـروفـه من نور (.. لا تنفق وقتك إلا في خير)..!.

إن التي في برنامـجـهـا اليـومي تبادل الأحاديث الهاتفية مع الجارات للوقـوع على آخر الأخبار!.. هذه لا تنفق وقتها في خير!.. والتي تصرف أمام المرآة وقتاً أكثر مما تسمح به الفطرة السليمة.. لا تنفق وقتها في خـيـر!. والتي تتـبـادل الأدوار مع زوجـهـا فـهـو يتـابـع أحداث الفـيلم الأثير لديه وهي تتابع آخر منتجات السوق المركزي!.. هذه لا تنفق وقتها في خير!.

ولعلي بك تسـألين إذا كـيـف؟.. وأخشى!.. أخشى إن أنا أجبتك أن أفرض عليك برنامجاً يصلح لي وقد لا يصلح بالضـــرورة لك!.. ولكن تعالي – أخت الإسلام – نتعاون في وضع خطوط عريضـة لما يصلح أن يكون استثماراً طيبا للوقت:

المسار الذي نتخذه في حياتنا نابع من طبيعة الهدف الذي نعيش له.

– قـراءة قسط مـحـدد من القرآن يجب أن يكون هاجـسـاً يومـيـاً لنا نحس بالضيق لو خالفناه..

– التـدرب على النوافل بقـدر مـا نسـتطيع.. وأقـول التـدرب قـاصـدة تماماً هذا المعنى..

– مطالعة في كتاب طيب أو مجلة طيّبة.. وما أوفر المجلات ذات الأريج الطيب من حولنا..

– عـيـادة مـريض.. السـؤال عن مــحـزون.. الأطمـئـنان على أخت مشغولة بامتحان ابنها أو ابنتها..

– جلسـة سـمـر.. لا مـع الجـارات.. ولا في الأمـاكـن العـامـة.. ولكن في البـــيـت!.. مع الزوج والأولاد.. إن تحضير (طرفة) نستقبل بها الأبناء بعد المدرسة لهي عمل فيه من البناء – ورب الكعـبـة – الشيء العظيم.. كما أن تفكر ساعة لاختيار قصة ذات عبرة ترويها على مائدة الغداء لهي أكـبـر دليل على قـدرتك على الإبداع والتـمـيز والتـأثـيـر.. وهكذا وهكذا.

أن يقال – أختي المسلمة – إننا لا نصلح إلا للطبخ والغـســيـل و.. النوم.. إن هذه المقولة أضحت اليوم – نظراً لما يمر بنا من كيد وتخطيط شيطاني – عيباً كبيراً في حقنا.. عيب كبير أن لنا أن نرفضه وندفعه عنا.. ولكن كيف؟!.. هذا ما سأتركه لحكمتك التي أثق بهـا.. وقـبل أن أنسى أود أن أهمس لك بما حـصل معي أمس.. فقد جابهتني ابنة أختي بحـقـيـقـة أخـافـتني بعض الشيء.. فعندما نبهتها إلى أن متابعة برامج الأطفال يستغرق لديها أكثر مما هو مـسـمـوح، قـالت لي: والماما؟!.. ثم سكتت.. ولم أسألها ما بها الماما!.. لأنني فـهمت ما عنت.. وخفت بعض الشيء مما عنت!..

أن نقول لأبنائنا أفعل أو لا تفعل فـهذا من أبسط الأشياء.. وقد يكون من أمتع الأشياء أيضاً.. ولكننا لن تنتهي مسـؤوليتنا بالتـأكيد – أمام ضـمـائرنا وأمـام الله العليم – إذا اكتفينا بهذا.. بل إننا لن نجد ثمرة لما نقول لمجرد أن نقول.. وما أكثر من تـأخـذهـا الحـيـرة لأن أبنـاءها لا يستجيبون وبالسرعة المأمولة لكل ما تمليه عليهم!.. تأخذها الحيرة بعد أن تاه عنها السبب الرئيس لذلك.

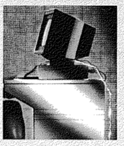
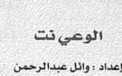
إنه القـدوة الصــالحــة أخــتـي المسلمـة.. صـعـبـة ولا شك.. ولكن درهم قـدوة خـيـر من قنطار كـلام.. صـدقـيني.. صـدقـيني وأذكري أن هذه الهمسات ما سافرت من بلدها لتقطع كل هذه المسافات الشاسعة إلا لتنسكب في سريرة من شـمـرت عن سـاعـد الجـد ورفـضـت دأب الأخريات من اللواتي يتمنين ويكتفين بالأمنيات!

إن النفس – كل نفس أخـتـاه – تحب الراحـة وتهـفـو إلى الدعـة.. وتود لو تأتيـهـا الرغائب على طبق من الاسترخاء والأماني فحسب.. ولعمري فـإن «العاجـز من أعطى نفـســه هو اهـا.. وتمنى على الله الأمـانـي».. كـمـا قـال الحـبـيـب المصطفى.. ولأن النفس هكذا في طبعـها فقد هيأ الله سبحانه في كل أمــة عــلامــات بارزات من الرجـال والنسـاء تكون قـدوة – أو لنقل – منارة لمن يراها.. فـمـا أروعنـا – أخت الإسـلام – أن نكون إحـدى هذه المنارات التي يراها كل واحـد أويهـتـدي بنورها من أذن لها الله بذلك.

إن القيام بهمة قبل شروق الشمس خـيـر وأعظم أثراً في نفـوس الأبناء من مـحاضـرة عن «بورك لأمتي في بكورها»! والجلد على العبادة وعند تنفيذ الواجبات اليومية – والبنت ترقبنا باهتمام – أجدى من الصياح والهـيـاج والتـشكي من أن أبناءنا «يفتقدون النشاط الذي كنا عليه في صـغـرنا!».. ولن أتردد أن أضـحـك مــعك من ذلك الذي ينصح أولاده بالابـتـعـاد عن «التـدخين» بل يأمـرهم بذلك ويشير بسبابته مهدداً محذراً.. بينما السبابة نفسها تحمل لفافة تبغ مشتعلة!

أعلم أن المســألة لا تنـقـــاد لنا بصـفـحـة من مـقال.. وأن الهـمـسـة الواحـدة لن تكفي لتـجـعل منا قـدوة لغـيـرنا أو لأبنائنا على الأقل.. ولكن المقالة تشير.. والهمسة تنتبه.. وتقول لك أختي المسلمة إن للقدوة الصالحة أثراً بالغ الأهمـيـة.. كـمـا أن القـدوة السيئة أخطر من ألف كتاب أو فيلم أو صـورة فـي مـجلة شـيطان!.. ولا أبتعد كثيراً عما بدأت إذا أكدت على الحـذر من أصـدقـاء وصـديـقـات السوء.. فكم من ولد أو بنت غفل عنه أو عنهـا أبواه جرّه أوجرتها قـرناء السوء إلى حيث نفقد السيطرة عليهم وعليهن لا سمح الله.

فتعـالى – أختي المسلمـة – تعال نتــدرب – أجل نتــدرب – لنكون القـدوة الصـالحـة لكل من حـولنا.. والريحـانة الفـواحـة عـبـيراً وتقـوى وصـلاحـاً أيضـاً.. في الحركة التي تصدر عنا.. في الكلمة التي نقولها.. في الموقف والسلوك الطيب والخلق الحسن.. وتأكدي.. تأكدي أختاه أن الثمرة الحلوة التي سنحصل عليها تستأهل الجهد المبذول فيها.. كما أن عكس ذلك سيكون عاقبته وخيمة – صــدقــيـني – علينـا.. وعلينـا أجمعين!

الوعي نت

إعداد : وائل عبدالرحمن

مركز عالمي للمعلومات على شبكة الإنترنت تحت إشراف مكتبة الأزهر

تسعى مكتبة الأزهر الشريف التابعة لجامع الأزهر في القاهرة لإقامة مركز عالمي للمعلومات على شبكة الإنترنت والذي يعد أكبر ثالث مشروع من نوعه بعد مكتبة الكونغرس والفاتيكان، ويمكن الاطلاع من خلاله على أقدم وأندر المخطوطات الإسلامية والتعرف إلى الثقافة والتراث الإسلاميين، ومن ثمَّ إلى كل الموضوعات الإسلامية التي تثير اهتمام المسلمين عموماً مثل الفتاوى والفقه وتوجيه الردود على الأسئلة الدينية لدى مرتادي الموقع.

ويبدأ تشغيل الموقع الإلكتروني في أبريل المقبل، انطلاقاً من القاهرة ودبي ولندن وواشنطن، وتقدر كلفته بخمسة ملايين دولار، ويتم تمويله وإدارته من قِبَل الشركة التي يملكها الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وسيعتمد المشروع على استخدام التكنولوجيا الرقمية في إعداد ٤٢ ألف مخطوط إسلامي يرجع تاريخها إلى قرابة ١٤٠٠ عام، تمهيداً لإعادة إصدارها.

يذكر أن مكتبة الأزهر التي أسست في القرن التاسع عشر، تضم مجموعة ضخمة من أمات كتب التراث الإسلامي ●

موقع لعرض الكتب العربية الجديدة على شبكة الإنترنت

ثمرات المطابع، هو اسم أول موقع على شبكة الإنترنت يهتم بعرض الكتب العربية الجديدة، عنوانه: www.thamarat.com

الموقع يتضمن قراءات علمية لكتب، وعرضاً موجزاً لأفكار الكتب والرسائل الجامعية والأخبار الثقافية وأخبار معارض الكتاب، ويتميز بأنه يختص في متابعة الكتب الجديدة في العالم العربي والتعريف بها.

ويقول محمود صابر مسؤول التسويق والدعاية بالقاهرة: يدير الموقع مركز المصادر للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية وفروعه بالقاهرة وبيروت والدار البيضاء والجزائر، وهو مركز بحثي توثيقي يقدم خدمات للمراكز العلمية والباحثين وطلاب العلم من خلال تواصله مع الجامعات والمراكز البحثية ومتابعة يومية للكتب التي تصدر في جميع الأنحاء.

الموقع يجري تحديثه مرتين يومياً ويتابع ما يصدر يومياً من كتب جديدة في العالم العربي، فيعرض معلومات الطبع الأولية عن كل كتاب مجاناً، وتتضمن: اسم الكتاب والمؤلف والناشر وتاريخ الطبع وعدد الصفحات إلى جانب صورة الغلاف، وسائر المعلومات الورقية المعروفة بالضبط البيلوغرافي، إضافة إلى تصنيف الكتاب ومقاسه ونوع تجليده وسعره ورقم الطبعة.

أما الاشتراك فيوفر بيانات عن النسخ المختلفة، إذا كان الكتاب مخطوطاً وبيان أصل الكتاب إذا كان قد ظهر بصورة أخرى قبل أن يكون كتاباً مطبوعاً، وتعريفاً إجمالياً بالكتاب يشتمل على بيان موضوعه الأساسي وأبرز موضوعاته الفرعية وطريقة عرضه ومقاصده وأهم نتائجه إن وجدت، والإشارة إلى ملاحظات نقدية على بعض الكتب أو عقد موازنات بين بعض الكتب وأخرى في الموضوع نفسه، أو بين طبعات متعددة لكتاب واحد.

كما يتيح محرك البحث الخاص بالموقع، البحث عن كتاب بعينه سواء بجزء من اسم الكتاب أو بالموضوع أو باسم المؤلف أو باسم المحقق أو المترجم أو باسم الناشر أو بتاريخ الإصدار أو بتصنيف الكتاب. وتقدم زوايا الموقع الأخرى أخباراً عن أهم المناسبات والمعارض الثقافية وأخبار الرسائل الجامعية وبيانات بالكتب التي هي قيد الطبع وستنشر قريباً، وأخبار الدوريات الجديدة وما نشر فيها، وزاوية خاصة بدور النشر خاصة بالناشرين ليتم التواصل معهم، أما سجل الزوار ففيه آراء الزوار حول عمل الموقع وخدماته وانطباعاتهم عنه ●

مكتبة تحتوي على أكثر من ١٤٠٠ من لغات العالم على CD

يعكف فريق من العلماء والمهندسين على تصميم لوحة رخامية حديثة ستحفظ أكثر من ١٤٠٠ لغة من سبعة آلاف لغة في العالم على قرص من النيكل لا يزيد قطره على ثلاث بوصات ويهدف هذا المشروع إلى حفظ أرشيف شبكة دائمة للغات العالم المختلفة والتي من المحتمل أن ينقرض منها ما بين ٥٠ إلى ٩٠٪ بحلول القرن المقبل، وسيحتوي الأرشيف على ما يعتبر أكبر قاعدة بيانات للمفردات بالعالم، إذ ستضم مفردات من نحو ١٤٤٥ لغة درستها المجموعة، وفي هذا الإطار طورت إحدى الشركات العالمية، قرص تخزين عالي الكثافة يشكل «ميكرو سكوبي» والذي تمتد فترة خدمته إلى نحو ٢٠٠٠ سنة، وذلك لضمان الحفاظ على الأرشيف أطول فترة ممكنة ●

www.medibuy.com

يساعدنا في التعرف على أحدث الأجهزة الطبية والأسعار الحالية لها وتجهيز المراكز الطبية بالأجهزة.

http://www.ama-assn.org

خاص بالجمعية الطبية الأميركية التي تسمّى ama وبه معلومات عامة وموارد تشمل الأرشيف البحثي ومكان الدكتور بالاسم والتخصص والمكان.

http://www.emedicine.

يمكن من خلاله الدخول المجاني على النصوص الكاملة للعديد من المعلومات الطبية، والكتب الطبية البيطرية، وهذا الموقع مفيد للأطباء المحترفين وللعامة أيضاً.

kuwaitboom.com/ antique

موقع كويتي يهتم بالتاريخ يحتوي على مجموعة أقسام منها القسم المتخصص بالتحف والقطع النادرة، سواء كانت مطبوعات أو آلات قديمة أو مجوهرات أو ساعات كما يحتوي على قسم التاريخ الكويتي القديم الذي يقدم مرجعاً غنياً بالمعلومات.

http:/www.odci.gov/cia/publications/chiefs/ index.html

هذا الموقع يقدم الإجابة عن أي دولة في العالم، كما يزودك بأسماء أعضاء الطاقم الوزاري بجميع الدول، ومع التقلبات الرئاسية والحكومية المتسارعة في العالم، فإن القائمين على هذا الموقع يحدثونه باستمرار، وهذا بالفعل أفضل ما فيه.

www.mothhel.net

موقع تعليمي جديد متخصص ببرنامج «فوتوشوب» الشهير الذي يستخدم لتصاميم الصور والرسوم بوساطة الكمبيوتر ويحتوي الموقع على مجموعة من الأقسام منها القسم المتخصص للدروس التعليمية وقسم المعرض الذي يحتوي على مجموعة كبيرة من الرسوم التي تخدم المهتمين بهذا المجال، كما يمكن أن يشارك أي مستخدم بعرض صوره الخاصة بالعرض هذا، ويحتوي الموقع على منتدى خاصاً للمهتمين بمجال التصاميم والجرافيكس حيث يمكنهم تبادل الخبرات والأدوات.

كيف تحمي بريدك من القنابل البريدية؟

من أجل تحصين بريدك وحمايته من القنابل البريدية اتبع ما يلي:

١ ـ ادخل إلى بريدك في الهوتميل.

٢ ـ اذهب إلى قائمة Options.

٣ ـ بعد دخولك في قائمة Options اذهب إلى قائمة Junk Mail Filter.

٤ ـ سوف تجد خيارات عدة، والخيارات هي Exclusive, High, Low, Off قم باختيار Low.

٥ ـ اضغط على زر «الأوكي» لحفظ التغيرات، سوف تلاحظ وجود ملف جديد في قائمة الملفات في البريد اسمه Junk Mail على اليسار.

وهو لحماية بريدك بطريقة محصنة وجيدة، فأي قنبلة بريدية تستهدف بريدك، ستذهب إلى ذلك الملف.

من أخبار الإنترنت

- كشفت شركة صخر لبرامج الحاسب النقاب عن تحقيق معدلات نمو كبير في استخدام برنامج «إبصار»، في دولة الإمارات العربية المتحدة، جاء ذلك ضمن مراجعة أجراها فرع الشركة، في مدينة دبي للإنترنت، لإنجازات هذا البرنامج خلال العام المنصرم، والتي توجت بنيل الشركة لجائزة تقديرية، قام بتسليمها الشيخ صقر بن محمد بن خالد القاسمي، رئيس مجلس إدارة جمعية الإمارات لرعاية المكفوفين.
- أزال موقع الكتروني تابع للحزب الجمهوري بمقاطعة جيلفرد بولاية نورث كالورينا الأميركية وصلة لموقع يسيء للإسلام كانت موجودة على صفحاته، كما نشر اعتذاراً على نشر الموقع المسيء، وذلك بعد حملة اتصالات نظمها مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية «كير» وشارك فيها المئات من مسانديه في أواخر شهر ديسمبر الماضي.
- تتابع ثورة الإنترنت تقدمها وإنجازاتها فبعد أنظمة التجارة والعمل والتعليم عن بعد يأتي دور الكتاب عن بعد في محاولة هي الأولى من نوعها لتعميم الثقافة مجاناً على الجميع أطفالاً ومراهقين وبالغين، والخطوة الأولى في هذا السبيل بدأت بإطلاق مشروع المكتبة الإلكترونية العالمية للأطفال والتي من المقرر لها أن تطيح بمعظم وسائل المعرفة التقليدية السائدة في عالم الصغار بما فيها الرسوم المتحركة واستبدالها بالكتاب الإلكتروني.
- نجح طالب سعودي في إنشاء موقع له على الإنترنت يحمل اسم الصقور العربية وقد نال هذا الموقع المركز الأول في المقهى العربي واختير ضمن أفضل مئة موقع عربي من قبل زوارة الشبكة.
- أظهرت إحصائية حديثة أن استخدام الإنترنت يزدهر في جميع أنحاء العالم على عكس التراجع الاقتصادي العالمي والأزمة التي تشهدها صناعة تكنولوجيا المعلومات، وتوقفت وكالة الأمم المتحدة للتنمية والتجارة في تقريرها السنوي أن عدد مستخدمي الإنترنت المسجلين بلغ ٦٥٥ مليون شخص في نهاية العام ٢٠٠٢م بزيادة سنوية بنسبة ٣٠٪.

نافذة على العالم

«العالم الإسلامي» يشيد بتفاعل المعتدلين الغربيين مع الإسلام

أشاد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بتفاعل القيادات الثقافية في الغرب مع دعوات الرابطة والمؤسسات الإسلامية للتعرف إلى حقيقة الإسلام من مصادره الأصلية.

وقال التركي: إن بعض الأكاديميين المعتدلين في الجامعات الغربية والمتخصصين في مراكز البحث أصدروا دراسات جديدة أكدوا فيها تسامح المسلمين وفنَّدوا المزاعم التي تضمنتها الحملات الإعلامية على الإسلام بشأن العلاقة بين الإسلام والغرب، معتبرين أن الإسلامي يتضمن قيماً إنسانية وتعاليم سمحة.

وأعرب عن تفاؤله بتفهم بعض الغربيين للإسلام... مشيداً بجهود بعض القيادات الثقافية الغربية في الرد على نظرية «صموئيل هنتنغتون» حول صراع الحضارات ●

الأمير تشارلز: نحن بحاجة للاطلاع على الإسلام

دعا الأمير تشارلز إلى مزيد من الاطلاع على الإسلام، مشيراً إلى «أننا بحاجة إلى ذلك أكثر من أي وقت مضى»، وذلك في خطاب ألقاه في معهد إسلامي في «ليسسترشاير» «وسط إنكلترا». وقال «أمير ويلز» في معهد «ماركفيلد» للدراسات العليا: إن «الحاجة إلى مزيد من الاطلاع على الإسلام لم تكن في أي يوم على ما هي عليه الآن من أهمية».

وتحدث الأمير مع صاحبة أحد المكاتب واسمها أمنة بنت إسماعيل، ٢٦ عاماً، حول الخط العربي وشاهد ما لديها من صور عن الهندسة الإسلامية واستمع إلى أطفال مدرسة الأقصى الابتدائية يغنون أغان تقليدية. ويشعر قسم كبير من المسلمين البريطانيين بالغضب منذ عملية المداهمة التي شنتها شرطة مكافحة الإرهاب على جامع «فينسبوري بارك» في شمال لندن ●

أسوأ ٢٠ مكاناً يتمنى الأطفال لو لم يولدوا فيها

ذكر صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» في تقرير عن أسوأ الأماكن في العالم التي يمكن للأطفال أن ينموا فيها، أن أنغولا هي الأسوأ، إذ شهدت حرباً أهلية استمرت ٣٠ عاماً.

وخلال الأعوام الـ٣٠ الماضية، انهار النظام التعليمي والصحي في البلد الذي كان يعاني طوال كل تلك الفترة من نقص حاد في الغذاء، واضطر عدد كبير من السكان إلى هجرة منازلهم بسبب الحرب ليعيشوا في مخيمات غالباً ما كانت تنتشر فيها الأمراض.

الدول الـ١٩ الأخرى التي وصفها تقرير «يونيسيف» بأنها سيئة للأطفال إضافة إلى أنغولا، هي على التوالي: سيراليون، وأفغانستان، والصومال، وأثيوبيا، وغينيا بيساو، والنيجر، والكونغو الديموقراطية، وبوروندي، وإريتريا، وليبريا، ورواندا، وغينيا، وتشاد، ومالي، وموزمبيق، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وبوركينا فاسو، وكمبوديا، والسودان ●

مفتي مسلمي أستراليا: ٣ آلاف دخلوا الإسلام في عام واحد

ذكر فضيلة الشيخ «تاج الدين الهلالي» مفتي مسلمي أستراليا: أن المقتنعين بالدين الإسلامي يتزايدون في أستراليا يوماً بعد يوم حتى بعد أحداث ١١ سبتمبر، فالذين دخلوا الإسلام في أستراليا العام ٢٠٠٢م قرابة ٣ آلاف شخص منهم ألفان من السيدات وإحصائية العام ٢٠٠٢م تفيد بأن عدد المسلمين داخل أستراليا يصل إلى ٤٠٠ ألف مسلم ومسلمة.

وقال «الشيخ الهلالي»: إن المسلمين في أستراليا يجدون بعض المضايقات بعد أحداث ١١ سبتمبر، إلا أن هذا لا يؤثر على تصميم المسلمين على أداء واجباتهم الدينية في تبليغ رسالة الإسلام، قمنا العام الماضي، والحمد لله، ببناء ٩ مساجد في أستراليا بالجهود الذاتية وبموافقة الجهات الحكومية المختصة، وإن كنا وجدنا بعض الصعوبات في استخراج تصاريح بناء المساجد إلا أننا لابد أن نصبر ونحتسب ●

المجلس الإسلامي الأمريكي يدعو مرشحي الرئاسة للحوار

دعا المجلس الإسلامي الأميركي خمسة من أعضاء الحزب الديمقراطي الذين أعربوا عن رغبتهم في الترشيح لمنصب رئيس الولايات المتحدة في الانتخابات المقرر إجراؤها في نوفمبر ٢٠٠٤م إلى الحوار مع زعماء الجالية الإسلامية في أميركا حول مختلف القضايا المحلية.

وأعرب المدير العام للمجلس «أريك عرفات فيكرز» في رسائل لمرشحي الحزب الخمسة عن أمله في أن يعوا مدى ما يتطلبه هذا المنصب المهم من مؤهلات قيادية خاصة في عالم ما بعد أحداث ١١ سبتمبر، مشيراً إلى أن المسلمين في الولايات المتحدة الذين يصل عددهم إلى سبعة ملايين قد انخرطوا بصورة أكثر نشاطاً في الحياة السياسية والمدنية الأميركية، حيث أقبلوا على انتخابات الرئاسة للعام ٢٠٠٠م بصورة غير مسبوقة. وقال المدير العام للمجلس الإسلامي الأميركي: إن الحرب على الإرهاب وتداعياتها قد ساعدت في تسليط الضوء على التوجهات السياسية للمسلمين الأميركيين، وهو ما يحدونا إلى دعوتكم لترتيب لقاءات غير رسمية لبحث ترشيحكم والقضايا التي تخص المسلمين الأميركيين ●

الأمم المتحدة: العالم العربي يتقدم ببطء نحو العولمة الاقتصادية

قالت لجنة تابعة للأمم المتحدة: إن العالم العربي يتحرك ببطء شديد صوب التكامل مع الاقتصاد العالمي متخلفاً بمسافة طويلة عن مناطق أخرى من حيث نصيبه من التجارة العالمية واستخدام الكومبيوتر والسياحة، وقالت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة أن الدول العربية التي تضم ٤,٧٪ من سكان العالم لا تمثل اقتصاداتها سوى اثنين في المئة من إجمالي السلع والخدمات العالمية و٣,٢ في المئة من الصادرات العالمية و١,٤ من إجمالي الواردات العالمية.

وقالت اللجنة في تقريرها السنوي عن العولمة والتكامل الإقليمي: إن هناك نحو خمسة ملايين كومبيوتر شخصي في الدول العربية لكنها لا تمثل سوى واحد في المئة من الإجمالي العالمي، وقال واضعو التقرير: إنهم اعتمدوا أساساً على بيانات العام ٢٠٠١م وهي أحدث بيانات أمكنهم الحصول عليها في معظم المجالات.

وقال نظام عبدالله الاقتصادي البارز باللجنة: إنه في حين زار الدول العربية نحو ٣٣ مليون سائح في العام ٢٠٠١م أي ما يمثل ٤,٨ في المئة من إجمالي عدد السياح في العالم إلا أن أعداد الزائرين من خارج المنطقة انخفض بشدة بعد هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة، لكنه أضاف أن المنطقة شهدت زيادة في السياحة الإقليمية، فارتفع على سبيل المثال عدد السياح الخليجيين الذين يزورون لبنان ليحقق لبنان أفضل موسم سياحي له على الإطلاق في العام ٢٠٠٢م ●

انخفاض اليهود بنسبة ٣٪ في العالم

أشارت دراسات ومسوحات كثيرة إلى أن عدد اليهود في العالم قد انخفض بنسبة ٣٪ مقارنة بالمعطيات التي نشرت في السنة الماضية، وكان قد طرأ ارتفاع بنسبة ٢٪ فقط على عدد اليهود في العالم منذ العام ١٩٧٠م في حين ازداد عدد سكان العالم في الفترة نفسها بنسبة ٦٪ ويقدر عدد اليهود في العالم اليوم بـ«١٢,٩» مليون، ويعرب الكثير من الباحثين عن قلق خاص حول مستقبل اليهود في الولايات المتحدة الذي يبلغ ٥,٢ مليون نسمة ويقدر الباحثون أن نسبة الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود في الولايات المتحدة تصل اليوم إلى ٥٠٪، مشيرين إلى أن الظاهرة تسير بصورة تصاعدية، وسجلت نسباً مشابهة من الزواج المختلط في فرنسا وبريطانيا في حين تصل نسبة الزواج المختلط في شرق أوروبا إلى نحو ٨٠٪، حيث تجدر الإشارة إلى أن أغلبية الأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج المختلط لا ينشأون يهوداً، وكشف البحث الذي أجراه البروفيسور «سارجيود لا فارغولا» من الجامعة العبرية في مدينة القدس، أن الجالية اليهودية الكبيرة في فرنسا، والتي يبلغ عددها اليوم نحو نصف مليون شخص، قد تقلصت خلال السنوات الأخيرة بنحو ٢٠ ألف شخص، والجدير ذكره أن نحو ٦٠٠ ألف يهودي يقطنون اليوم في دول الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى ٤٥٠ ألفاً يقيمون في دول الاتحاد السوفييتي سابقاً، وما يزيد على ٤٠٠ ألف يهودي في أميركا اللاتينية، إضافة إلى ٣٥٠ ألف يهودي يعيشون في كندا، وعلى الرغم من أن عدد اليهود في إسرائيل قد ارتفع بنسبة تقرب من ٩٥٪ منذ سنة ١٩٧٠م، إلا نسبة اليهود في إسرائيل ستبلغ في سنة ٢٠٢٠م نحو ٤٧٪ ليصبحوا أقلية تشكل نسبة ٣٧٪ في عام ٢٠٥٠م، وفي حال الفصل بين إسرائيل والضفة الغربية عبر الخط الأخضر، فإن الأغلبية اليهودية ستحافظ على نفسها ولكن بنسبة أقل من النسبة الحالية وهي ٨١٪.

من جانب آخر، يكشف تقرير صادر عن رابطة النساء في إسرائيل عن وضع المرأة في المجتمع الإسرائيلي، إن المجتمع الإسرائيلي لا يزال بعيداً عن مبدأ المساواة بين الرجال والنساء، فأجور النساء أقل وهن ممثلات أقل من الرجال في الكنيسست الإسرائيلي، ويعانين من العنف الجنسي، وتبلغ نسبة مشاركة المرأة في القوة العاملة ٤٨٪ أي أن (١,١) مليون من أصل (٢,٣) مليون امرأة أعمارهن (١٥) سنة فما فوق يعملن في إسرائيل، وتحتل إسرائيل المكانة (٢١) في نسبة مشاركة النساء والرجال في قوة العمل على المستوى العالمي، في الوقت الذي تحتل فيه المكانة (٥٤) من بين (١٢٠) دولة في تمثيل النساء في البرلمان ●

مجلس للتعليم الإسلامي في الهند

تأسس مجلس للتعليم الإسلامي في ولايتي «كارناكا» و«جاو» من قبل الجماعة الإسلامية في الهند، وقد أقيم حفل لذلك حضره المعلمون والطلاب.

ويهدف المجلس إلى تطوير التعليم الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية والقيم الأخلاقية وإدخال العلوم الحديثة في المدارس الإسلامية ●

موجز أخبار

- كشفت إحصاءات وزارة الهجرة الإسبانية أن المهاجرين المغاربة يمثلون أكبر جالية أجنبية في إسبانيا بما مجموعه ٢٨٢ ألف شخص.
- أعلن الأردن أن نسبة الأمية وصلت إلى ١٠,٦٪ بين مواطنيه، وقال وزير التربية والتعليم خالد طوقان: إن بلاده أدركت منذ عقود خلت خطورة مشكلة الأمية وما تسببه من عقبات أمام برامج التنمية.
- دان مجلس مسلمي عموم بريطانيا قيام إحدى الشركات الإسرائيلية المستوردة للخمور بلصق صورة المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة على زجاجات الخمر المستوردة من أوكرانيا، معتبراً أن هذا الإجراء فيه مساس بمشاعر المسلمين في أنحاء العالم كافة، وينطوي على ازدراء واضح لمعتقداتهم.
- أشار تقرير التنمية البشرية إلى تفاوت وفيات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات تفاوتاً كبيراً في البلدان العربية، حيث يتراوح هذا المعدل ما بين ٢٠ وفاة لكل ١٠٠٠ إلى ما يزيد على ١٠٠ وفاة لكل ١٠٠٠ طفل مقارنة بالمعدل العالمي والذي يصل إلى ٧٥ وفاة لكل ١٠٠٠ طفل فيما يشكل تحدياً تنموياً كبيراً بالنسبة للدول العربية وخصوصاً فيما يتعلق بتحقيق ما سماه التقرير بالعدالة في الرعاية الصحية ●




الاقتصاد الإسلامي

إعداد:
معن خليل

استخدام الدينار الذهبي الإسلامي في منتصف العام الحالي

قررت عدد من الدول الإسلامية الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي البدء باستخدام «الدينار الذهبي الإسلامي» وذلك اعتباراً من منتصف العام الحالي... وذلك في المعاملات التجارية الخارجية بدلاً من الدولار الأميركي... في خطوة تهدف إلى جعل الدينار عملة موحدة لتسوية المعاملات التجارية بين الدول الإسلامية في المستقبل... وكانت ماليزيا صاحبة تبني فكرة استخدام «الدينار الإسلامي» كوسيلة دفع بين عدد من الدول الإسلامية في المرحلة الأولى، على أن يتم الالتزام بذلك في المرحلة الثانية في نهاية العام الحالي لدى بقية الدول الأعضاء بالمنظمة.

وتعتبر هذه الخطوة في استخدام الدينار الإسلامي رائدة نظراً لأنها ترتبط بتاريخ المسلمين وتراثهم النقدي وفي الوقت عينه تعكس القدرة على إيجاد عملة إسلامية دائمة ومستقرة بدلاً من الاعتماد على الكثير من العملات المالية، وخصوصاً وحدة العالم الإسلامي لا يمكن تحقيقها إلا بالعمل الاقتصادي الموحد... وسيتبع ذلك قيام سوق إسلامية مشتركة يتم التعامل بها بوساطة «الدينار الإسلامي»، لكي يحل الدينار مستقبلاً محل العملات المالية، ومعروف أن أول دينار ذهبي إسلامي صدر في العام ١٩٩٢م كان على نطاق ضيق بين عدد من الدول الإسلامية، ثم تطورت فكرة الدينار العام ١٩٩٧م لإصدار «الدينار الإلكتروني» وهو نظام تبادل يستعمل فيه الذهب كنقد من خلال معاملات تجرى عبر شبكة الإنترنت، ولا شك أن وجود وحدة نقدية واحدة بين الدول الإسلامية سيزيد من حجم التبادل التجاري بينها... وسيسهم بزيادة النمو الاقتصادي شرط توافر جميع الشروط اللازمة لنجاح إصدار «الدينار الذهبي الإسلامي» في المستقبل ●

الإسلامي الأول يشارك في تملك ٢١ طائرة

أعلن بنك الاستثمار الإسلامي الأول أنه دخل في مشروع مشترك مع «مونتروز أند كومباني انترناشيونال، ال ال سي مونتروز» وهي شركة منتسبة لبنك «أوف أميركا ان ايه»، بحيث تملك أطراف المشروع المشترك حصص إجارة في محفظة تتكون من ٢١ طائرة، بتكلفة قدرها ١٤٢,٩ مليون دولار. وقد تم تأجيرها لشركات طيران عالمية كبرى أو لشركات تابعة لها.

وأوضح في بيان له أن المحفظة تحتوي على مجموعة متنوعة من الطائرات الخفيفة، والطائرات الإقليمية والطائرات التي تعمل بالمحركات المروحية التربينية والتي تم تأجيرها على «بريتش ايروايز واير كناد وبريت اير» وهي شركة تابعة لشركة «إيرفرانس» التي تملكها بالكامل ●

بيت التمويل يطبق نظاماً يمنع العمليات المحظورة

قال مساعد المدير العام للقطاع المصرفي في بيت التمويل الكويتي «بيتك» وائل القطامي «إن بيتك بدأ في الآونة الأخيرة بتشغيل نظام SIDe ـ OFAC «سايد أوفاك» للرقابة على التحويلات المالية الصادرة والواردة لحسابات العملاء عبر السويفت SWIFT ليكون بذلك أول بنك في الخليج يطبق هذا النظام الذي صممته شركة SIDE المملوكة جزئياً من شركة SWIFT.

ويضمن النظام بالدرجة الأولى عدم تنفيذ عمليات تحويل أموال من أو إلى «بيتك» للمدرجة أسماؤهم على قائمة الأشخاص والجهات التي تقوم بعمليات ممنوعة قانوناً مثل غسل الأموال وغيرها» ●

من هنا وهناك

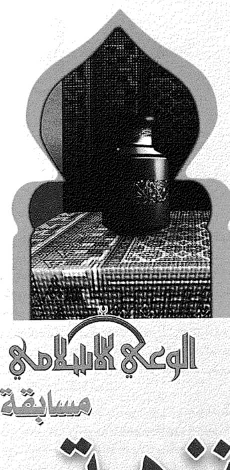
● قال عمدة سوق المال في لندن غافين آرثر: إننا نرحب بالمنتجات المصرفية الإسلامية، إذا حظيت بموافقة سلطة مراقبة العمل المصرفي والمالي في المملكة المتحدة، وأشار إلى أن هناك فروعاً لمصارف وشركات مال إسلامية تتخذ من سوق لندن مواقع عمل لها.

● أعلن بنك الاستثمار الإسلامي الأول أنه قد حقق صافي دخل بمبلغ وقدره ٣٦,٠ مليون دولار أميركي في السنة المالية المنتهية في ٣١ ديسمبر ٢٠٠٢م بزيادة نسبتها ١٠,١٪ عن أرباح السنة الماضية.

● قالت مؤسسة نقد البحرين: إنها ستصدر صكوك تأجير إسلامية قيمتها ٨٠ مليون دولار في نهاية شهر فبراير الماضي ضمن جهود البحرين لتعزيز مركزها كمركز مالي للبنوك الإسلامية.

● اكد وكيل وزارة المالية الايطالي جوسبي فيجاس استعداد رجال الأمن والمصارف الايطالية لتطبيق ضوابط الشريعة الاسلامية بهدف اقامة مشاريع ايطالية في الكويت.

● تلقت إدارة سوق الكويت للأوراق المالية طلباً من شركة الاستثمارات الوطنية لتقديم خدمات المرابحة الإسلامية عن طريق البورصة خلال فترة التداول ●







أسماء الفائزين في المسابقة رقم (٢)

شارك في مسابقة نزهة العقول رقم (٢) المنشورة في مجلة الوعي الإسلامي العدد رقم ٤٤٤ شهر شعبان ١٤٢٣هـ ١٢٨١ مشاركاً، ونتيجة إجراء القرعة بين المشاركين الذين أجابوا على الأسئلة إجابة صحيحة، وعددهم ١٠٥٤ مشاركاً، فاز بجوائز المسابقة كل من:

١ ـ عبير محمد إبراهيم مبارك
الشارقة ـ ص.ب: ٤٠٧ ـ الإمارات العربية المتحدة.

٢ ـ منى عبدالمعطي شاكر
عمان ـ ص.ب : ١٤٠٩٢٣ – الأردن

٣ ـ عبدالعزيز المعجل
كيفان ـ قطعة ٤ – شارع ابن هشام – منزل ١٠ – الكويت.

٤ ـ محمد الطيب محمد الحسن
الخرطوم ـ ص.ب ١٠١٠٦ ـ السودان

٥ ـ فاطمة عباس أحمد محمد
دقهلية ـ طلخا ـ الطويلة ـ مصر

٦ ـ يوسف بنسعيد
تيرانت ـ دائرة ترجنت ـ إقليم الحسيمة ـ غريب ـ عبدالعالي يوسف ـ المغرب

٧ ـ طه محمد أحمد طاهر
صنعاء ـ ص.ب: ١٤٦٣٦ ـ اليمن

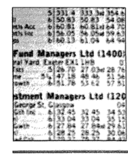
٨ ـ جابر مصطفى أحمد
مرسى مطروح ـ معهد مطروح الأزهري ـ ص.ب: ٧٢ ـ قسم مرسى مطروح

٩ ـ عماد حسين الملاح
صيدا ـ ص.ب: ١٧٦ ـ لبنان.

١٠ ـ مجيدة علي جمعان المالكي
مكة المكرمة ـ ص.ب: ٤٠٥٦ ـ السعودية

ملاحظة:

سترسل الجوائز المالية للإخوة الفائزين حسب عناوينهم في المستقبل القريب ـ بإذن الله ـ مع تمنياتنا للإخوة الذين لم يكتب لهم الفوز أن يُوفقوا في المسابقات المقبلة والله ولي التوفيق.



إعداد : عبدالمنعم أحمد

محجبات في فيينا



حينما تلبس المرأة الحجاب، فهي تعلن هويتها الإسلامية على الملأ، إلا أنها تعرض نفسها في شوارع فيينا إلى الشتائم التي تحولت إلى واقع يومي، وقد تحدثت صحيفة «دي بريسه» مع بعض اللائي يعانين من هذه المشكلة، فقالت إحداهن: إن غطاء الرأس أصبح مانعاً لا يخترق أمام الباحثة عن عمل.

وتنطلق الغمغمة الحقودة من النمساويين حالما ترتقي الفتاة قطار المترو، وتتعرض في الشارع إلى الشتائم، ويتسبب الحجاب في تقليص فرص العمل أمامها بشكل شديد، إذ تنخفض فرصة الفتاة في الحصول على وظيفة إلى الصفر حالما يشاهد المدير الصورة المحجبة تتصدر السيرة الذاتية.. وهذا هو الحال مع «إيمو ايكنشي» التركية التي تعيش في النمسا منذ العام ١٩٧٤م، وتتحدث «ايكنشي» الألمانية بطلاقة ومن دون لكنة، ومع ذلك فإن «عيبها» الوحيد هو أنها ترتدي الحجاب.

وتقول «أندريا صالح»، ممثلة النساء المسلمات في فيينا: «ينعكس الحقد على الإسلام في أوضح صورة على المرأة، فالحجاب يعمل عند بعضهن كالبؤرة التي تلت فيها كل الأحكام السيئة على الإسلام».

وقد ازدادت مظاهر العنصرية في النمسا منذ أحداث ١١ سبتمبر في الولايات المتحدة، وترافق ذلك مع توسع النقاشات حول الموضوع، إلا أن الايام الصعبة عادت حالياً إلى النمسا مع تزايد احتمالات الحرب ضد العراق، ويبدو أن الشتائم التي تسمع داخل حافلات الترام هي الأشد عنفاً وبذاءة ضد المسلمات وشتائم من قبيل «مكانكم أيها المسلمون في معسكرات الاعتقال»، هذه الألفاظ تسمع يومياً، ولا تمثل سوى قمة جبل الجليد، وغالباً ما يطلق بعضهم عقيرتهم بالشتائم بلا قيود لاعتقادهم أن المحجبات لا يجدن اللغة الألمانية وبالتالي فلن يعرفن على وجه التحديد ما يُقال ضدهن.

وتعتقد محجبة أخرى اسمها «صالحة» أن النمساوي يربط مباشرة بين الحجاب والجهل باللغة والأمية عموماً، وأن التخاطب مع النمساويين لا يتم إلا بلغة مكسرة كما هو الحال بين «طرزان وجين»، وهذا شيء مهين في تقدير «ايكنشي».

وقد توجهت «دي ريسه» بالسؤال إلى بعض ممثلي قطاع تجارة الأغذية حول هذا الموضوع فقالوا إنهم لا يقررون قبول المستخدمات على أساس التحجب، لكن «ايكنشي» تلاحظ أن الكثير من محلات الأغذية تطلب من موظفيها تغطية الرأس بغطاء ما وإن ذلك لا يجري بسبب تقاليد المحل، وإنما بسبب الحرص على الوقاية من الأمراض، فلماذا يفرض صاحب المحل هذا الإجراء على عماله وينكره على المحجبات أصلاً؟

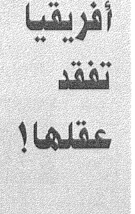
كيف تتصرف النساء المسلمات تجاه هذا التمييز الديني؟ تقول صالحة: إن هذا يتفاوت بين امرأة وأخرى، فهي شخصياً تحاول قلب الموضوع بشكل إيجابي يفيدها ويفيد الطرف المقابل ببعض المعلومات، أي من خلال حوار بناء عن الإسلام ومفهوم الحجاب والموقف من المرأة، وغالباً ما يتدخل آخرون في النقاش ويطرحون الأسئلة المشوقة.

أما «ايكنشي» فتفضل التعامل بحضور بدهي وبشيء من الطرافة في مواجهة مثل هذه المواقف، وتسوق مثلاً على ذلك الطبيب الذي قال لها في المستشفى ذات مرة: إن إطلاق الشعر «أجمل للمرأة من التحجب»، فردت عليه متسائلة: «أيعني هذا أنك قبيح لأنك أصلع»؟

وقد تخلت بعض النساء عن الحجاب، فلم تعدن تطقن الضغط المسلَّط عليهن، وصالحة تعرف بعض هؤلاء النسوة وتتفهم موقفهن، إذ ليس كل شخص قادراً على تحمل الشتائم والإهانات والحرمان من العمل.

وهدف «ايكنشي» و«صالحة» هو تحويل الحجاب إلى مظهر مقبول من مظاهر المرأة، «تصبغ بعض النمساويات شعورهن ويرتدين سراويل الجينز المزقة... حينما نضع نحن الحجاب فإننا نلزم أنفسنا أمام الله» ●

«دي بريسه» - النمسا



أفريقيا تفقد عقلها!

تفقد أفريقيا الآلاف من عقولها النيِّرة من أساتذة جامعات وغيرهم كل عام لأن الجامعات الأميركية والأوروبية توفر لهم أماكن بحوث ومواقع عمل جذابة، وتحدث الجنوب الأفريقي «كريس بيكلي»، في قمة الأرض في «جوهانسبورغ» عن هجرة نحو ٢٣ ألفاً من أساتذة الجامعات والعلماء الأفارقة سنوياً من بلدانهم إلى الغرب.

وفقدت جامعتان في البلد الأفريقي الغربي السنغال نحو ١٠٥ أساتذة خلال السنوات القليلة الماضية بسبب الهجرة

مدمنون على المخدرات وهم في الأرحام!!



كشفت البحوث الطبية أن عدداً متزايداً من الأطفال يولدون مدمنين للمخدرات بسبب استخدام أمهاتهم لهذه المواد غير المشروعة خلال فترة الحمل.

ووفقاً لخبير صحة الأطفال الدكتور «هارف ماركوفيتش» فإن ما لا يقل عن واحد من بين كل ثمانية من الأطفال في بريطانيا يولد مدمناً للحشيش، وتكشف الاختبارات تعرض أعداد متزايدة من الأطفال الحديثي الولادة إلى مخدرات من الدرجة الأولى مثل العقارات المهدئة غير المسموح قانوناً الحصول عليها، والتي منها الكوكايين، والهيروين.

ويحذر الاتحاد الوطني للوقاية من المخدرات من أن الأطفال المولودين لأمهات يتعاطين الحشيش هم أكثر بعشر مرات من غيرهم عرضة للإصابة ببعض أنواع «اللوكيميا»، ويقول الدكتور «ماركوفيتش» محرر المجلة العلمية لطب الأطفال والناطق باسم الكلية الملكية لطب الأطفال: «اعتدنا على تلقي تقارير من الولايات المتحدة قبل ١٥ عاماً، تشخص هذه المشكلة باعتبارها قضية مقلقة في أميركا»، ويضيف «من سوء الحظ أن هذا الأمر شاع في بريطانيا خلال العقد الماضي، وقد وصل الآن إلى أسوأ وضع».

ويأتي الكشف عن هذه الحقائق في أعقاب دراسة أجريت على ٤٠٠ طفل مولود حديثاً في مستشفى الأميرة الملكي في «غلاسغو»، وكشفت الدراسة عن أن ما يزيد على واحد من بين كل ستة أطفال أدمن عقار «ديازيبام» المهدئ، بينما كشفت الاختبارات أن تسعة أطفال أدمنوا الهيروين وثمانية الكوكايين.

وكشف بحث أجري في مستشفى «فيكتوريا» الملكي في «نيوكاسل أبون تاين» في انكلترا، أن واحد في المئة من جميع النساء الحوامل في المنطقة يتعاطين عقار «الميتادون» المخدر لمعالجة إدمانهن على الهيروين، ويخشى الأطباء أن يكون هذا الرقم هو قمة جبل الجليد لا أكثر.

ويقول الدكتور «ماركوفيتش»: «لا ريب في أن عدد النساء الحوامل اللواتي يتعاطين المخدرات يتزايد، ويستطيع كل طبيب أطفال يتولى المسؤولية عن شعبة الأطفال المولودين حديثاً، أن يميز هذه المشكلة لأنه يراها طيلة الوقت».

وقالت الدكتورة «نيم يوبهيدار» الاستشارية في مستشفى النساء بـ«ليفربول» إن المشكلة أكثر حدة في مراكز المدن، وأن أحد الحلول الهادفة إلى حماية صحة الأطفال المولودين حديثاً يتمثل في التصوير الشعاعي للنساء الحوامل اللواتي يتعاطين المخدرات، غير أن كثيرات منهن غير مستعدات للقيام بمثل هذه الاختبارات بسبب الإحراج المرتبط بإدمانهن على المخدرات.

وقال الدكتور «تشارلز سيكوتش» استشاري طب الأطفال في مستشفى الأميرة الملكي في «غلاسغو»: إن الصدق هو الأسلوب الوحيد لمعالجة المشكلة، وأضاف: «إذا كان الطفل بحاجة إلى علاج للانقطاع عن تعاطي المخدر، فسيمنح هذا العلاج، ولن يقوم أحد من العاملين بإصدار حكم على الأمهات، الأطفال المدمنون على المخدرات في الرحم يمكن أن يعانوا من جميع آلام الإقلاع عن المخدرات التي يعانيها الكبار».

وأشار إلى أنه «في مستشفانا يحتاج نحو ٨٥٪ من الأطفال سنوياً، علاجاً بالأدوية من أجل الانقطاع عن المخدرات، وبعامة نجد نحو ١٣٠ طفلاً سنوياً وقد عولجوا من تعاطي المخدرات، ومعظم من يخضعون للعلاج يحتاجون إلى ١٠ إلى ٢٠ يوماً للإقلاع عن المخدرات، غير أن بعضهم الآخر يمكن أن يحتاج إلى أشهر.

وفي مستشفى «فيكتوريا الملكي»، هناك عيادة ما قبل الولادة التي تستقبل الزيارات من دون موعد مسبق، وقد تأسست قبل سنة، وتعمل فيها قابلة، ومنذ أن فتحت أبوابها تضاعف عدد المدمنات الحوامل اللواتي يطلبن المساعدة.

ميشيل ستاينستريت - ديلي إكسبريس

الجماعية للعقول، ويقول «ابرا دينه» السكرتير العام لاتحاد أساتذة الجامعات المستقل من مقره في داكار: «إننا نلوم زملاءنا على سعيهم وتطلعهم نحو مواقع العمل الجذابة، بل إننا نحسدهم لأنهم ينالون في الخارج إمكانات بحث جيدة وشروط حياة أفضل، للأسف فإن جامعات أفريقيا تقدم للغرب أفضل أساتذتها من ذوي الخبرة على طبق من فضة».

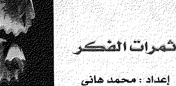
ويرفض خبير التربية والتعليم السنغالي «ساديبو مارونة» لصق تهمة «ضعف المشاعر الوطنية» بالأساتذة المهاجرين إلى الخارج لأن بلدانهم لم توفر لهم ما يؤمّن لهم ظروف البحث أو الإمكانات المالية.

وتشير إحصائية مفوضية الأمم المتحدة الاقتصادية إلى أن أفريقيا فقدت خلال أقل من عقدين ثلث أساتذة جامعاتها، وتشمل هجرة العقول مصر وجنوب أفريقيا، ونيجيريا، وكينيا، وغانا قبل غيرها من البلدان الأفريقية، وتحتاج دول أفريقيا إلى مبلغ ٤ مليارات دولار سنوياً لتغطي نفقات ١٠٠ ألف أستاذ أجنبي ممن تستقدمهم لسد الفراغ في الكادر التدريسي، ويقول النيجيري «فيليب إيميغوالي» الذي يعيش في الولايات المتحدة «في بلادنا ينال الأساتذة الأجانب مرتبات أفضل من مرتباتنا نحن الأفارقة كثيراً بالرغم من تساوينا معهم بالكفاءة والمستوى».

ويعتقد «ابرا دينه» أن مرتبات أساتذة جامعات السنغال من أقل المرتبات في كامل المنطقة، ويتراوح مرتب الأستاذ السنغالي في أول تعيينه بين ٢٤٥ و٢٦٠ دولاراً مع ملاحظة أن أعلى مرتب يتلقاه «البروفيسير» هناك لا يمكن أن يزيد على ٩٢٣ دولاراً، وينال أساتذة الجامعات في أوروبا والولايات المتحدة نحو خمسة أو ستة أضعاف المرتب في أفريقيا.

وتعاني السنغال أكثر من غيرها من بلدان أفريقيا من كثرة الشواغر في الجامعات، وقد أدى إضراب أساتذة الجامعات أخيراً إلى شل الحياة التعليمية في جامعات البلاد إلى أجل غير مسمى، ودفع هذا الحال السلطات السنغالية إلى تشكيل لجنة تأخذ على عاتقها دراسة الوضع وتقديم المقترحات الكفيلة بتصحيح هذه الأوضاع المؤسفة ●

فرانكفورتر روندوشاو - ألمانيا

ثمرات الفكر

إعداد : محمد هاني

الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر» للدكتور عبدالإله بلقيزيز.

يتناول هذا الكتاب «مسألة رئيسة في حقل الفكر النظري والفكر السياسي هي: علاقة الدين بالسياسة في وعي النخب الفكرية الإسلامية الحديثة والمعاصرة: كيف تمثلها هذا الوعي، وكيف عبَّر عنها خلال أكثر من قرن ونصف القرن، وهي المسألة التي كثفتها نظرياً إشكالية الدولة في ذلك الوعي، والتي ستصبح منذ تداعيات الغزوة الأوروبية لديار المسلمين، في القرن التاسع عشر، نقطة انعقاد كل القضايا في مجتمعات العالمين العربي والإسلامي».

غطى الكتاب حقبة تزيد قليلاً على القرن ونصف القرن ممتدة منذ «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» للطهطاوي إلى: السياسة الشرعية ليوسف القرضاوي (١٩٩٨م)، وقد تصدت فيها أجيال خمسة من المفكرين الإسلاميين لبحث المسألة السياسية في الإسلام، ومسألة الدولة فيه على نحو خاص.

وتناول الكتاب أربع إشكاليات فكرية حول الدولة، تداولتها الأجيال الخمسة. وهي: إشكالية الدولة الوطنية لدى الإصلاحية الإسلامية بجيليها الأول والثاني، وإشكالية دولة الخلافة لدى رشيد رضا، ثم إشكالية الدولة الإسلامية مع حسن البنا، وأخيراً إشكالية الدولة الثيوقراطية مع المودودي، وقطب، والخميني، ثم التيار «الجهادي» التكفيري إنها حسب الكتاب الإشكاليات التي أنتجت الخطابات الأربعة الرئيسة في التاريخ الحديث والمعاصر للفكر الإسلامي: الخطاب الإصلاحي، والخطاب السلفي الشرعي، والخطاب «الإخواني» ثم الخطاب الثيوقراطي: خطاب «الحاكمية»، و«ولاية الفقيه»، و«الجهاد» داخل «دار الإسلام».

وما يميز هذا الكتاب تناوله الخطاب الفكري الشيعي المعاصر حول الدولة وبخاصة الخطاب النقدي المنفتح، المتحرر نسبياً من قيود «الإمامة» ومن قيود «ولاية الفقيه»، وعلاقته بالتراث السني، إضافة إلى الانفتاح السني مع قطب والمودودي والتكفيريين على التراث الشيعي.

الكتاب حافل بسياق ممتع يعالج ويفسِّر تطور حركة الفكر الإسلامي في نظرته إلى الدولة في الأصول والفروع ومن البداية إلى الحاضر القريب الذي تمثل في تجربة طالبان في أفغانستان.

يحتوي الكتاب على قسمين يتضمنان اثنى عشر فصلاً، القسم الأول: من الدولة الوطنية حتى دولة الخلافة، القسم الثاني: من الدولة الإسلامية حتى الدولة الدينية ●

لغات الرسل وأصول رسالاتهم

ضمن منشوراتها الثقافية أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» مؤلفاً عنوانه: «لغات الرسل وأصول الرسالات» شارك في تأليفه الدكتور عبدالعزيز عبدالله، ومحمد المختار ولد أباه، وأحمد شملان، وعبدالعزيز شهير، وهبة نبيل بركات، ويتناول الكتاب لغات الرسل الثلاثة موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ومن خلال مطالعة الكتاب يتأكد لنا أن أصول الديانات السماوية هي ملك للإنسانية جمعاء.

ومن الواجب على كل الأجيال المحافظة عليها. واقترحت أبحاث هذا الكتاب إدماج مادة مختصرة ومسجلة عن تاريخ تدوين القرآن مصحوبة بعرض نماذج من المخطوطات القرآنية الأصلية في مراحل الدراسة الإلزامية، لأنها وثائق مرجعية لنا كمسلمين وللإنسانية جمعاء ●

موسوعة فقه الليث بن سعد

عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، صدر كتاب جديد، تأليف الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي وعنوانه: موسوعة فقه الليث بن سعد، وهذه الموسوعة تعد أول تصنيف لفقه الليث بن سعد فقيه مصر، وقد حوى هذا الكتاب ترجمة شخصية لليث، أظهرت صفاته الخلقية والخلقية، وإمكاناته الفكرية، ورحلاته والعلوم التي برع فيها «العربية والحديث والفقه» ومكانته في هذه العلوم بين علماء عصره، وهذه الصفات هي التي أهلته لأن يكون محل ثقة العلماء، كما احتوى الكتاب على فقه، الليث بن سعد، وهو فقه قد جمع وصنف للمرة الأولى في التاريخ، وقد اتبع المصنف الأسلوب العلمي، حيث صنَّف الفقه بحسب مصطلحاته على طريقة المعجم ●

جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات

أعلنت دار السويدي الإماراتية عن تخصيص جائزة باسم جائزة «ابن بطوطة» لأفضل الأعمال المحققة في أدب الرحلات ولأفضل كتاب يضعه مؤلف عربي معاصر عن رحلة قام بها، وقال متحدث باسم الدار التي تتخذ من «أبوظبي» مقراً لها: إن الجائزة التي تبلغ قيمتها سبعة آلاف دولار أميركي ستوزع بواقع ٢٥٠٠ دولار لتحقيق مخطوطة لا تقل صفحاتها الأصلية عن ٢٠٠ صفحة، و٢٠٠٠ دولار لمخطوطة لا تقل صفحاتها عن ١٥٠ صفحة، و١٥٠٠ دولار لمخطوطة لا تقل صفحاتها عن مئة صفحة، و١٠٠٠ دولار لأفضل كتاب يضعه مؤلف عربي معاصر عن رحلة أو رحلات قام بها، وشدد المتحدث على أن القيمة المالية للجائزة رمزية، وأن هاجس الدار يبقى حض الدارسين والباحثين العرب المعنيين بأدب الرحلات والبحث الجغرافي إلى تقديم أفكارهم واقتراحاتهم لسبر هذا العالم الواسع الأرجاء. وأضاف المتحدث أن الجائزة تهدف إلى الإسهام في إعادة تحرير ودراسة وتقديم النصوص المطبوعة في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من تراث أدب الرحلات والتي باتت خارج التداول وجلها مهمل أو مطموس، ليجري الاتفاق معهم في شأن إعادة تحقيقه ونشره ●

رسالة ماجستير

اللهجات العربية في معجم المصباح المنير

نوقشت في كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر - بالقاهرة، رسالة الماجستير المقدمة من الباحث «السيد عبدالحليم مصطفى عبدالعال الشوربجي» - الكاتب بالمجلة - وكان موضوعها «اللهجات العربية في معجم المصباح المنير»، وقد حصل الباحث على درجة الماجستير بتقدير «امتياز» في أصول اللغة.

وتناولت الدراسة أوجه الاختلاف في اللهجات بين القبائل العربية القديمة من حيث النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وكان منطلق الدراسة معجم «المصباح المنير» لمؤلفه أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري المتوفى سنة ٧٧٠هـ، وهو معجم لغوي فقهي غني بالمعاني الشرعية والمصطلحات الفقهية والقضايا اللغوية إلى جانب عنايته بالمفردات وشرحها، وكان منطلق المعجم شرح مفردات كتاب في فقه الشافعية اسمه: «فتح العزيز في شرح الوجيز» للإمام الرافعي (ت٥٨٠هـ) الذي شرح كتاب «الوجيز» للإمام الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ.

واشتملت الدراسة على ثلاثة أبواب مسبوقة بمقدمة وتمهيد ومدخل ومذيلة بخاتمة البحث وبعض الفهارس وتناولت الأبواب الثلاثة المستويات الأربعة لدراسة اللهجات: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي. ووقعت الدراسة فيما يزيد على أربعمئة صفحة من القطع الكبير.

وخلصت الدراسة إلى نتائج عدة أهمها: أن اللغويين الأوائل كانوا يدرسون اللهجات بهدف خدمة الفصحى «لغة القرآن» وتوسيع دائرتها بدليل أنهم كانوا ينقحون هذه اللهجات ويأخذون منها ما هو صحيح ويتركون ما هو مستهجن وقبيح ولم يكن هدفهم أبداً هو تمزيق وحدة اللغة، كما أوصت بأن دراسة اللهجات الحديثة المنتشرة في أقطارنا العربية يجب أن تصب في هذا الهدف - خدمة الفصحى - ببيان مدى قرب أو بعد هذه اللهجات من دائرة الفصحى، وليس بهدف تمزيق أواصر اللغة العربية إلى لهجات متشعبة متفرقة مما يساعد على تمزيق وحدة الأمة الفكرية والثقافية ويأخذها بعيداً عن تراثها الثر، وهذا ما يسعى إليه أعداء الإسلام ●

مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب لمن؟

يحاول المؤلف الربط بين السياسة التي تنتهجها الدول الغربية والولايات المتحدة الأميركية تجاه العالم العربي، وبين تصورات المدرسة الاستشراقية من خلال البحث في التطورات المعرفية التي طرأت على هذه المدرسة، ومعرفة أصول الأفكار الحديثة التي تتبناها مراكز الاستشراق الدولية اللصيقة في مراكز صناعة القرار في الدول الغربية.

وتوضح الدراسة أن القراءة الاستشراقية للتاريخ الإسلامي، تنقسم إلى ثلاث دوائر تاريخية مر بها المسلمون.

الأولى: التراكم العدواني المغلوط، وتبدأ منذ بزوغ فجر فجر الإسلام حتى نهاية القرن السابع عشر، والذي فيه ضعفت الدولة العثمانية.

الثانية: الإرث الاستعماري، وبدأت مع انهيار الدولة العثمانية، وبروز دور محمد علي في مصر.

الثالثة: تبدأ بعد سقوط الدولة العثمانية وبزوغ فجر الدولة الحديثة في العالم الإسلامي، وتخلص الدراسة إلى أنه في ظل النظام الدولي الجديد، فإن استمرار السياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين يمثل خطورة متوقعة في المستقبل المنظور.

صدر هذا الكتاب عن: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ٢٠٠١م - ورقم الإصدار ٥٧ - دولة الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي - ص.ب: ٤٥٦٧ - هاتف ٦٤٣٣٧٧٦ - ٩٧١٢+ فاكس: ٦٤٢٨٨٤٤ - ٩٧١٢+.

e-mail
pubdis@ecssr.ac.ae

أخبار ثقافية

● في خطوة هي الأولى من نوعها في السودان تم افتتاح كلية صوتية للطلبة المكفوفين في جامعة الخرطوم الذين بلغ عددهم هذا العام ٤٤ طالباً و٤٢ طالبة.

● قدَّر مصدر رسمي في وزارة الإعلام السعودية حجم الخسائر السنوية نتيجة أعمال القرصنة التي تقع على حقوق مؤلفي برامج الحاسب الآلي والكتب والأشرطة السمعية والمرئيات واللوحات الفنية بأكثر من ٢٠ مليون دولار سنوياً.

● تعقد جامعة أكسفورد مؤتمراً عن المسألة السودانية في أول مايو المقبل، بهدف مناقشة أوضاع السودان وسيشارك في المؤتمر شخصيات سياسية وأكاديمية وفكرية.

● قررت مجموعة من الشباب العرب في بريطانيا تأسيس شركة مهمتها القيام بالبحوث في ميدان توفير المنشورات العلمية للشباب والأطفال العرب، وذلك من خلال وضع سلسلة من الكتب التعليمية لهم في ميدان تقنية المعلومات باللغة العربية.

● أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن جوائز المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية للعام ٢٠٠٣م وذلك في المجالين التاليين: مجال الممارسة المبنية على التجربة المختبرية أو السريرية المحكومة بالضوابط العلمية المرعية. مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق.

وحددت المؤسسة موعداً أقصاه ٢٠٠٣/١٢/٣١م لقبول الترشيحات.

● عن دار قباء بالقاهرة، صدرت الطبعة الثانية من كتاب «رسل الطغيان» للأديب الإماراتي محمد خليفة ●



حديقة الوعي

إعداد: أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم. ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور) الحج: ٥٨-٦٠.

من هدي رسول الله ﷺ

سأل رسول الله ﷺ حارثة:

كيف أصبحت يا حارثة؟

فقال: الحمد لله أصبحت مسلماً حقاً.

قال ﷺ: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟

قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها، وكأني أرى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتضاغون فيها، من أجل ذلك أظلمت نهاري وأسهرت ليلي.

قال ﷺ: يا حارثة عرفت فالزم.

ثم نظر إلى أصحابه وقال - ﷺ -: عبد نوَّر الله بالإيمان قلبه».

حجام يعلِّم الإمام!!

كان الإمام أبوحنيفة النعمان، في موسم الحج، يتحدث عن نفسه فقال: «تعلمت خمسة من مناسك الحج، ما كنت أعرفها من حجام، ذلك أني أردت أن أحلق فدلوني على حجام فذهبت إليه وقلت له: «بكم تحلق لي»؟ فنظر إليَّ الرجل وكان لا يعرفني فقال: أنت من العراق؟ فقلت: نعم، قال: إن النسك لا يساوم عليه، اجلس، فكانت هذه واحدة!.

فلما جلست قال: بل تحرَّ القبلة، فكانت الثانية!.

ثم أدرت له شقي الأيسر قال: بل نبدأ بالشق الأيمن، فكانت الثالثة.

ثم بدأ يحلق: فجلست صامتاً فقال لي: بل كبِّر، فكانت الرابعة! فلما انتهيت قمت لأنصرف، قال: إلى أين أنت ذاهب؟ قلت: إلى رحلي، قال: «فصلِّ ركعتين» فكانت الخامسة!.

قلت في نفسي والله ما ينبغي أن يكون هذا عقل حجام قلت له: يرحمك الله من أنت؟ قال: أنا تلميذ عطاء بن أبي رباح عالم المدينة!

متى نبلغ الغاية من حب الله

سئل الفضيل بن عياض يرحمه الله تعالى:

متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى.

فقال: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حبه.

ليست الدنيا كلها مذمومة

أيها الذام للدنيا المغترُّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترُّ بالدنيا ثم تذمها؟ أنت المتجرِّمُ عليها أم هي المتجرمة عليك؟! متى استهوتك؟! أم متى غرَّتك!! أبمصارع آبائك من البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟! كم علَّلتَ بكفَّيك؟! وكم مرضتَ بيديك؟! تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدهم إشفاقك، ولم تسعفه بطلبتك، ولم تدفع عنه بقوَّتك وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه ومصرعك.

إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودارُ عافية لمن فهم عنها، ودارُ غِنَىً لمن تزوَّد منها، ودارُ موعظة لمن اتعظ بها، مسجدُ أحبَّاء الله، ومُصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعتْ نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء، وشوَّقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعافية، وابتكرت بفجيعة، ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً فذمَّها رجالٌ غداة الندامة، وحمدها آخرون يوم القيامة، ذكرتهم الدنيا فتذكروا، وحدَّثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا

رحلة مع القرآن

- نصف القرآن من حيث عدد الحروف حرف النون في قوله تعالى: «نكراً» في سورة الكهف والكاف من النصف الثاني.
- نصفه من حي عدد الكلمات «والجلود» في سورة الحج وقوله ولهم مقامع من حديد من نصفه الثاني.
- نصفه من حيث عدد الآيات، الآية: (فألقى موسى عصاه فإذ هي تلقف ما يأفكون) وقوله تعالى: (فألقي السحرة ساجدين) من نصفه الثاني.
- نصفه من حيث عدد السور سورة الحديد، سورة المجادلة أول النصف.

(نقلاً عن كتاب القرآن تاريخه وآدابه للشيخ إبراهيم علي عمران - دار القرآن - الكويت ط مكتبة الفلاح الكويت ش بيروت - ص٩٦.

علام الهم

مر أحد العلماء برجل طفح في وجهه الحزن والهم فقال له: سأسألك عن ثلاثة فأجبني: أيجري في الكون شيء لا يريده الله؟ فقال الرجل: لا، قال: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟ قال: لا، قال: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله؟ قال: لا، فقال العالم: فعلام الهم إذاً؟

التأني والعجلة

قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات قوماً جل مطلبهم ... من التأني وكان الأمر لو عجلوا

نصيحة أعرابي لأمير المؤمنين

قال أعرابي لسليمان بن عبدالملك:

إني أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه.

قال:

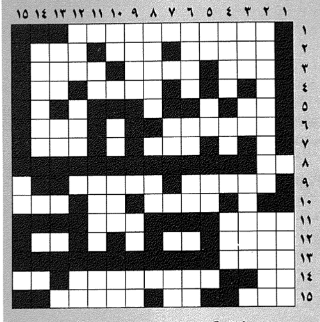
هاته يا أعرابي، فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته، وأنت المأمون غيباً الناصح جيباً.

قال:

فإني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى، إنه قد اكتنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، وخافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، فهم حرب للآخرة، وسلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعاً، والأمة كسفاً وخسفاً، وأنت مسؤول عمّا اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك، قال: أجل يا أمير المؤمنين، لك لاعليك!! *

الكلمات المتقاطعة

إعداد: محمد أبو رية



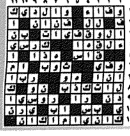
أفقياً:

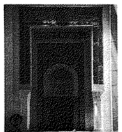
١ - فاتح مصر في صدر الإسلام.
٢ - دولة عربية - صغائر الذنوب - تنضد الأسنان.
٣ - والدي - ادخر المال - قليل أمثاله.
٤ - عهود - متشابهان.
٥ - والدة.
٦ - هي من لندن - من قبيلة مُرَّة.
٧ - طرق الباب - عكس القرى.
٨ - يخصني.
٩ - نعاتبه - من هنا إلى هناك على الأرض.
١٠ - للتعليم - للتعريف - غير معلن.
١١ - استجوبه - متشابهان.
١٢ - كلامه - شعور حمل في القلب - مصطلح نصف القطر في الهندسة.
١٣ - عكس «ما عليه».
١٤ - حرف نصب وتوكيد - شاعر رقيق ووزير شهير كان في الأندلس - فعل الأمر من قام.
١٥ - ماء فاسد - نقل الحديث على جهة المفسدة - من أروع شواطئ دولة الكويت.

رأسياً:

١ - اقسما «مبعثرة».
٢ - صاحب مصباح أسطوري - فعل الأمر من «تناسوا» (مبعثرة).
٣ - جدها في «إمبابة» - حرف جر - متشابهات.
٤ - صوت الجرس - سائل الحياة - متشابهات.
٥ - للتفجع والندبة - فعل الأمر من «كان» - بسط.
٦ - جمع ابن - كف - قط - حب القهوة.
٧ - جدها في «دهقان» - فعل الأمر من «نام».
٨ - قضى عليهم المسلمون في بلاد الشام - لَمَسَ.
٩ - برّاق - للتأفف - نصف «يبري».
١٠ - من الأقارب - أول سورة الشورى - متشابهات - نصف «دندن».
١١ - شبيه - إنسان غير محدد الاسم - لإظهار الدهشة والاستغراب.
١٢ - استيقظ - متشابهات - نصف «ندور».
١٣ - ظهر - جواب.
١٤ - إثباتات.
١٥ - آخر العلاج.







فاسألوا أهل الذكر

الأزهر: لا موانع من تولي المرأة منصباً قضائياً

أعلن إمام الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي عدم وجود «موانع شرعية» أمام تولي المرأة مناصب قضائية، موضحاً أن تعيين النساء في هذا السلك يشكل «خدمة لقضايا الأسرة وخصوصاً في مصر» وفي مكان آخر رفض الشيخ إمكانية أن تتولى المرأة منصب شيخ الأزهر، «لأن الإمامة لها شروطها وضوابطها الشرعية التي لا تتوافر في المرأة».

وقال طنطاوي: «لا يوجد مانع من الناحية الشرعية يحول دون تولي المرأة منصب القاضي»، كما أكد أنه «لا يوجد نص قطعي في الكتاب أو السنة الشريفة يرفض أن تكون المرأة قاضية».

وقال خلال لقاء نظمه معرض القاهرة الدولي للكتاب، «إن إقحام المرأة في منصب القضاء سيخدم قضايا الأسرة وخصوصاً في مصر، حيث سيتم إنشاء محكمة خاصة بها»، إلا أنه وضح أن «عمل المرأة في القضاء يحتاج فقط إلى مراعاة الملاءمة وهي من اختصاص مجلس القضاء الأعلى».

وكان المجلس الأعلى للهيئات القضائية قدَّم، وللمرة الأولى في تاريخ البلاد، لائحة بأسماء ثلاث مرشحات لمناصب قضائية هن: تهاني الجبالي (٥٢ سنة)، لمنصب قاضية في المحكمة الدستورية العليا، وسميحة الدسياوي، وأماني أبو النعاس في هيئة مفوضي الدولة.

وكانت أرفع المناصب النسائية القضائية محصوراً في النيابة الإدارية وهيئة قضايا الدولة فقط.

هيئة كبار علماء السعودية: مهاجمة غير المسلمين .. حرام

أصدر كبار علماء الدين في المملكة العربية السعودية فتوى تحرم الهجوم على غير المسلمين.

وقالت هيئة كبار العلماء: إن إصدار أحكام عشوائية على الناس واعتبارهم كفاراً واستهدافهم تعد جرائم في إشارة إلى مهاجمة مواطنين ومصالح أميركية في المنطقة أخرها في الكويت.

وذكرت الهيئة في بيان أنها تعتبر «ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات وتخريب المنشآت... محرَّمة شرعاً بإجماع المسلمين».

وأضاف البيان: «الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ... وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة فهو يحمل اثمه وجرمه فلا يحتسب عمله على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين».

وزير الشؤون الإسلامية السعودي: الدعاء على اليهود والنصارى اعتداء

قال وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودي الشيخ صالح آل الشيخ: إن الدعاء بعامة في صلاة الجمعة في المساجد على أهل الكتاب من النصارى واليهود هو من الاعتداء المنهي عنه ولا يجوز.

وأكد وجوب البر بأهل الكتاب والدعاء لهم بالهداية للتوحيد والإسلام، وأن الدعاء عليهم بالهلاك من الاعتداء المنهي عنه، وأن تعميمه على جميع النصارى واليهود غير جائز، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه كان يدعو على المعتدين على المسلمين فقط ويحددهم بالاسم وأن الله جلَّ وعلا لم ينه عباده عن بر غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يحاربوهم، حيث قال: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨

العمل في البنوك

- تخرجت في كلية التجارة وسعيت في طلب الرزق فلم أجد إلا عملاً بأحد البنوك، ولكني أعلم أن من أعمال البنوك ما يقوم على الربا كما أعلم أن الدين لعن كاتب الربا. فهل أقبل هذا العمل أم أرفضه علماً بأنه مصدر رزقي؟

- يقول الدكتور يوسف القرضاوي في إجابته على هذا السؤال: النظام الاقتصادي في الإسلام يقوم على أساس محاربة الربا، واعتباره من كبائر الذنوب التي تمحق البركة من الفرد والمجتمع، وتوجب البلاء في الدنيا والآخرة نص على ذلك الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة، وحسبك أن تقرأ في ذلك قول الله تعالى: (يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) البقرة:٢٧٦، (يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) البقرة:٢٧٨: ٢٧٩.

وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وسنة الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته أن يأمر المسلم بمقاومة المعصية، فإن لم يستطع كف يده - على الأقل - عن المشاركة فيها بقول أو فعل، ومن ثمَّ حرَّم كل مظهر من مظاهر التعاون على الإثم والعدوان، وجعل كل معين على معصية شريكاً في الإثم لفاعلها، سواء أكانت إعانة بجهد مادي أم أدبي، عملي أم قولي.

ففي جريمة القتل يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار» رواه الترمذي وحسنه.

وفي الخمر يقول: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه» رواه أبوداود وابن ماجة.

وفي جريمة الرشوة يلعن الرسول: «الراشي والمرتشي والرائش - وهو الساعي بينهما» - كما روى ابن حبان والحاكم.

وفي الربا يروى جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه - وقال: «هم سواء» رواه مسلم، ويروي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه» رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه والترمذي. وصححه وأخرجه ابن حبان والحاكم وصححاه، ورواه النسائي بلفظ: «آكل الربا وموكله وشاهداه - إذا علموا ذلك - ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة».

وهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة هي التي تعذب ضمائر المتدينين الذين يعملون في مصارف أو شركات لا يخلو عملهم فيها من المشاركة في كتابة الربا وفوائد الربا.

غير أن وضع الربا لم يعد يتعلق بموظف في بنك أو كاتب في شركة، إنه يدخل في تركيب نظامنا الاقتصادي وجهازنا المالي كله، وأصبح البلاء به عاماً كما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره» رواه أبو داود وابن ماجه.

ومثل هذا الوضع لا يغيِّر فيه ولا ينقص منه امتناع موظف عن تسلم عمله في بنك أو شركة، وإنما يغيره اقتناع الشعب - الذي أصبح أمره بيده وحكمه لنفسه - بفساد هذا النظام المنقول عن الرأسمالية المستغلة، ومحاولة تغييره بالتدرج والأناة، حتى لا تحدث هزة اقتصادية تجلب الكوارث على البلاد والعباد، والإسلام لا يأبى هذا التدرج في علاج هذه المشكلة الخطيرة، فقد سار على هذه السنة في تحريم الربا ابتداء كما سار عليها في تحريم الخمر وغيرها.

والمهم هو الاقتناع والإرادة، وإذا صدق العزم وضح السبيل.

وعلى كل مسلم غيور أن يعمل بقلبه ولسانه وطاقته بالوسائل المشروعة لتطوير نظامنا الاقتصادي، حتى يتفق وتعاليم الإسلام، وليس هذا ببعيد، ففي العالم دول تعد بمئات الملايين لا تأخذ بنظام الربا، تلك هي الدول الشيوعية.

ولو أننا حظرنا على كل مسلم أن يشتغل في البنوك لكانت النتيجة أن يسيطر غير المسلمين من يهود وغيرهم على أعمال البنوك وما شاكلها، وفي هذا على الإسلام وأهله ما فيه.

على أن أعمال البنوك ليست كلها ربوية، فأكثرها حلال طيب لا حرمة فيه، مثل السمسرة والايداع وغيرها، وأقل أعمالها هو الحرام، فلا بأس أن يقبله المسلم - وإن لم يرض عنه - حتى يتغير هذا الوضع المالي إلى وضع يرضي دينه وضميره، على أن يكون في أثناء ذلك متقناً عمله مؤدياً واجبه نحو نفسه وربه، وأمته منتظراً المثوبة على حسن نيته «وإنما لكل امرئ ما نوى».

وقبل أن نختم فتوانا هذه لا ننسى ضرورة «العيش، أو الحاجة التي تنزل - عند الفقهاء - منزلة الضرورة، تلك التي تفرض على صاحب السؤال قبول هذا العمل كوسيلة للعيش والارتزاق والله تعالى يقول: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) البقرة:١٧٣ ●

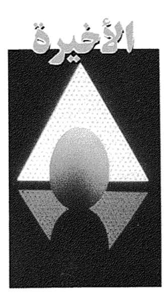
يجوز للحاج ذبح هديه قبل النحر

أخذاً بسنة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم ومبدأ التيسير على الناس في كل الأمور، افتت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية إجابة على سؤال عرض عليها يقول: هل يجوز للحاج القارن والمتمتع أن يذبح هديه في مكة قبل يوم النحر وذلك تفادياً للزحام الذي يحصل في مذبح منى يوم العيد؟

وقد أجابت اللجنة بما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن هدي حج التمتع والقران لا يذبح إلا في أيام النحر، وذهب الشافعية - في الأصح من المذهب - إلى أن الهدي يجوز ذبحه بعد طواف العمرة والتحلل منها، وفي قول آخر يجوز ذبحه بعد الإحرام بالحج، ولا يجوز قبل ذلك... وعليه فيجوز للحاج القارن ذبح هديه في مكة بعد إحرامه بالقران، ويجوز قبل ذلك، وعليه فيجوز للحاج القارن ذبح هديه في مكة بعد إحرامه بالقران، ويجوز للمتمتع ذبح هديه في مكة بعد إتمامه أفعال العمرة والتحلل منها على القول الأصح لدى الشافعية، وذلك مراعاة للتيسير، وبعداً عن مزاحمة الحجاج في الذبح أيام النحر ●

النافذة الأخيرة





بقلم: د.عبدالعزيز بدر القناعي

نحو حوار صادق

الأمة الوسط والثقافة الوسط

قال الله سبحانه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣.

وقال جلّت حكمته مخاطباً رسوله الكريم: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران:١٥٩.

في ضوء هذه النصوص القرآنية الكريمة نحاول في هذه الزاوية إحاطة مجتمعنا بسياج واقٍ يحفظ علينا نعمة الأمن والأمان في ظلال من الحب، والصدق والاعتراف بحقوق الآخر، وحريته.

فقد قال سبحانه لنبيه المصطفى: (أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس:٩٩.

والملاحظ على الكثير من حوارتنا وكتاباتنا أنها تتصف بالتعصب والتشنج والتنطع.

مع أن رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: «هلك المتنطعون».

بل يتمادى بعضهم فيرمي الآخر بالإلحاد والفسوق والكفر، ويشك بالانتماء للوطن، والإخلاص، والنوايا... هكذا بكل سهولة ولأتفه الأسباب.

وما درى هؤلاء أن رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: «ومن قال لأخيه يا كافر فإن كان كذلك وإلا حارت عليه».

إن ديننا يأمرنا بأن نأخذ بظواهر الأمور، ونترك البواطن لله وحده علام الغيوب، فلا نفتش عن عورات الناس، بل علينا أن نشيع الفضيلة في المجتمع، وأن نحسن الظن بالآخرين.

يقول صلى الله عليه وسلم: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو منا، له ما لنا وعليه ما علينا».

إن هدفنا في هذه الزاوية هو نشر الثقافة الوسط، والحفاظ على هوية المجتمع الكويتي، وأصالته في ظل قيمه وعاداته الأصيلة المستمدة من قيم الإسلام وروح الأسرة الواحدة.

كما نحرص في الطرح على الحفاظ على الثوابت التي تمثل ركائز المجتمع الإسلامي الفاضل، والأخذ بمستجدات العصر، والتعامل معها بفكر مستنير، حيث «إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها» وحيثما وجدت المصلحة الحقيقية وجد شرع الله فلا انغلاق مضر، ولا انفتاح مفسد، بل هي الوسطية التي تنشر الوئام، والحب بين أفراد المجتمع، وتعرف بالإسلام التعريف الصحيح، وأنه جاء لسعادة البشرية جمعاء والأخذ بيدها على مدارج الكمال، والسمو الخلقي، والاجتماعي فنبينا صلى الله عليه وسلم أرسله ربه جلت قدرته رحمة للإنسانية كلها وليس للمؤمنين فقط، قال سبحانه: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

هذه هي ثقافتنا التي نعتز بها وحديثنا موصول بإذن الله ●

مجلة الوعي الإسلامي - تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة الكويت غرة كل شهر عربي

ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت - هاتف: (٩٦٥+) ٨٤٤٠٤٤ - فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤

al-Waei al-Islami - P.O. Box 23667 Safat 13097 Kuwait - Tel. (+965) 844044 Fax: 5348954
e.mail: alwaei@awkaf.net - homepage: www.awkaf.net/alwaei